كتاب

# طهارة القلوب

## والخضوع لعلام الغيوب

في علم التصوف

لامام السالكين وقدوة البررة العارفين ذى الفتوحات
الغيبية والفيضات اللدنية الصمدانية صاحب المشرب
الصافى المعينى العارف بالله تعالى سيدى
عبد العزيز الديرينى متعه ذو ا
والاكرام بمشاهدة وجهه الكريم
فى دار السلام


التزام
سعيد على المخيوضى
صاحب المطبعة والمكتبة السعيدية
بجوار الازهر بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العالم العلامه عالم عصره وفريد دهره بقية السلف الصالحين الشيخ ضياء الدين عبد العزيز بن احمد بن سعيد الدربندي رضي الله تعالى عنه وارضاه وجعل الجنة مثواه ونفعنا والمسلمين من بركاته وبركات علومه وخلواته وجلواته في الدين والدنيا والآخرة آمين (الحمد لله) الذي تفرد قبل وجود اللغات بالاسماء الحسنى وتوحد في محامد الصفات بالمجد الاسنى الذي وله القاصدون اليه رغبة وطلبا وتوله بذكره الواجدون شوقا وطربا وتأله لجبروته العابدون عبودية ورقا وتفرد بأوصاف الالهية فهو المعبود حقا الاول الازلي بلا بدايه المتفضل اولى بالعنايه الآخر الابدي الباقي الدائم بلا نهايه المتفضل آخر بالغفران والاحسان والكفاية والرعاية الملك القادر على الايجاد والاختراع المالك المتصرف فليس لحكمه دفاع القدوس البريء عن الآفات السبوح المنزه المسبح بجميع اللغات السلام السالم من نقائص المخلوقات المتفضل بالسلامة والسلام على الذين آمنوا وعملوا الصالحات الصمد الحق الذي لا يشبهه شيء من المخلوقات الغني عن الاغيار فلا تحويه الجهات القيوم المدبر الذي تمسك بقدرته الارض والسموات الواحد فلا شريك له في ملكه وافعاله الاحد فلا نظير له في صفات كماله الوتر الفرد فلا سمي له في جلاله الحميد المحمود بصفات الكمال الحي الذي ليس لحياته زوال العالم بعلم قديم ليس بضرورة ولا استدلال العليم الخبير الواسع المحصي المحيط بباطن الاحوال المؤمن الذي صدق نفسه بعلمه وقوله واخباره بصدقه المهيمن الشهيد الذي شهد لنفسه بالوحدانية قبل شهادة خلقه العالم بصدق الصادقين من بريته الشاهد فلا يخفى عليه شيء عن علمه ورؤيته السميع بغير اصغاء ولا انصات البصير بغير جارحة ولا التفات الرقيب فلا يخفى عليه شيء من افعال العباد القريب بعلمه من الكافة وبتقريب الاسرار من اهل الوداد الحفيظ الذي لا يعتريه سهو ولا نسيان الحافظ لمن يشاء فلا يكون للشيطان عليه سلطان القادر بقدرة قديمة اوجد بها الاعيان والآثار القدير المقتدر القوي المتين القاهر

القهار المريد بارادة قديمة فهو المقدم المؤخر لما شاء بمشاءته فكل خير وشر
ونفع وضر وايمان وكفر وربح وخسران فهو بقضائه ومشيئته الرحمن الرحيم الرؤف
الكريم الصبور الحليم الودود الغفور الغفار العفو الجليل البار رحمته ورأفته
ارادته البر والاحسان والانعام ووداده ومحبته ارادته التقريب والاكرام ومغفرته
ارادته الستر على الزلات وعفوه ارادته محو آثار السيآت وصبره وحلمه ارادته
تأخير العقوبات وجماله وبره ارادته جميع الخيرات المتكلم بكلام قديم أزلي لا يشبهه
كلام الخلق به يأمر وينهى ويبشر وينذر ويعد ويتوعد ويخبر والقرآن كلامه القديم
ليس بمخلوق فيفنى بتصرم الايام ولا صفة لمخلوق فتفنيه الاقلام جلت صفات
ذاته عن العلائم عن احاطة الاوهام كلامه مقروء بالالسنة مكتوب في المصاحف محفوظ
في الصدور وصفاته لا يوصف بها غيره ولا يغيرها حوادث الدهور المشكور الذي يثني
على المحسنين بقوله ويجزي الشاكرين بمنته وطوله الباري المصور من غير مثال
البديع المبتدع المبدىء الفعال المتفضل الوهاب معطي النوال قبل السؤال الرزاق
معطي الارزاق من غير احتيال الفتاح ميسر ما عسر من الاسباب الفاتح بحكمته
بين الخصماء يوم الحساب القابض الباسط يقبض الارواح عند القضاء الآجال
ويبسطها في الاشباح عند البعث لعرض الاعمال ويقبض الارزاق فيضيقها عدلا
ويبسط النعم فيوسعها فضلا ويقبض النفوس بالهم والترح ويبسطها بالسرور
والفرح الخافض الرافع يرفع قدر من شاء بالاكرام ويخفض من يشاء بالاهانة والانتقام
ويرفع الحق ودليله ويخفض الباطل وسبيله ويحفظ أولياءه بحفظ عهده وحسن
وده وجميل رفده وصدق وعده ويخفض اعداءه ببعده ورصده وطرده وورده الحكم
العدل في جميع احكامه اللطيف بعباده فيلاطفهم باكرامه الحبيب الكافي لمن يتولاه
المجيب دعاءه المضطر اذا دعاه الباعث للرسل والاموات الوكيل متولي أمر من يرجع
اليه في المهمات الولي الناصر لمن تولاه المبدىء المعيد المحيي المميت فلا ملك سواه
التواب الراجع بعبده من قفار معصيته الى بساط قربه المقسط العدل في جميع اقضيته
المنتقم ممن عصاه وجحده الهادي فبهدايته وحده المؤمن وعبده النور الذي وضحت
معرفته بهدايته منور قلوب المؤمنين بأنوار ولايته الرشيد المرشد لمن يلهمه

ويهديه الغنى فيعطى من يشاء ويكفيه المانع يمنع البلاء حفظا وعناية ويمنع العطاء عمن يشاء بلاء او حماية الجامع لأجزاء الاجسام بعد البلى المعز المذل فمن أعزه شرف وعلا العلى الاعلا المتعال وعلوه علو تعظيم وجلال العظيم الكبير الاكبر المتكبر وكبرياؤه وصف القهر والكمال المجيد الرفيع فلا يدركه الوهم والخيال الظاهر فتعرفه العقول بصنعته الباطن فلا سبيل الى ادراك كنه مديته الجبار فلا تصل العقول الى الاحاطة بجلاله القاهر لعباده فيجبرهم على ما يشاء من أفعاله المتفضل على عبده بجبر كسره واصلاح احواله العزيز الذى لا ضد له ولا شبيه له الغالب المعز لمن يواليه الجليل الذى دهشت فى جلاله عقول العارفين وكلت دون ثنائه السنة الواصفين فهم بين جماله وجلاله يرتعون والى انوار هدايته يرجعون يتمسكون بحبل الله المتين ويعلمون أن الله هو الحق المبين (احمده) على ما الهمنا من معرفته واكرمنا به من جزيل نعمته واشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة اعدها من اكبر نعمه وعطائه وأعدها وسيلة الى يوم لقائه واشهد ان محمدا عبده ورسوله المصطفى الذى نفى به علل الصدور وشفى صلى الله عليه وعلى آله واصحابه مصابيح الهداية صلاة دائمة متوالية أبدا من غير نهاية (هذا كتاب) فيه فصول يتذكر بها من أصغى اليها بسمع قابل وينتفع بها من كان قلبه روضة يصيبها الطل والوابل جمعتها ما بين آيات مفسرة واخبار مسندة مؤثرة وخطب وعظية مبتكره وكلمات منقوله عن السلف الصالحين ونظم ونثر من كتب الائمة العاملين (وسميته كتاب طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب) وانما سميته بهذا الاسم لانى لما اكملته رأيته فى المنام وهذا الاسم عليه مكتوب بخط غليظ فسميته بذلك وتسأل الله تعالى ان يسلك بنا قصد السبيل اليه ويرزقنا حسن الادب بين يديه ويجعل مقاصدنا خالصة لوجهه الكريم انه هو السميع العليم

## الفصل الاول فى الايمان

الحمد لله الذى رسم فى صفحات المصنوعات قواطع الدلائل وفرق بمحكم الآيات البينات بين الحق والباطل الموجود بلا بدايه فلم يزل أزليا أوليا وهو الاول قبل الاوائل الباقى بلا نهايه فلا يزال أبديا وهو الآخر بعد كل زائل الواحد القدوس فلا شريك له ولا مماثل الحى العليم القدير المدبر الخبير السميع البصير المتكلم

وهو اصدق قائل صفاته قديمة ثابتة بالنقل والعقل فمن عطل فهو بتخيلاته يجادل وتنزيهه عن اوصاف الحدوث معلوم بالدليل فمن شبه فهو من اهل الباطل كيف يشبه القديم الازلى بالحادث الزائل أم كيف تماثل الصنعة الصانع أو تضارع الافعال الفاعل لاتدركه الابصار ولاتمثله الافكار ولايحيط به عقل عاقل انقطعت الاوهام وحارت الافهام وبحر المعرفة ليس له ساحل فالتسليم أسلم والتعظيم رد الامر الى من هو اعلم فالعجز واقع والحصر حاصل فسبحان من نور اسرار اوليائه بذكره وعاملهم بالفضل التام والاحسان الشامل فهم عن بابه لايبرحون وعلى بساط قربه يتنعمون وينشرحون وانفاسهم اليه رسائل لهم فى الدجى انس بذكره وخدمته فهم ايقاظ والناس مابين نائم وغافل فتبارك من قسم عطاءه بين خلقه وهو فى احكامه عادل يدعو الفقراء الى نواله ويقول فى كل ليلة هل من مستغفر هل من سائل (احمده) على جميع فضله الطويل المديد الوافر الكامل واعتمد على كرمه اعتماد عبد انضى الى بابه الرواحل واشهد ان لااله الا الله وحده لاشريك له اله لاينقص خزائن ملكه العطاء ولاتبرمه المسائل واشهد ان محمدا عبده ورسوله انتخبه من اشرف القبائل وزينه بأكمل الفضائل وجعل اتباعه من اشرف الوسائل صلى الله عليه وعلى آله واصحابه بالغدو والاصائل . (فى قول الله عزوجل) انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون (الايمان التصديق) فالمؤمن من صدق بأن الله تعالى هو الاله الحق الاول الآخر الظاهر الباطن القدوس الصمد الواحد الاحد الحى العليم القدير المدبر السميع البصير المتكلم بكلام قديم يجل عن التحديد الملك الفعال لما يريد وان الله تعالى انزل الكتب وارسل الرسل وانه يحيي الموتى وان جميع ما جاء به الرسول حق فهذا اصل الايمان والاقرار به فرض مع الامكان وثمراته الخوف من وعيد الله تعالى ورجاء وعد الله تعالى وتعظيم جلال الله وامتثال امر الله واجتناب محارم الله والصبر على احكام الله والشكر لنعم الله تعالى ودوام الافتقار الى الله تعالى والزهد فيما يقطع عن الله تعالى والتوكل على الله تعالى والمحبة والشوق الى الله تعالى والرضا بما قضى الله تعالى واخلاص النية فى العمل لله تعالى والصدق فى السر فى

معاملة الله تعالى والمحاسبة للنفس والفكرة فى آلاء الله تعالى والمراقبة والحياء من الله تعالى وغير ذلك من الاوصاف المحمودة (واعلم) ان الايمان يزيد وينقص ويظهر تفاوته بالتفاوت فى ثمراته ويرجح بقدر اليقظة والذكر ويخف بقدر نسيان القلب وغفلاته (قال ﷺ) لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن وذلك انه غافل حالة المعصية عن الله تعالى خال عن عبادة الله تعالى فينقص ايمانه بذلك (واما الاسلام) فهو الانقياد لاوامر الله تعالى واعتقاد وجوب طاعة الله تعالى فمن صدق بقلبه واعتقد وجوب طاعة الله تعالى ولم يوفق لفعلها فهو مؤمن مسلم غير محسن وايمانه ناقص (واما الاحسان) فهو كمال الايمان ومعناه فعل ما امر الله تعالى به وترك ما نهى الله تعالى عنه فى صحيح مسلم عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله ﷺ يوما بارزا للناس فأتاه رجل فقال يارسول الله ما الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر قال يارسول الله ما الاسلام قال الاسلام ان تعبد الله لاتشرك به شيأ وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال يارسول الله ما الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال يارسول الله متى الساعة قال ما المسؤل عنها بأعلم من السائل الحديث ثم ادبر الرجل فقال رسول الله ﷺ ردوا على الرجل فأخذوا ليردوه فلم يروا شيأ فقال النبى ﷺ هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم . وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة . وعن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من شهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله حرم الله تعالى عليه النار . وعن عتاب بن مالك عن رسول الله ﷺ انه قال لايشهد احد ان لا إله الا الله وأنى رسول الله فيدخل النار . وعن سفيان بن عبد الله الثقفى قال قلت يارسول الله قل لى فى الاسلام قولا لاأسأل عنه احدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم وعن انس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وان يحب المرء لايحبه الا لله وان يكره ان يعود فى الكفر بعد ان انقذه الله تعالى منه كما يكره ان يقذف فى النار . وعن

انس ايضا رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال والذى نفسى بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره أو قال لاخيه ما يحب لنفسه . وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ الايمان بضع وسبعون شعبة فافضلها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان . وعن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما عن النبى ﷺ قال بنى الاسلام على خمس أولها أن يوحد الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان والحج الى بيت الله الحرام . وعن ابن عمر ايضا قال قال رسول الله ﷺ اخبرونى بشجرة تشبه الرجل المسلم لا يتحات ورقها تؤتى أكلها كل حين باذن ربها فسكتوا فقال هى النخلة وهذا الحديث يؤيده قوله عز وجل الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة وهى كلمة لا اله الا الله كشجرة طيبة وهى النخلة اصلها ثابت كما ان أصل التوحيد مستقر فى القلب وفرعها فى السماء أى صاعد فى العلو وكذلك فرع الايمان العمل الصالح والاحسان والعمل الصالح يصعد الى السماء قال الله تعالى والعمل الصالح يرفعه والنخلة لا يسقط ورقها والمؤمن لا يتغير ايمانه باختلاف اهواء أهل الباطل والمؤمن شريف المؤنة كالنخلة والنخلة اذا فرعت فرعت واذ افرعت اثمرت والمؤمن اذا ادب تأدب واذا هذب تهذب المؤمن خفيف المؤنة كالنحلة اذا وقعت على عود لم تكسره وهى تأكل طيبا ويصدر عنها طيب والمؤمن يأكل حلالا فيصدر عنه صالح الاعمال النحلة لعابها صاف وشرابها شاف والمؤمن رؤيته شفاء وموعظته دواء ينتفع برؤيته قبل روايته وخيره بادر وشره نادر (قال الفضيل) المؤمن قليل الكلام كثير العمل والمنافق كثير الكلام قليل العمل (وقال) ذو النون المؤمن بشره فى وجهه وحزنه فى قلبه أوسع شىء صدرا واخفى شىء نفسا زاجر عن كل شر آمر بكل خير لا حقود ولا حسود ولا مرتاب ولا سباب ولا عياب يكره الرفعة ويبغض السمعة طويل الهم كثير الغم حليف الصمت عزيز الوقت لا متفاخر ولا متهتك ضحكه تبسم واستفهامه تعلم ومراجعته تفهم لا يبخل ولا يعجل ولا يضجر ولا يجهل لا جزع ولا هلع ولا عنف ولا صلف قليل المنازعة جميل المراجعة عدل ان غضب رفيق ان طلب خليص الود وثيق العهد وفى الوعد شفوق وصول حليم حمول قليل الفضول راض عن مولاه مخالف لهواه لا يغلظ على من يؤذيه ولا يخوض فيما لا يعنيه ان سب وأوذى

لم يسب وان طلب ومنع لم يغضب ولا يشمت بمصيبة ولا يذكر احدا بغيبة هشاش شاش لا فحاش ولا غشاش كظام بسام دقيق النظر عظيم الحذر فهذا هو المؤمن حقا وفى الحديث المؤمن كالجمل الانوف ان قيد انقاد وان انيخ على جمرة استناخ ومعناه ان المؤمن اذا دعى لخير اجاب بسهولة كالجمل المخزوم فى انفه كما قيل (شعر)

خيانة اهل الحب ان يظهروا الشكوى وصدقهم فى الحب ان يكتموا البلوى
ومن لم يجد هجر الحبيب كوصله فما ذاق من طعم الغرام سوى الدعوى

وكما ان الجمل الانوف اذا انيخ على جمرة استناخ كذلك المؤمن مقيم على باب مولاه صابر معه على بلواه كما قيل فيه (شعر)

ومازال بى شوقى اليك يقودنى يذلل منى كل ممتنع صعب
اذا كان قلبى سائرا بذمامه فكيف لجسمى بالمقام بلا قلب

(قال) عبد الواحد بن زيد مررت فى بعض الجبال بشيخ اعمى اصم مقطوع اليدين والرجلين وهو يقول الهى وسيدى متعتنى بجوارحى حيث شئت واخذتها حيث شئت وتركت لى حسن الظن فيك يا برياوصول قال فقلت فى نفسى اى بر من الله على هذا واى وصل فقال اليك عنى يا بطال اليس تركك لى قلبا يعرفه واسانا يذكره فهو نعيم الدارين جميعا ويقال فى قول الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الآية قالوا بألسنتهم ثم استقاموا فصدقوا بقلوبهم ويقال قالوها مصدقين ثم استقاموا بالطاعة على التصديق حتى ماتوا مؤمنين ويقال قالوها بالايمان ثم استقاموا بالطاعة والاحسان ويقال لا اله الا الله مفتاح الجنة ولكن اسنانه الاعمال الصالحة فمن جاء بالمفتاح وله اسنان فتح له واما قوله قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا فهؤلاء قوم منافقون اسلموا بظواهرهم ولم يصدقوا بسرائرهم فلما ادعوا الايمان اكذبهم الرحمن وقال ولما يدخل الايمان فى قلوبكم ثم بين وصف المؤمن فقال انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم فى سبيل الله اولئك هم الصادقون ويقال الايمان كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك الايمان كسكينة موسى من كانت معه كان الظفر له الايمان كخاتم سليمان العزم وجوده والذل مع فقده

الايمان كعصا موسى تلقف عصى السحرة وكذلك الايمان تمحق عنده الشبهات والتخيلات وتغفر مع صحته السيآت الايمان كالماء الطهور يطهر ماقبله ومابعده ولاينجس حتى يتغير الايمان كالحرم من دخله كان آمنا يقول الله تعالى لااله الاالله حصنى فمن دخل حصنى أمن من عذابى (رأى) بعض الصالحين عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فى المنام فقال انى اريد أن اصنع خاتما فما انقش عليه فقال عيسى عليه الصلاة والسلام انقش عليه لااله الاالله الحق المبين فانها تذهب الهم والغم والاشارة ان نقشها فى القلب يذهب هم الآخرة (كما قيل فى ذلك شعر)

نقشت اسم محبوبى على فص خاتمى ... وماغاب عن طرفى ولم يخل عن قلبى
ففى مسه برء السقام ولثمه ... يبرد ما ألقى من الوجد والكرب
حروف اسمه منقوشة فوق كل ما ... اعاينه لكن تداويت بالكتب
حرام على قلبى السلو وانى ... لعبد له فى حالة البعد والقرب

(واعلم) ان اصل الايمان الهام يلقيه الله تعالى فى القلب ثم يزداد بالنظر فى المصنوعات قوة ووضوحا وينمو بسماع القرآن وصحبة الصالحين ونحو ذلك قال الله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم حبب اليكم الايمان ويسر لكم القرآن وكره اليكم العصيان وصرف عنكم الشيطان وخلق لكم الجنان وضمن لكم الغفران ووهبكم الرضوان وزين السماء بأنوار الكواكب وزين القلوب بأنوار المواهب فزينة السماء محروسة عن الشياطين وزينة القلوب محفوظة عن ابليس اللعين قال الله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وقيل معناه فى اصل الايمان فانهم وان وقعوا فى العصيان فانهم بين خوف العقاب ورجاء الغفران قلب المؤمن زينة الرحمن فهو كالبستان غرسه الملك المنان وحفظه من الشيطان ومن زرع زرعا سقاه ومن صنع معروفا ابقاه ومن زين موضعا وقاه الايمان من افضاله فهو اولى بحفظه واكماله كما قيل (شعر)

عندى حدائق ودغرس نعمتكم ... قد مسها عطش فليسق من غرسا
فداركوها وفى أغصانها رمق ... فلن يعود اخضرار العود ان يبسا
انى صنيعة ايديكم وانعمكم ... فلا تتركونى فان القلب قد درسا

ان الكريم اذا أنشا حدائقه  من المروأة ان تسقى وتنحرسا

ما علمك به فهو به اعلم وما قوالك عليه فهو عليه اقوى وما حببه اليك فهو له احب وقد حبب اليكم الايمان فاذا كان يحب ايمانكم فهو اولى بحفظ محبوبه فلذلك لا يسهو عنك بسهوك ولا يغفل عنك بلهوك وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان المؤمن يكره فعل المعصية وان وقع فيها وانما يغطى على عقله وقت فعلها فلذلك اذا وقع فيها عاوده الندم والاسف قال الله تعالى أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة مدحهم على ما منحهم واثنى عليهم بما اودع لديهم ثم عرفهم ان ذلك من فضله ليشغلهم الشكر عن الاعجاب فان الاعجاب حجاب (خرج) ابو حفص النيسابورى فرأى يهوديا فوقع مغشيا عليه فلما افاق سئل عن ذلك فقال رايت رجلا عليه لباس العدل وعلى لباس الفضل فخشيت ان يبدل الله لباسى بلباسه فسبحان من حبب الايمان وسبب وزين وبين وايد وسدد وعصم وانعم واكمل واجمل وعرف والف واسمع واطمع وقرب وادنى وطيب واغنى واقنى ثم مدحنا على فضله وتفضل بالجزاء وطاعتنا من فعله ليكون الثواب اهنى والفضل اتم واسنى فله الحمد لا اله الا هو الرحمن الرحيم

## الفصل الثانى فى الثناء

الحمد لله الذى عز جلاله فلا تدركه الافهام وسما كماله فلا تحيط به الاوهام وشهدت افعاله انه الحكيم العلام الموصوف بالحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام صفاته قديمة لا تشبه صفات خلقه فمن شبه فقد شابه عبدة الاصنام جل الواحد الاحد الصمد فلا يحيط به فكر ولا يحده حصر ولا يحويه نظر فلا يجب عليه حق ولا يتوجه عليه ملام هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام تعرف الى خلقه بصنعته فنصب على معرفته الاعلام واوضح الدليل على تمام حكمته وكمال قدرته بترتيب مخلوقاته على وصف الاتقان والاحكام وقسم عطاءه بين خلقه فى الظاهر والباطن اقساما فالمؤمنون حبب اليهم الايمان وشرح صدورهم للاسلام والكافرون حجبهم عن بابه وجرت بشقاوتهم الاقلام والعلماء زينهم باقامة الحجج الدينية ومعرفة الاحكام والعارفون اودعهم لطائف سره فهم اهل المحاضرة والالهام والعاملون وفقهم لخدمته فهجروا لذيذ المنام واقام همهم فاستقاموا وقاموا فى جنح الظلام والمحبون اذاقهم لذة قربه

وآنسهم فشغلهم عن جميع الانام والغافلون اذهلهم عن النظر فى العواقب فجنحوا للآثام فسبحان من منح ومنع ووصل وقطع وفرق وجمع فبمشيئته الاحجام والاقدام يقبل التوبة ويكشف الحوبة ويغفر الاجرام تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام (احمده) على ما أولانا من جزيل الانعام وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة من قال ربى الله ثم استقام وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وقد ارتفع من غبار الشرك قتام وسطع من غبر الكفر ظلام فلم يزل ﷺ يناضل بالحجج والسنان والحسام ويقاتل فى سبيل الله بعزم واهتمام حتى انقشع عن سماء الحق تراكم الغمام وطلع من أفق الايمان بدر التمام وأظهر حجج الله تعالى وبين الحلال والحرام ﷺ وعلى آله وأصحابه البررة الكرام ما وكف قطر واضطرب نهر وانفتح زهر ومال غصن وغرد حمام (فى قول الله عزوجل) تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام تبارك من البركة والبركة الدوام والبقاء وكثرة الخير والنفع والحق سبحانه وتعالى دائم البقاء كثير الخير دائم المعروف سبحانه ويقال تبارك أى تعاظم ربك ذو الجلال والجلال وصف العز والكبرياء والعظمة والعلو والرفعة ومعناها فى وصف الله تعالى تنزيهه عن مشابهة الخلق وتقديسه عن النقص وتعاليه عن ادراك الوهم وتمام سلطانه وانه ذو السطوة والقهر ومعنى الاكرام وصف الجمال والرحمة والرأفة والبر وانه ذو المغفرة والعفو فان الملك من هيبته يخشى فتوجب الرهبة ورأفته توجب الرغبة ليكون العبد بين خوف ورجاء وقبض وبسط وهيبة وانس ومحو وصحو قال الله تعالى حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير ح اقسم بحلمى م أقسم بمجدى فمن الجمال المجد والحلم ومن الجلال العز والعلم ثم من الجمال غافر الذنب وقابل التوب ثم من الجلال شديد العقاب ثم من الجمال ذى الطول أى الفضل ردك بين خوفه ورجائه واقامك بين رأفته وكبريائه فارتع بسرك على بساط ثنائه وتنعم بقلبك فى رياض اسمائه (شعر)

فبح باسم من تهوى ودعنى من الكنى  فلا خير فى اللذات من دونها ستر

لاراحة للمؤمن دون لقاء ربه فلا راحة له اليوم الافى ذكره لمولاه فانه نعيم قلبه ( شعر )

القرب منك هو النعيم وهو الصراط المستقيم
ان اللذيع من الهوى شوقا هو القلب السليم

كيف يصبر عن قربه من وجد طعم حبه أم كيف لاينقطع اليه من وجد التذلل بين يديه كان من دعاء رسول ﷺ أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لاأحصى ثناء عليك أنت كما اثنيت على نفسك هذا سيد المرسلين وامام العارفين متذلل بين يدى رب العالمين ومشاهد عجز العقل عن ادراك كبريائه وقصور جميع الخلق عن حقيقة ثنائه جل الواحد الاحد فأنى بالوصل وتقدس القيوم الصمد فمن ذا الذى للقرب اهل ( شعر )

فلا وصل الا ذلة وتحيرا وهيبة اعظام بعز جلاله
ولاقرب الا أن تكون مولها بذكراه أو مستغرقا بجماله

أيها الفقير لازم باب المولى الكريم وتعزز بالمولى العزيز العليم وته عن كل الاكوان لمعبودك وهون الروح فى طلب مقصودك فانه كريم من توسل اليه بطاعته تفضل عليه بنعمته ان أطاع أكرمه وفضله وان أضاع رحمه وأمهله فان تاب وأناب شكره وان عصى وأساء ستره عزيز شهد بجلاله جميع افعاله ونطق بجماله جميع افضاله ودل على ثبوته بدائع آياته واخبر عن صفاته عجائب مخلوقاته كريم من دعاه لباه ومن توكل عليه كفاه ومن انقطع اليه آواه ومن رجع اليه رحمه وادناه ومن سأله أكرمه واعطاه ومن أعرض عنه ناداه الف المحبون قربه فلا يصبرون عن لقياه والف العارفون مجده فلا يستأنسون بسواه ( شعر )

حبيب أرتجيه وان جفانى ويعلم مالقيت من الصدود
ويظهر فى الهوى عز الموالى فيلزمنى له ذل العبيد

( عزيز ) اعترف العارفون بالقصور عن ادراك صمديته جليل تمنعت العقول خجلا من الطمع فى الاحاطة بأحديته كريم صغرت الحوائج عن ساحات جوده

ورأفته رحيم تلاشت قطرات زلات عباده فى تلاطم أمواج بحار رحمته هو الذى ربالك بنعمته وهداك الى معرفته وزينك بمحبته فمالك لاتنقطع بالكلية اليه ومالك لاتعتمد فى مهامك عليه يامسكين ان أعرضت وابيت وفى جحودك تماديت فما افقرك الى وما أغنانى عنك يامسكين أنت ان لم تكن لى فانا عنك غنى وأنت المسكين ان لم اكن لك من ذا الذى يحسن اليك من ذا الذى ينظر اليك من الذى يهتم بشأنك بمن تتوسل اذا طردتك عنى عبدى انا لا ارضى الا ان تكون لى افترضى ان لا اكون لك ( شعر )

ياقليل الوفا كثير التجنى كيف ترضى بطول بعدك عنى
لو تحققت قدر وصلى وقربى لبكيت الدما لما فات منى

لايليق الوله والغرام الا فى حب مولى ليس للوهم فيه مرام عزيز أذل الكون بجملته فى طلبه وهو عزيز فجميع الاعيان والآثار تنادى على أنفسها بلسان الحال نحن عبيد من لم يزل ولا يزال ( شعر )

اذا حدث الراوى أحاديث حسنه
يقول الورى هذا حديث مصدق

سبح كل شىء بحمده ونطق كل شىء بمجده ( شعر )

وكل من بالغ فى وصفه أصبح منسوبا الى العمى
وان نشرنا ذكر احسانه أعجزنا النشر كما الطى

جبار جبر احوال من رحمه وتجبر على من اقصاه وحرمه لطيف يعلم خفايا تصنع العاملين ويغفر عظائم ذنوب التائبين كريم يبصر ويستر ويغفر ويجبر من اعتنى بشأنه غمره باحسانه فان تمادى بعصيانه حال بينه وبين اختياره بقهر سلطانه ان لم يلازم الطاعة باختياره ألجأه بالبلاء الى بابه باضطراره اختار قوما لالينتفع بهم بل لينفعهم واذل آخرين فطردهم ومنعهم سبوح سبحت أسرار المحققين فى بحر توحيده فوجدوه بلا شاطىء فلا خروج ولا براح فحازت ايديهم جواهر التفريد فوضعوها فى تاج العرفان ولبسوها يوم اللقا ( شعر )

احرى الملابس ان تلقى الحبيب به  يوم الزيارة فى الثوب الذى خلعا

قدوس تعالى عن الوصول والاتصال ليس لمن عرفه الا التعظيم والاعتراف بالعجز عن ادراك الجلال وشهود الحقائق شهود الافعال عزيز لم تنفطر القلوب الا بنسيم اقباله ولم تتقطر الدموع الا من خوف هجره أو طمع فى وصاله عزيز دلت افعاله على جلال شانه وذلت الرقاب عند شهود سلطانه كريم ارواح المحبين لذكره الفت واسرار الموحدين بساحات جلاله وقعت ونفوس العابدين بالعجز عن اداء حقه اتصفت وعقول العارفين بالعجز عن معرفة كبريائه اعترفت كريم بسط للمؤمنين بساط جوده انى بالوصل ولا نحوله وانى بالوجود ولا حد له من ذا الذى يدركه بالزمان والزمان خلقه من ذا الذى يحبسه فى المكان والمكان فعله من ذا الذى يعرفه الا به يعرفه كريم من طلبه عرفه فاذا عرفه لاطفه فاذا وجد لطفه الفه فاذا الفه انف ان يخالفه هدى قلوب الغافلين الى طلب الدنيا فعمره وهدى قلوب العابدين الى طلب العقبى فكابدوها وهدى قلوب الزاهدين الى فناء الدنيا فرفضوها وهدى قلوب العلماء الى النظر فى آياته فلازموها وهدى المريدين الى عز وصفه فآثروه وهدى العارفين الى قدس نعته فراقبوه وهدى الموحدين الى علو سلطانه فتركوا ماسواه وهجروه وخرجوا عن كل مألوف ومعهود حين وجدوه وعلموا انه وراء كل فصل ووصل فرجعوا الى وطن العجز فتوسدوه كريم اذا ذكره العاصون نسوا زلتهم فى جنب كرمه ورحمته عزيز اذ ذكره المطيعون غابوا عن طاعاتهم فى جنب منته وعزته عزيز لا غرض له فى افعاله ولا عوض عنه فى جلاله وجماله عز لسان ذكره واعزمنه قلب عرفه وأعز منه روح احبه واعزمنه سر شاهده ليس كل من طلبه وجده ولا كل من وجده بقى معه فسبحانه لا اله الا الله العزيز الحكيم اللهم اجعل فى قلوبنا نورا نهتدى به اليك وتولنا بحسن رعايتك حتى نتوكل عليك وارزقنا حلاوة التذلل بين يديك فالعزيز من لاذ بعزك والسعيد من التجأ الى حماك وجودك والذليل من لم تؤيده بعنايتك والشقى من رضى بالاعراض عن طاعتك والحكم حكمك فما تغنى الحيل والامر أمرك فاليك تحقق الامل اللهم نزه قلوبنا عن التعلق بمن دونك واجعلنا من قوم تحبهم ويحبونك اغفر لنا

ولوالدينا ولجميع المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والحمد لله رب العالمين

## الفصل الثالث فى الذكر

الحمد لله الذى تفرد فى ازليته بعز كبريائه وتوحد فى صمديته بدوام بقائه ونور بمعرفته قلوب أوليائه وطيب أسرار القاصدين بطيب ثنائه وسكن خوف الخائفين بحسن رجائه ونعم أرواح المحبين فى رياض معانى أسمائه وأسبغ على الكافة جزيل عطائه وقسم بين عباده فالقبول والرد والوصول والصد والحلول والجد بمشيئته وقضائه الحى العليم فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى أرضه وسمائه الولى القدير فلا شريك له فى تدبيره وانشائه السميع البصير فلا يخفى عليه حركة ذرة فى لجة البحر عند تلاطم أمواجه وتراكم ظلماته المتكلم بكلام ازلى قديم لا يشبه كلام خلقه والقرآن كلام الله انزله بنهيه وأمره ووعده ووعيده وانبائه الملك العزيز الذى من التجأ الى حماه عز بالتجائه وانقطع الفقير الى بابه وشكا مواجيد برحائه واكتفى بتدبيره لانه مطلع على ما فى سويدائه فوجد عنده الشفاء ومن أولى منه بشفائه ظهرت شواهد وجوده فدليل توحيده فى غاية ضيائه فالعلوى والسفلى والعرش والكرسى والجنى والانسى فى دائرة الافتقار الى تدبيره وانشائه استوى على العرش من غير افتقار ولا افتقار ولا استقرار ولا كيفية لاستوائه له الجلال والجمال والكمال والثناء الذى قصرت الالباب عن احصائه فالصامت ناطق من حيث الدلالة والناطق صامت وان بالغ فى الاقالة فان للعقل حدا يقف عنده انتهائه فرط المعطل فاهتدى وأفرط المشبه واعتدى فهلكا فى قفار الجهل وبيدائه فالعارف أشرق قلبه بمعرفة الله تعالى وأطرق سره لهيبة الله فتسربل بجماله فسبحان من تقرب برأفته ورحمته ونور هدايته الى قلوب أحبابه وتعرف لعباده بمحاسن صفاته فانبسطوا الذكره ودعائه ودعانا اليه بقوله سبحانه وتعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه (أحمده) حمد معترف بالعجز عن عدد آلائه منتظرا زوائد بره وآلائه ونعمائه مستجيرا من بعده واقصائه وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ضمن الحسنى لقائلها يوم لقائه ووعده بزيادة النظر اليه وهو أحق بوفائه وأشهد أن محمدا عبده ورسوله خاتم

أنبيائه وسيد أصفيائه المخصوص بالمقام المحمود فى اليوم المشهود فجميع الانبياء تحت لوائه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وخلفائه وعلى من اقتفى أثرهم الى يوم الدين فغاز باقتفائه صلاة دائمة مادرت وابل واهتز من الروض معاطف أرجائه وقر سائل فمكث فى الارض خالص مائه (فى قول الله عز وجل) يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا الآية المؤمن يذكر الله بكله لانه يذكر الله بقلبه فتسكن جميع جوارحه الى ذكره فلا يبقى منه عضو الا وهو ذاكر فى المعنى واذا امتدت يده الى شئ ذكر الله فكف يده عما نهى الله تعالى عنه واذا سعت قدمه الى شئ ذكر الله فوقف عن السعى الا فيما يرضى الله واذا طمحت عينه الى شئ ذكر الله فغض بصره عن محارم الله وكذلك سمعه ولسانه وجوارحه مصونة بمراقبة الله تعالى ومراعاة أمر الله والحياء من نظر الله تعالى فهذا هو الذكر الكثير والذكر القليل ذكر المنافقين يذكرون الله تعالى بالسنتهم رثاء الناس وليس فى قلوبهم من الذكر شئ (قال الله تعالى) يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا والذكر المطلوب ذكر القلب وانما اللسان طريق اليه فمن لازم ذكر الله تعالى باسانه مخلصا لله تعالى وصلت بركة الذكر الى قلبه فعاش قلبه بذكر الله تعالى فعند ذلك يكون ذكره كثيرا وقد أمر الله تعالى بالذكر ورغب فيه بآيات كثيرة فى كتابه (فقال تعالى) فاذكرونى أذكركم ومعناه اذكرونى بخدمتى أذكركم بنعمتى اذكرونى بالتوحيد أذكركم بالتأييد اذكرونى بالشكر اذكركم بالمزيد اذكرونى بالمحبة اذكركم بالقربة اذكرونى بالخوف أذكركم بالامان اذكرونى بالرجاء اذكركم بتحقيق الآمال (وقال تعالى) واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون (وقال تعالى) الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب (وفى الصحيح) عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدى بى وانا معه حين يذكرنى ان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرنى فى ملا ذكرته فى ملا خير منه وان تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا وان أتانى يمشى أتيته هرولة معناه من جاهد نفسه قليلا فى خدمتى تقربت الى قلبه برحمتى ونشرت عليه كثيرا من الطاعات بحلاوة ورغبة ورزقته لذة مناجاتى وحلاوة الانس بذكرى فيصير

محمولا بعد أن كان حاملا (وعن) أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال ان لله تعالى ملائكة سيارة فضلاء يتبعون مجالس الذكر فاذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضا باجنحتهم حتى يملؤا ما بينهم وبين سماء الدنيا فاذا تفرقوا عرجوا وصعدوا الى السماء قال فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم من أين جئتم فيقولون جئنا من عند عباد لك في الارض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك قال وماذا يسألوني قالوا يسألونك جنتك قال وهل رأوا جنتي قالوا لا أي رب قال فكيف لو رأوا جنتي قالوا ويستجيرونك قال ومم يستجيروني قالوا من نارك رب قال وهل رأوا ناري قالوا لا قال فكيف لو رأوا ناري قالوا ويستغفرونك قال فيقول قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا قال يقولون رب فيهم فلان عبد خطاء انما مر فجلس معهم قال فيقول وله قد غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم (وعن) ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به الا احد قال مثل ما قال أو زاد عليه (وعن) أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله ﷺ قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت احد بأفضل مما جاء به الا احد عمل أكثر من ذلك ومن قال سبحان الله وبحمده مائة مرة في يوم حطت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر (وعن) سعيد بن ابي وقاص قال كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ فقال ايعجز احدكم ان يكتسب كل يوم الف حسنة فسأله سائل كيف يكتسب أحدنا الف حسنة قال يسبح مائة تسبيحة فيكتب له الف حسنة أو يحط عنه الف خطيئة (وعن) أبي سعيد الخدري ان رسول الله ﷺ قال استكثروا من الباقيات الصالحات قيل وما هن يا رسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (وقال) معاذ بن جبل ما عمل ابن آدم عملا انجى له من عذاب الله من ذكر الله (وروى) عن رسول الله ﷺ أنه قال يا ايها الناس ارتعوا في رياض

الجنة قيل وما رياض الجنة يارسول الله قال مجالس الذكر اغدوا وروحوا واذكروا من كان يحب ان يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده فان الله تعالى ينزل العبد منه حيث انزله بنفسه (ويروى) أن في الجنة ملائكة يغرسون الاشجار للذاكرين فاذا ترك الذاكر وقف الملك ويقول ترك صاحبي الذكر (وفي الحديث) يقول الله تعالى انا مع عبدي ماذكرني او تحرك بذكري شفتاه أيما عبد اطلعت على قلبه فرايت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه وانيسه (ويروى) ان بيوت الذاكرين لها نور يراه الملائكة بقدر مافيها من الذكر كما نرى نحن النجوم في السماء (وقال) سهل بن عبد الله ان الله تعالى يقول عبدي ما انصفتني اذكرك وتنساني وادعوك الى وتذهب الى غيري واذهب عنك البلايا وانت معتكف على الخطايا يا ابن آدم ماتقول غدا اذا جئتني (وقال) ذوالنون من ذكر الله على الحقيقة نسي في جنب ذكراه كل شيء وحفظ الله عليه كل شيء وكان له عوضا من كل شيء (ويقال) ذكر اللسان حسنات وذكر القلب قربات ودرجات (ويقال) الاشارة في قوله تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا اي أحبوا الله فان في الحديث من احب شيأ اكثر من ذكره فالمحب لاينسى محبوبه في بعد ولا قرب ولا وصل ولا هجر (وفي) التوراة يقول الله تعالى اذا كان الغالب على عبدي الاشتغال في جعلت نعيمه ولذته في ذكري فاذا جعلت نعيمه ولذته في ذكري احببته ورفعت الحجاب بيني وبينه لايسهوا اذا سها الناس أولئك كلامهم كلام الانبياء أولئك الذين اذا اردت باهل الارض عقوبة ذكرتهم فصرفت بهم عنهم (وفي) بعض الكتب يقول الله عز وجل يا ابن آدم اذا ذكرتني ذكرتك واذا تركتني تركتك والساعة التي لاتذكرني فيها عليك لالك (واوحى) الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود انا بدلك اللازم فالزم بدلك معناه انا الذي لا بدلك مني فالى اين تذهب عني هل يقدر غيري ان يغنيك اذا فقرتك او يستطيع احد ان يقربك ان ابعدتك كم يتعرف اليك من هو غني عنك وتتجاهل عنه مع فقرك اليه (قال) ابن عباس رضي الله عنهما جعل الله تعالى لجميع الطاعات أوقات محددة ولم يرض من الذكر الا بالكثير من غير تحديد اذكروا الله ذكرا كثيرا (وقوله) وسبحوه بكرة واصيلا التسبيح

الصلاة والذكر والبكرة ربع النهار الاول والاصيل ربع النهار الآخر هو الذى يصلى عليكم وملائكته صلاة الله تعالى رحمته وصلاته صلته وبره وثناؤه على عباده بما الهمهم من ذكره وصلاة الملائكة استغفارهم ودعاؤهم للمؤمنين ليخرجهم من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر والجهل والغفلة والخذلان الى نور الايمان والعلم والذكر والاحسان وفى الآخرة يخرجهم من ظلمات الموقف وشدائده الى نور الرضوان ونعيم الجنان تحيتهم يوم يلقونه سلام ينظرون الله عز وجل ويسمعون سلامه عليهم فيكمل لهم النعيم (قال) الله تعالى سلام قولا من رب رحيم (ويقال) فى قوله تعالى ولذكر الله اكبر فان الذكر بالقلب أفضل من العبادات مع الغفلة واكثر اجرا قاله سلمان الفارسى وقتادة وقيل معناه ان ذكر الله بالقلب ومراقبته والحياء من نظر الله تعالى أكبر زجرا ونهيا عن المعاصى من جميع الطاعات قال له عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه (وقال) ابن عباس وابو الدرداء ومجاهد وعكرمة معناه ذكر الله لكم اكبر من ذكركم لله (قال) الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان أى وسوسة من الشيطان تذكروا ان الله ناظر اليهم فاذا هم مبصرون (اللهم) يا ذا الجلال والاكرام ياعزيز لا تحيط بجلاله الاوهام يامن لا غنى لشىء عنه يامن لا بد لكل شىء منه يامن رزق كل شىء عليه ومصير كل شىء اليه يامن يعطى من لا يسأله ويجود على من لا يؤمله ها نحن عبيدك الخاضعون لهيبتك المتذللون لعزك وعظمتك الراجون جميل رحمتك امرتنا ففرطنا ولم تقطع عنا نعمتك ونهيتنا فعصينا ولم تقطع عنا كرمك وظلمنا انفسنا مع فقرنا اليك فلم تقطعنا مع غناك عنا يا كريم الهى ردنا اليك بفضلك ورحمتك ووفقنا للاقبال عليك والاشتغال بخدمتك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين وصلى الله على سيدنا وعلى آله وصحبه وسلم

## الفصل الرابع فى الفكر

الحمد لله الذى تقدس فى ازليته وابديته واحديته عن النظير والشبيه وتنزه فى جماله وجلاله وكماله عن مقالات اهل التمويه الغنى عن جميع خلقه فلا امد يحصره ولا أحد ينصره ولا اضياء يظهره ولا احتجاب يخفيه الواحد لا احد القدوس الصمد الذى لا شك فيه شهدت بكمال قدرته عجائب صنعته فكل ما سواه موجده ومدبره ومنميه الحى

العليم القدير السميع البصير الملك الكبير فلا مقرب لمن يبعده ولا مبعد لمن يدنيه المتكلم بكلام قديم أزلي جل عن التكييف ومن عطل او شبه فقد وقع في التيه حبب للمؤمن اثبات صفات الكمال والعجز عن ادراك الجلال فهذا القدر يكفيه ومن رام الوقوف على غاية او ظن المعرفة لها نهاية فقد تعدى طوره ومن حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه (اما المصنوعات) فالنظر فيها مقنع واما خطيب الوجود فقد بلغ واسمع واما وقوفك حيث اوقفك مولاك فأسلم وانفع رد نظرك في آلائه فهي آلات التنبيه السماء قبة مرفوعة فيها عجائب الاشكال ولا بقاء للاشكال اذا صح الدليل عند الفقيه انظر الى النجوم في طلوعها وارتفاعها وتوسطها وغروبها وهبوطها كل يشهد بحكمة مجريه والشمس في صعودها على سحائب النعم وكفت نحو الشمال وهبوطها نحو الجنوب ٣ والقمر في محاقه وتجليه والسحاب مسخرات بقدرته والرياح مبشرات برحمته وعطشان الارض يستسقي مولاه فيسقيه فاذا خرج الى رياض توقيع الكرم وكفت عليه سحائب النعم وكفت كفها فاختال كل غصن يميس في تثنيه فالنسيم يحرك عيدان الاشجار والشوق يستنطق اطيار الاوكار والروض يشرق اقطار الافكار فسبحان من يمنه ثم يثنيه فالعاقل اذا نظر في بدائعه ادرك بسره تسبيحه لصانعه والغافل يشغله ويلهيه جل ذو العز والجبروت وتبارك ذو الجلال والملكوت فله الثناء الذي لا يصل اليه العقل ولا يحصيه (احمده) وهو اهل الحمد والثناء والعز والكبرياء والمجد والآلاء بيده الخير فهو مانحه ومعطيه واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا نهاية لعلمه ولا معقب لحكمه ولا معارض له فيما يقضيه واشهد ان محمدا عبده ورسوله شفيع الامة وكاشف الغمة يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه صلى الله عليه وعلى آله واصحابه ومتبعيه ما تبسم وجه الارض ضاحكا بالنبات شاهدا بقدرة مبديه وانهمل دمع الغمام سائلا بالقطر دلالة على حكمة مبقيه (و في قول الله تعالى) اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون اولم ينظروا الى يتفكروا ويتدبروا في عجائب المملكة وبدائع ما في السمرات والارض ويتفكروا ما خلق الله من كل شيء فيجدوا فيه دلالة على حكم الله تعالى ويتفكروا في اقتراب

الآجال وانقطاع الآمال فيبادروا الى صالح الاعمال فبأى حديث بعد هذا القرآن يؤمنون والفكر فى المصنوعات من أعظم القربات (وروى) عن رسول الله ﷺ انه قال تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله فانكم لن تقدروا قدره (وقال) الحسن تفكر ساعة خير من قيام ليلة (وقال) ابراهيم بن أدهم الفكرة حجة العقل والقلب (وفى بعض) كتب الله المنزلة انى لست أقبل كلام كل حكيم ولكن انظر الى همه وهواه فان كان همه وهواه الى جعلت همته تفكرا وكلامه حمدا وان لم يتكلم (والفكرة على ثلاثة أقسام) الاول الفكر فى المصنوعات والاستدلال بها على الله تعالى وهو شأن العلماء بالله تعالى (والثانى) الفكر فى لطائف صنع الله وفواضل نعم الله وهو مادة الشكر لله (والثالث) الفكر فى الاعمال وتخليصها وهو شأن العابدين (قال) الفضيل رحمه الله تعالى الفكرة مرآة تريك حسناتك وسيئاتك (فاما) الفكرة فى المصنوعات فهو المراد فى هذه الاية وامثالها وأقرب المصنوعات اليك نفسك ففى نظرك الى خلقك وتركيبك وهيكلك وشهواتك وحواسك كفاية فى الاعتبار قال الله تعالى وفى أنفسكم أفلا تبصرون ثم فى كل جزء من المصنوعات دلالة كافية وعبرة شافية فان الله تعالى كان فى الاول وحده ثم خلق ما خلق (ويروى) ان الله تعالى خلق اللوح المحفوظ من درة بيضاء حافتاه من ياقوت احمر وخلق القلم من جوهرة طوله خمسمائة عام ثم نظر اليه نظرة هيبة فانشق نصفين نبع منه النور ثم قال له اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فكتب ثم قال له اكتب ما هو كائن الى يوم القيامة فاجراه الله تعالى فكتب ما هو كائن وان له ترجيعا بالتسبيح كالرعد وكتابته نور ثم خلق الله تعالى جوهرة خضراء غلظها غلظ السموات والارض ثم ناداها فاضطربت من هيبة الله تعالى فذابت فصارت ماء ثم اضطربت فارتفع منها زبد ودخان ثم خلق الله تعالى العرش جوهرة خضراء لا يوصف عظمها ولا نورها له قوائم بين كل قائمتين خفقان الطائر المسرع الف سنة وان العرش يكسى كل يوم سبعين الف لون من النور لا يستطيع أحد من الخلائق أن ينظر اليه وان للعرش الف لسان يسبح الله تعالى بانواع اللغات (ويروى) ان فى العرش مثال ما خلق الله تعالى فى البر والبحر فان كل انسان له تمثال تحت العرش فاذا عمل المؤمن حسنة تصور تمثاله كذلك فظهرت حسنته واذا عمل سيئة ارخى الله

تعالى ستراعلى صورته ليسترسيئته (وروى) ان الكرسى من لؤلؤة لايعلم طولها الا الله تعالى وان العرش خلق قبل الكرسى بالفى عام فالسموات والارض فى الكرسى كحلقة ملقاة فى فلاة والكرسى فى العرش كحلقة ملقاة فى فلاة ثم خلق الله تعالى الريح فكان العرش على الماء والماء على الريح ثم خلق الله تعالى حملة العرش اربعة ما بين كعب احدهم الى اسفل قدمه مسيرة خمسمائة عام يحملونه على كواهلهم فاذا كان يوم القيامة ايدوا بأربعة فهو قوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ثم خلق الله تعالى من الزبد الذى فوق الماء الارض طبقة واحدة ثم فتقها سبعا غلظ كل ارض مسيرة خمسمائة عام وبينها وبين التى تحتها خمسمائة عام ثم بعث الله تعالى ملكا من تحت العرش فهبط حتى دخل الارضين فوضعها على عاتقه وامسك اطرافها بيده فلم يكن لقدميه موضع قرار فاهبط الله تعالى من الفردوس نورا له اربعة آلاف قائمة فسنامه موضع قدمى الملك وقرون الثور خارجة من اقطار البحر وتحت الثور صخرة غلظها غلظ السموات والارض وهى الصخرة التى عناها لقمان عليه الصلاة والسلام بقوله يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة الآية والصخرة على الحوت وهو البهموت وتحت الحوت ماء وتحت الماء ظلمة وعندها انقطع علم الخلق (وروى) ان تحت كل ارض بحرا وتحت البحر السابع والارض السابعة جهنم وهى مغلقة فاذا فتحت يوم القيامة احرقت البحار السبعة (وروى) ان الارض كانت تميد على الماء فخلق الله تعالى الجبال رواسى تمنعها ان تميد وخلق جبلا محيطا بالدنيا من زمردة خضراء وهو جبل ق (وروى) ان خلف جبل ق ارضا من ثلج مسيرة خمسمائة عام ومثلها من برد ومن وراء ذلك جهنم ثم خلق الله تعالى الجنان وهى ثمان ثم خلق الله تعالى السموات سبعا غلظ كل سماء خمسمائة عام من نار وبين كل سماء وسماء كذلك فالسفلى السماء الدنيا فيها ملائكة خلقوا من نار وريح وعليهم ملك اسمه الرعد موكل بالمطر وتسبيحهم سبحان ذى الملك والملكوت (والثانية) فيها ملائكة بانواع شتى تسبيحهم سبحان ذى العزة والجبروت (والثالثة) فيها ملائكة ذوو اجنحة شتى ووجوه شتى وألسنة شتى رافعى أصواتهم يقولون سبحان الحى الذى لايموت (والرابعة) كلون الفضة فيها ملائكة عدد ملائكة السموات الثلاث التى تحتها مرتين

وهم قيام وركوع وسجود يقولون سبوح قدوس ربنا الرحمن لا اله الا هو وكذلك ملائكة كل سماء على الضعف من الذين تحتهم (والخامسة) كلون الذهب فيها ملائكة ركوع وسجود لا يرفعون ابصارهم الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة رفعوا ابصارهم ورؤوسهم وقالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك (والسادسة) من ياقوت احمر فيها الكروبيون جند الله الاكبر رافعي اصواتهم بالتهليل والتسبيح والتقديس عليهم ملك معه سبعون الف ملك كل ملك منهم معه سبعون الف ملك (والسابعة) من درة بيضاء فيها ملك له سبعمائة الف ملك كل ملك منهم له من الجنود كل عدد شئ خلقه الله تعالى فما في السموات السبع موضع الا وعليه وجه ملك ساجدا او قدم ملك قائما او راكعا (وروى) ابن مسعود ان بين السماء السابعة والكرسي مسيرة خمسمائة عام وبين الكرسي وبين العرش خمسمائة عام والعرش فوق ذلك كله لا يعلم منتهاه الا الله عز وجل (وروى) ان سدرة المنتهى اصلها تحت الكرسي واغصانها تحت العرش اليها ينتهي امر الخلائق تحت كل ورقة منها امة من الامم وعليها ملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى ومقام جبرائيل في وسطها (وروى) ان جبريل عليه الصلاة والسلام ترعد فرائصه من هيبة الله احيانا ويخلق الله تعالى من كل رعدة مائة الف ملك فهم صفوف قائمون ناكسوا رؤوسهم لا يؤذن لهم في الكلام فاذا كان يوم القيامة اذن لهم في الكلام فقالوا كلهم لا اله الا الله فهو قوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا فالصواب لا اله الا الله (وروى) ان جبرائيل له ستمائة جناح كلها مرصعة بالدر والياقوت وجلاجل الذهب محشوة بالمسك لكل جلجل صوت لا يشبه الآخر لو نشر جناحا من أجنحته لسد الافق وان اسرافيل له اثنا عشر الف جناح جناح بالمشرق وجناح بالمغرب والعرش على كاهله ورجلاه تحت الارض السابعة وانه اذا سبح عطل على الملائكة تسبيحهم لحسن صوته وانه يتصاغر احيانا من هيبة الله تعالى حتى يصير مثل العصفور فما يحمل عرش ربك الا قدرة ربك وهذا كله في قدرة الله تعالى كخلق خردلة قال الله تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة فمن نظر في المخلوقات بعين الاعتبار علم ان الله تعالى هو الاله الحق الاول الآخر الظاهر الباطن الواحد الاحد القدوس الصمد الحي العليم القدير المدبر السميع البصير المتكلم الملك الكبير اول

ليس له ابتداء وآخر ليس له انتهاء ظاهر يثبته العقل باطن لا يدركه الوهم كل مخلوق محصور بحد مأسور في سور بطود الخالق بائن مباين يعرف بعدم مألوف التعريف اين الازلي من الزائل ارتفعت لعدم الشبه الشبهة اتحد الاحد فهو احد انما يقع الاشكال في وصف من له الاشكال وانما تضرب الامثال لمن له امثال فاما من لم يزل ولا يزال فما للحس معه مجال عظمت عظمته عن نيل كف الخيال كيف يقال له كيف والكيف في حقه محال اني تتخايله الاوهام وهي صنعه كيف تحده العقول وهي فعله كيف تحويه الاماكن وهي وضعه انقطع سير الفكر ووقف سلوك الذهن وقصرت اشارة الوهم وعجز لطف الوصف وعشيت عين العقل وخرس لسان الحس لا طور للقدم في طور القدم عز المرقى فبئس المرتقى بحر المعرفة لا يتمكن منه غائص وليل لا يتبين للحس فيه كوكب

مرام شط مرمى العقل عنه  فدون مرامه بيدا تبيد

جادة التسليم سليمه وادي النقل بلا نفع انزل عن علو غلو التشبيه ولا تعل قلل اباطيل التعطيل فالوادي بين الجبلين المشبه اعشى والمعطل اعمى ما عرفه من كيفه ولا وحده من مثله ولا عبده من شبهه بما ينزه عنه وما يجب نفيه عنه. جل وجوب وجوده عن وصم لعل سبق الزمان فلا يقال متى كان تمجد في وحدانيته عن زحام مع تفرد بالانشاء فلا يستفهم عن الصانع بمن ابرز عرائس المخلوقات من كن بت الحكم فلا يعارض بلم تعالى عن بعضية من وتقدس عن ظرفية في وتنزه عن شبه كأن وتعاظم عن نقص لوان وعز عن عيب الاان وسما كماله عن تدارك لكن ان وقف ذهن بوصف صاح العز جز وان صار الفكر نحوه قالت الهيبة عد وان قعد القلب عن ذكره قال الشوق قم وان سكت المذنب حياء قال الحكم قل لا ينال عظمته سانح تمثيل ولا يدرك قعر بحر حكمته سابح تخييل منزه الذات عن الشبه والند والضد والمثل والعديل ثابت الصفات وقد ضل اهل التعطيل جال الفكر حول حمى قدسه ثم رجع كالذليل سار الوهم يجول في حندس الحس نحو انيته فسد في وجهه السبيل وتاه في عرصة النادي وحار الحادي وضل الدليل احدي الذات قديم الوجود ازلي الصفات بذاته فوجود صفاته كذاته فلا وجه للجحود كف الكيف مشلولة وباب التشبيه مسدود تنزهت عن المثلية ذاته

وتقدست عن الكيفية صفاته وتعالت عن شبه الشكوك بيناته ووضحت للعيون والعقول آياته سبق الاشياء كلها فكلها مصنوعاته عرى دليل وجوده عن لباس الالباس وعز باظهار عزته عن مماثلة الانواع والاجناس وتعالى عن اثبات صفة من صفاته بالمشابهة والقياس ويئس الحس عن ادراكه فرجع حسيرا منكسر الرأس فسبحانه من اله تنزه فى ذاته عن مساواة المعلومات ومضاهاة العلل وتعالى من قيوم تقدس فى ذاته وصفاته عن الشبه والضد والند والمثل لايجوز عليه الحركات ولا تغيره النقل يفعل ولا يقال للهالك لم فعل عدل فى حكمه فهامال ولا عدل احاط بكل شىء علما فانسى ولا غفل اظهر فى تكوين الكائنات اسرار ماحكم فى الازل من الخلق والخلق والسعادة والشقاوة والرزق والاجل تنزهت حكمته ان توهن قاعدتها مرامى منجنيق الاعتراض فقد جلت عن خلل فى اسره مصارع الابطال وفى قبض قهره تصرف الهدى والضلال فمن ضمن علمه عدد الحب والنوى والقطر والندر والرمال عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال

## الفصل الخامس فى ذكر النبى ﷺ

الحمد لله الذى نظم عقود المصنوعات فهى الشاهدة بألهيته متفقه وبين بحدوثها قدم صفاته فالعقول على كمال علمه وقدرته مطبقه وباين بارادته بين صفاتها فهى بتصريف ارادته مفترقة فالسماء كانها قبة لازوردية والنجوم فيها قناديل معلقة والشمس كالملك والقمر كالوزير والنجوم حوله جنود محدقه والارض قبل نزول الغيث كالفقير المسكين فهى بالحرارة واليبس محترقة فاذا ساقت اليها يد الانعام تحف الغمام سقاها من الماء عذبه فالان يابسها وزان يابسها ونسج طرازها فاحسن رونقه فالرياض تهتز من طرب الوصال والاغصان تميل فى حلل الجمال ونسيم السحر يفتح من الزهر مغلقه وخطيب الازهار والاطيار على منابر الاوكار يغرد فى الاسحار بنغمات العز مطلقه والاكوان كلها تنادى بلسان الحال تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام الذى خلق الانسان من نطفة ثم من علقة وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة والافكار تسرح فى رياض آلائه فاذا انتهت الى حمى كبريائه رجعت قاصرة معترفة مطرقه فسبحان من حجب الاوهام

عن الاحاطة بصمديته فهي في بحار تعظيمه مغرقة وفتح باب كرمه الى القاصدين اذا ظلت ابواب غيره مغلقه وقبل توبة من اناب اليه واقلع عن افعاله الموبقه وسمع شكوى العبد الضعيف اذا لاذ بحماه الشريف يطلب الصدقة فاجاب سؤاله وحقق آماله وآمن خوفه ومن عليه واعتقه وشرف نوع الانسان عن جنس الحيوان بما الهمه من البيان وانطقه واكرم المؤمن بتحف الايمان والعرفان فهداه ووفقه ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذي احسن كل شئ خلقه (احمده) على آلائه التي اصبحت القلوب بصفائها مشرقة واضحت الاسرار بهائها رياضا مونقه (واشهد) ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا راد لامره فنفوس الخائفين من سطوته مشفقة وقلوب العارفين بعروة كرمه الوثقى متعلقة (واشهد) ان محمدا عبده ورسوله ارسله بحق شرعه وشرع حقه واخمد بنور برهانه لهب الباطل وازهقه ودمغ بسيف تحقيقه دماغ البهتان فازال بخسه ورهقه صلى الله عليه وعلى آله واصحابه ومن آمن به وصدقه كما اكمل نعمه لديه بحسن خلقه وخلقه (في قول الله سبحانه وتعالى) يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا (فضائل) رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر من ان تحصى ومعجزاته ومناقبه ومحاسنه لا تستقصى (شعرا)

فبالغ واكثر لن تحيط بوصفه ... فاين الثريا من يد المتناول

نعم ذكره يزيد في الايمان ويضئ القلوب والاسرار بانوار العرفان فان الله تعالى جعل محبته مشروطة بمحبته وطاعته منوطة بطاعته وذكره مقرونا بذكره وبيعته معقودة ببيعته قال الله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال الله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقال تعالى ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال تعالى ورفعنا لك ذكرك. قال رسول الله ﷺ اتاني جبريل فقال ان الله ربي وربك يقول اتدري كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي ويقال معناه جعلت تمام الايمان بذكرك معي ويقال معناه جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني ومن اثبتك اثبتني ومن انكرك فاعرفني ويقال معناه لا يذكرك احد بالرسالة الا وذكرني بالربوبية وقال رسول الله ﷺ اول نور خلقه الله نوري (وروى) أن الله تعالى لما خلق العرش كتب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله بالنور

فلما خرج آدم من الجنة رأى على ساق العرش وعلى كل موضع فى الجنة مكتوبا اسم محمد مقرونا باسم الله تعالى فقال يارب هذا محمد من هو فقال الله تعالى ولدك الذى لولاه لما خلقتك فقال يارب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد فنودى يا آدم لو تشفعت الينا بمحمد فى اهل السموات والارض لشفعناك (واعلم) ان معجزات رسول الله ﷺ كثيرة واعلاها قدرا واوضحها ذكرا هذا القرآن العزيز الذى عجزت الفصحاء عن معارضته وأيست العقلاء عن الاتيان بشئ من مثله (فمن) اعجازه حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته وايجازه وبلاغته (ومن اعجازه حسن تصرفه واسلوبه الذى لا يشبهه نظم ولا نثر (ومن) اعجازه ما اخبر من المغيبات المستقبلة فوقع كما اخبر (ومن) اعجازه ذكر قصص الماضين مع كون النبى ﷺ اميا لم يقرأ الكتب ولم يخالط علماء اهل الكتاب وكذلك ما فيه من ذكر الملكوت الاعلى والملائكة وذكر القيامة وما فيها وذكر الجنة والنار ونحو ذلك (ومن) اعجازه انقطاع الاطماع عن معارضته وعجز العقول عن مقابلته مع فصاحة اهل زمانه وشدة عداوتهم وماذا قوافى القتال من الاهوال والنزال ولم تخطر لهم المعارضة على بال. ثم ومن آيات رسول الله ﷺ انشقاق القمر بمكة حين سألوه ذلك فانشق فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه ورآه اهل الآفاق كلهم كذلك وفيه انزل الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر (ومن) آياته انه اسرى به فى ليلة واحدة من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى راكب البراق وجمعت له الانبياء كلهم وصلى بهم اماما ثم عرج به من بيت المقدس الى السماء ففتحت له كل سماء وسلم عليه من فيها من الملائكة حتى جاوز السموات السبع ووصل الى سدرة المنتهى ثم جاوزها الى ان وصل الى مقام يسمع فيه صرير الاقلام فوقف موقف الكرامة والزلفى واقيم فى مقام النجوى فكان فى قرب الاكرام قاب قوسين او أدنى فسمع خطاب العلى الاعلى ورأى من آيات ربه الكبرى وفرضت عليه الصلوات الخمس ثم رجع فى بقية ليلته الى مكة ورد بذلك القرآن وانتشرت بفضله الاخبار واستمرت على ذلك الآثار (ومن) آياته نبع الماء من بين اصابعه وتكثير قليله ببركته فى اوقات كثيرة رويت باحاديث صحيحة احدها انهم كانوا بالزوراء عند سوق المدينة وجاءت صلاة العصر فوضع يده فى آناء فتوضأ منه نحو ثلثمائة رجل قال أنس فرأيت الماء ينبع من بين

اصابعه وروى ابن مسعود قال كنا مع رسول الله ﷺ وليس معنا ماء فقال اطلبوا من معه فضل ماء فأتى بماء فصب فى اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين اصابعه (وروى) جابر قال عطش الناس يوم الحديبية فاتوا الى النبى ﷺ فشكوا اليه ذلك وكانت بين يديه ركوة فيها ماء قليل فوضع يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون قيل لجابر كم كنتم قال لو كنا مائة الف لكفانا نحن كنا خمس عشرة مائة يعنى الفا وخمسمائة (وروى) جابر ايضا ان الناس عطشوا فى غزوة بواط فامر بجفنة فوضعت والتمسوا فوجدوا قليلا من الماء فصبه فيها وبسط يديه فيها وفرق بين اصابعه ثم سارت الجفنة واستدارت حتى امتلأت واستقى الناس حتى اكتفوا (وروى) معاذ بن جبل ان النبى ﷺ اتى عين تبوك وهى تبض بشىء من ماء فغرفوا منها شيئا يسيرا فغسل به وجهه ويديه واعاده فيها فانخرق من الماء ماله حس كحس الصواعق وجرت عينا معينا بماء كثير ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة ان ترى ما ههنا قد ملىء جنانا وكان كذلك. وغرس سهما من كنانته فى قليب ليس فيه ماء فجرى بماء كثير حتى اكتفى الناس يوم الحديبية (وروى) ان ابا طالب قال للنبى ﷺ فى بعض اسفاره ليس معى ماء فضرب بقدمه الارض فخرج الماء والاحاديث فى هذا كثيرة صحيحة ذكرنا بعضها (ومن آياته) البركة فى الطعام القليل حتى كفى الجم الكثير وبقى الزمان الطويل دخل ﷺ على ابى طلحة وعندهم اقراص من شعير فامر بها ففتت وعصروا عليها سمنا وقال ماشاء الله ان يقول ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فاكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا وأذن لعشرة كذلك حتى اكل القوم وهم نحو ثمانين رجلا (وصنع) جابر يوم الخندق صاعا من شعير فاطعم منه الف رجل وخرجوا والطعام لم ينقص منه واعطى رجلا نصف وسق من شعير فقام به واهله وضيفه زمانا طويلا حتى كاله: وصنع أبو أيوب الانصارى للنبى صلى الله عليه وسلم وابى بكر الصديق من الطعام قدر كفايتهما ودعاهما فأمره النبى ﷺ أن يدعو ثلاثين من الانصار فدعاهم فأكلوا حتى تركوه قال ادع ستين فدعاهم فأكلوا ثم قال ادع تسعين قال ابو ايوب فأكل من طعامى مائة وثمانون رجلا (وروى) سمرة ابن جندب قال اتى النبى ﷺ بقصعة فيها لحم فتعاقب القوم من غدوة الى

الليل يأكل منها قوم بعد قوم وأطعم جميع أهل الصفة من صحفة قال ابو هريرة رضى الله عنه وخرجنا وتركناها كما وضعت الا ان فيها أثر الاصابع وسقاهم كلهم من قدح لبن وخرجوا وتركوه بحاله (وروى) عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أن النبى ﷺ دعا بنى عبد المطلب وكانوا اربعين رجلا منهم من يأكل الجذعة ويشرب الفرق فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا منه حتى شبعوا وبقى كما هو ثم دعا بعس فسقاهم فشربوا حتى تركوه وكانه لم يشرب والعس اناء يروى ثلاثة أو اربعة (وروى) أنس ان النبى ﷺ صنع طعاما ودعا أصحابه فتوارد على الطعام نحو ثلثمائة فاكلوا كلهم ثم قال لى ارفع فلا ادرى حين وضعت كان اكثر او حين رفعت (وروى) ابو هريرة ان النبى ﷺ فى بعض أسفاره وكان فى مخمصة قال له هل من شىء قلت نعم شىء من التمر فى المزود قال فاخرج بيده قبضة فبسطها ودعا بالبركة فاكل منها الجيش حتى شبعوا كلهم ثم قال خذ ما جئت به وادخل يده وقبض منه فقبضت على اكثر مما جئت به قال ابو هريرة فلم ازل آكل منه واطعم فى حياة رسول الله ﷺ وخلافة أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله تعالى عنهم حتى قتل عثمان فانتهبت منى (وجاع) الناس فى غزوة تبوك فامرهم بجمع أزوادهم فجمعوا تمرات يسيرة فاطعمهم منها وملؤا مزاودهم وهى بحالها حين وضعت والاخبار فى هذا الباب ايضا كثيرة (ومن آياته) كلام الشجر واجابتها دعوته (وروى) ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ وجد فى بعض أسفاره اعرابيا فدعاه الى الاسلام فقال له من يشهد على ما تقول فقال النبى ﷺ هذه الشجرة ثم دعا بشجرة فاقبلت تخد الارض حتى قامت بين يديه وقالت أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله ثلاث مرات ثم رجعت الى مكانها (وعن) بريدة الاسلمى أن أعرابيا سأل النبى ﷺ أن يريه آية فقال له قل لتلك الشجرة ان رسول الله ﷺ يدعوك قال فجاءت تجر عروقها حتى وقفت بين يديه وقالت السلام عليك يا رسول الله ثم أمرها فرجعت الى مكانها (وفى حديث) جابر أن النبى ﷺ دعا شجرتين مفترقتين فاجتمعتا ثم أمرهما فرجعت كل واحدة الى مكانها والاخبار ايضا فى هذا كثيرة صحيحة (ومن هذا الباب) حنين الجذع وذلك ان النبى ﷺ كان يستند الى جذع ويخطب فلما صنع له المنبر وخطب عليه حن له ذلك الجذع وتشقق

وسمع الناس له بكاء حتى بكى الناس ببكائه فدعاه النبي ﷺ فجاء يخد الارض فالتزمه ثم أمره فعاد الى مكانه روى هذا الحديث بضعة عشر من اكابر الصحابة (ومن آياته) نطق الجمادات له وقد اشتهرت بذلك الاخبار قال أنس اخذ النبي ﷺ كفا من حصى فسبح في يده حتى سمعنا التسبيح وقال ابن مسعود كنا نأكل الطعام مع النبي ﷺ ونحن نسمع تسبيحه وقال علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه كنا مع النبي ﷺ بمكة فخرج الى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا وقال السلام عليك يا رسول الله (ومن آياته) ما روي عن عمر رضي الله عنه ان النبي ﷺ كان في محفل من اصحابه اذ جاءه رجل من بني سليم بضب فطرحه بين يديه وقال لا أؤمن بك حتى يؤمن بك هذا الضب فقال له النبي ﷺ يا ضب فقال بكلام حنين حتى سمعه القوم كلهم لبيك وسعديك يازين من وافى القيامة قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن انا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين قد افلح من صدقك وقد خاب من كذبك فاسلم الاعرابي (وروى) ابو هريرة وابو سعيد وغيرهما ان الذئب كلم راعيا واخبره بمبعث النبي ﷺ فجاء فاسلم (ومن المشهور) كلام الذئب لاهبان بن اوس وكان يرعى غنما فوقف عنده وقال العجب منك وانت واقف عند غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله قط نبيا اعظم منه قدراً قد فتحت له ابواب الجنة واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود الله تعالى فذهب واسلم (وروى) ابن وهب رضي الله تعالى عنه ان ابا سفيان وصفوان بن امية وجدا ذئبا يطلب ظبياً حتى دخل الظبي الحرم فوقف الذئب فتعجبا منه فقال لهما الذئب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله ﷺ بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار (ومن المشهور) ان جملا شكا الى النبي ﷺ ان اصحابه استعملوه زمانا طويلا فلما كبر ارادوا نحره فشفع فيه رواه جماعة من الصحابة (ومن آياته) كلام الظبية التي اطلقها من يد الصياد لترضع اولادها فذهبت وهي تقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله (وكذلك) كلام الحمار الذي اصابه يوم خيبر (وروى الواقدي) ان النبي ﷺ وجه ستة نفر من اصحابه في يوم واحد رسلا الى ملوك ستة ذوي لغات شتى فاصبح كل واحد منهم

يتكلم بلسان القوم الذين بعث اليهم (ومن المشهور) كلام الشاة المسمومة له حين صنعتها له يهودية بخيبر وأتى بصبي في حجة الوداع يوم ولد فقال له من أنا فقال رسول الله فقال صدقت بارك الله فيك فسمي مبارك اليمامة وكان ثابت بن قيس قد قتل باليمامة ودفن فسمعه الناس حين وضع في قبره يقول محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم (ومن آياته) ابراء ذوي العاهات (روى) ان قتادة بن النعمان اصيبت عينه يوم أحد فخرجت على وجنته فردها النبي ﷺ فعادت أحسن ما كانت وقال أبو قتادة اصابني في وجهي سهم فتفل فيه رسول الله ﷺ فما ضرب علي ولا قاح وأتاه اعمى فسأله رد بصره فأمره ﷺ أن يصلي ركعتين ويقول اللهم اني اسئلك واتوجه اليك بمحمد نبي الرحمة أن ترد علي بصري ففعل فرد الله تعالى بصره وتفل في عين علي رضي الله تعالى عنه يوم خيبر وكان به رمد شديد فبرئ من وقته (وكذلك) تفل في جرح سلمة بن الاكوع وفي ضربة سيف في زيد بن معاذ (وكذلك) معوذ بن عفراء قطعت يده يوم بدر فألصقها النبي ﷺ وتفل فيها فعادت كما كانت (ومن آياته) اجابة دعائه فيمن دعا له فتلحق بركة دعائه الرجل وولده وولد ولده (ومن آياته) دعاؤه في الاستسقاء وغيره ونفوذ دعوته فيما دعا عليه وهذا الباب اعظم من أن يحصى وقد ورد فيه اخبار كثيرة في كتب الائمة المبسوطة نحو كتاب الشفا في تعريف حقوق المصطفى للقاضي أبي الفضل عياض رحمه الله تعالى (ومن آياته) ما ورد من ذكره في كتب الله كالتوراة والانجيل وما بشر به علماء أهل الكتاب قبل مبعثه وما نطقت به الكهان وهتف به هواتف الجان وقد جمع عبد الله بن طفر كتابا باسماء خير البشر بخير البشر (ومن فضائله) ما وصفه الله تعالى في كتابه العزيز من حسن اخلاقه وما حلاه به من المكارم وما خصه به من المحاسن وادخر له من الوسيلة والشفاعة يوم القيامة والمقام المحمود والحوض المورود والكوثر وغير ذلك فتأمل تجد ذلك في كتاب الله العزيز كثيرا فهو الشاهد لمن آمن به واهتدى وعلى من جحد واعتدى والبشير بالثواب لمن اطاع مولاه والنذير بالعقاب لمن آثر هواه والداعي الى الله باذنه اظهارا للحجة والسراج المنير لمن آمن به واستضاء بنوره فابصر المحجة لم يزل نوره ﷺ من زمن آدم عليه الصلاة والسلام مستور الصورة منشور الذكر عرفه آدم فتوسل به

وأخذ ميثاق جميع الانبياء له أخذ صفوة آدم ونوح نوّح في بعض درسه علم ادريس في ضمن وجده حزن يعقوب في سر وجده صبر أيوب في طي جوفه بكاء داود بعض غنى نفسه يزيد على ملك سليمان حاز خلة الخليل ونال تكلم موسى الكليم وزاد رفعة على الملكوت الاعلى فكان برهانه أوضح واجلى فهو واسطة العقد وزينة الدهر يزيد على الانبياء زيادة الشمس على البدر والبحر على القطر فهو صدرهم وبدرهم قطب ولايتهم عين كتيبتهم واسطة قلادتهم نقش فصهم بيت قصيدتهم نقطة دائرتهم شمس ضحاهم هلال ليلهم تحرك لتعظيم هيبته السواكن فحن اليه الجزع وسبح في كفه الحصى وتزلزل الجبل وتكلم الذئب والجمل نظر المشركون الى صورته دون معناه فقالوا ولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم مرضوا لقوة الحسد فرأوه بغير عينه يا محمد هذا نقش ترهاتهم لا لون وجهك يا أيها المزمل يا أيها المدثر يا طيب ثمار كن يا محمود لا عنه بقل قم أنت امام الارض فاصعد الى الملكوت الاعلى لتكون امام اهل السماء يا لها من ليلة قل فيها علت آية الارض على آية السماء فأقبلت رؤساء الملائكة يحيون الرئيس الاكبر فنوره أنور وبرهانه أزهر وسره أظهر وفضله وقدرته أعلى وذكره أحلى وصورته أجمل ودينه أكمل ولسانه أفصح ودعاؤه أنجح وعلمه أرفع ونداؤه أسمع وحوائجه أقضى وشفاعته أمضى نصره مؤيد واسمه محمد جسمه أعبد ورسمه أوحد واسمه أحمد هو حبيب المولى وهو بالمؤمنين أولى صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم

## الفصل السادس في القيامة ومقدماتها

الحمد لله الذي نور بجميل هدايته قلوب أهل السعادة وطهر بكريم ولايته أفئدة الصادقين فاسكن فيها وداده وحرس سرائر المؤمنين فطرد عنها الشيطان وذاده ودعاها الى ماسبق لها من عنايته فاقبلت منقاد الذي بين أدلة معرفته فتحققت قلوب المؤمنين وجوده ووحدانيته وقدمه وبقاءه وانفراده الحميد المجيد الموصوف بالحياة والعلم والسمع والبصر والكلام والقدرة والارادة شهد الله أنه لا اله الا هو وفق من شاء لهذه الشهادة القدوس الذي لا يدركه كيف ولا يحيط به أين ولا تدرك صفاته بالقياس والعادة وفق من اراد كرامته فالهمه رشاده وايقظه بحسن نظره فتذكر معاده ويسر له سبيل طاعته فحصل زاده وتولاه برعايته فأعطاه أمله وزاده وخذل

من شاء بحكم قهره فجعل حظه بعاده وادار دائرة السوء على من كفر به وأباده واهلك القرون الاولى من قوم نوح وشدالوطأة على عاد وشداد فلم ينفعه ماشاده واهلك حجر ثمود فطمس عيونه وأتماده وسلط بعوضة على نمرود فنعه مراده وزعزع ملك فرعون وقلع أوتاده وأخمد نار أبي جهل وقد كانت بالجهل وقادة ومزق الوليد بعد التمهيد فدمره بعد ان كثر ماله واولاده وعجل عقوبة عقبة وكذا عاقبة من أسلم لهوى قياده فكم مغرور بدنياه اراده وأزال اعتماده وعاجله ريب المنون فاجيح زرعه قبل ان يبلغ حصاده فسبحان من اعطى ومنع وخفض ورفع ووصل وقطع ومهد لمن ارتضاه فاحسن مهاده (احمده) على ما اولى من فضل وافاده واشكره معترفا بان الشكر منه نعمة مستفاده (واشهد) ان لااله الاالله وحده لاشريك له شهادة وعد قائلها الحسنى وزياده (واشهد) ان محمدا عبده ورسوله الذى اقام به منار الايمان ورفع عماده وازال به سنان البهتان ودفع عناده صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الذين استخلفهم على دينه وملكهم قياده واوضح بهم حجج الدين واحكام العبادة (فى قول الله عز وجل كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) ذكر الموت عون على الزهد فى الدنيا والرغبة فيما عند الله تعالى (قال) رسول الله ﷺ كفى بالموت واعظا (وقال) رسول الله ﷺ اكثروا من ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد فى الدنيا (وسئل) رسول الله ﷺ عن اكيس الناس فقال اكثرهم لموت ذكرا واشدهم له استعدادا أولئك الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة (وقال) الحسن فضح الموت الدنيا فلم يترك لذى لب فرحا (وكان) عمر بن عبد العزيز يجمع الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة ثم يبكون حتى كأن بين ايديهم جنازة (وكان) الحسن البصرى لايذكر فى مجلسه الاالموت والآخرة والنار (وقال) سفيان الثورى رأيت فى مسجد الكوفة شيخا يقول انا منذ ثلاثين سنة فى هذا المسجد انتظر الموت ان ينزل بى فلو اتانى ما امرت ولا نهيت عن شىء ومرض اعرابى فقيل له انك تموت فقال الى اين يذهب بى قالوا الى الله تعالى قال كيف اكره ان اذهب الى من لا ارى الخير الا منه وهذا حال من كان يتهيأ للموت ولا يشتغل بالدنيا فاما من كان غافلا عن الآخرة

حتى يأتيه الموت على غرة فانما يجد لقدومه غمار حسرة (وقال) وهب بن منبه ركب ملك من الملوك فاعجبه ماهو فيه من زينة الدنيا وكثرة الغلمان والاعوان والملابس الحسان فامتلأ تيها وكبرا فبينما هو كذلك اذ جاءه شخص رث الهيئة فسلم عليه فلم يرد عليه السلام فأخذ بلجام فرسه فقال له ارسل اللجام فلقد تعاطيت امرا عظيما فقال ان لى اليك حاجة اسرها اليك فأدنى اليه رأسه فساره وقال له انا ملك الموت فتغير لونه واضطرب لسانه وقال دعنى حتى ارجع الى اهلى فأودعهم فقال لا والله لا ترى اهلك ابدا فقبض روحه فوقع كانه خشبة ثم مضى ملك الموت فرأى عبدا مؤمنا يمشى فى الطريق فسلم عليه فرد عليه السلام فقال ان لى اليك حاجة وساره وقال انا ملك الموت فقال مرحبا واهلا بمن طالت غيبته والله ما من غائب احب الى ان القاه منك فقال ملك الموت امض حاجتك التى خرجت اليها فقال والله ما من حاجة احب الى من لقاء الله تعالى قال فاختر اى حالة اقبض روحك عليها فقد امرت بذلك فقال دعنى اصلى واقبض روحى فى السجود فصلى فقبض روحه وهو ساجد (وقال) ابو بكر بن عبد الله المدنى جمع رجل من بنى اسرائيل اموالا كثيرة فلما اشرف على الموت امر باحضار امواله فنظر اليها وبكى فقال له ملك الموت ما يبكيك والله ما انا خارج حتى افرق بين روحك وبدنك قال فامهلنى حتى افرق اموالى قال هيهات انقطعت المهلة هلا كان ذلك قبل حضور اجلك فقبض روحه (وروى) ان رجلا جمع اموالا كثيرة وصنع يوما طعاما لاهله وقعد على سريره وهم بين يديه يأكلون وقد وضع رجلا على رجل وهو يقول لنفسه تنعمى فقد جمعت لك ما يكفيك فبينما هو كذلك اذا قبل ملك الموت فى زى مسكين فقرع الباب فخرج اليه بعض الغلمان فقالوا له ما حاجتك قال ادعوا الى سيدكم فانتهروه وقالوا له مثلك يخرج اليه سيدنا فقال نعم فجاؤا واخبروا سيدهم بذلك فقال هلا ضربتموه فعادوا وقرع الباب قرعا شديدا فخرجوا اليه فقال اخبروا سيدكم انى ملك الموت فلما سمعوا وقع على الجميع الذل ودخل ملك الموت عليه فاحضر امواله ونظر اليها تحسر اواسفا وقال لعنك الله من مال انت شغلتنى عن عبادة ربى فانطق الله اليه المال فقال لم تسبنى وقد كنت تدخل على الملوك بى وترد المتقين عنى وقد كنت تنفقنى فى سبيل الشر فلا امتنع منك ولو انفقتنى فى سبيل الخير لنفعتك ثم قبض ملك الموت روحه وانصرف (وقال) يزيد الرقاشى بينما جبار من الجبابرة فى

بيته اذ دخل عليه شخص فثار اليه مغضبا وقال من أنت ومن ادخلك داري فقال أما الذي ادخلني الدار فهو ربها واما انا فالذي لا يمنع مني الحجاب فارتعد الجبار ووقع ثم قام وقال انت اذا ملك الموت قال نعم قال امهلني حتى احدث عهدا قال هيهات انقطعت مدتك وانقضت انفاسك قال والى أين يذهب بي قال الى عملك الذي قدمته وبيتك الذي مهدته قال فاني لم اعمل عملا صالحا قال فالى لظى نزاعة للشوى ثم قبض روحه (وقال) عطاء بن يسار يدفع الى ملك الموت ليلة النصف من شعبان صحيفة فيها اسم من يموت في تلك السنة (وروى) ان سليمان عليه الصلاة والسلام سأل ملك الموت عن عدله بين الناس في قبض الارواح فقال انما هي صحف تلقى الى فيها اسماء (وروى) ان الارض بين يديه كالمائدة يتناول منها حيث يشاء ويقال ان ملك الموت يقبض الارواح ثم يسلمها لملائكة الرحمة أو لملائكة العذاب فهو قوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم قال توفته رسلنا قيل معناه ان الرسل تأخذ الروح من ملك الموت والقابض على الحقيقة هو الله تعالى قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها واعلم ان الموت مفارقة الروح الجسد فالروح باقية مدركة منعمة في الجنة او معذبة في النار واول ما تدرك الروح عند مفارقة الجسد تختلف بحال الانسان فالمؤمن المقبل على الله المتنعم بذكره كان جسده سجنا لروحه وحيا ان طريقا الى مقصوده وليس له في الدنيا الا بلغة يتزودها في سيره فاذا مات فقد خرج من السجن ووصل الى محبوبه الذي كان يتنعم بذكره ولم يبال بما تركه من الزاد بعد ان عاين مطلوبه ثم ينكشف له ثواب طاعته فيتم سروره وبالعكس منه من كان غافلا عن المولى معرضا عن الاولى مشتغلا بالدنيا متنعما بزهراتها فهو كسارق دخل دار الملك فجعل يأكل ويشرب ويلهو وتمسي صولة الملك وبطشه فاذا اخذه الملك وأزعجه عن داره تحسر عن مفارقة ما كان فيه من اللذات وانكشف له عاقبة ما قدم من الجنايات (قال الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) أي آمنوا واتقوا تتنزل عليهم الملائكة أي ملائكة الرحمة عند قبض ارواحهم يقولون لا تخافوا وما بين ايديكم فان مصيركم الى رحمة الله تعالى ويحضرون معهم ريحان من ريحان الجنة وحرير من حريرها ولا تحزنوا على ما فارقتم من الدنيا فقد صرتم الى احسن مما كنتم فيه وابشروا

بالجنة التي كنتم توعدون (ويروى) ان الملائكة يقولون للمؤمن السلام عليك
ياولي الله أبشر بالجنة فحينئذ يحب لقاء الله تعالى وهو قوله ﷺ من احب لقاء الله
احب الله لقاءه (وروى) ان ملك الموت يقول انا بكل سخي رفيق (وروى) ان الله
تعالى اذا اراد قبض روح المؤمن قال لملك الموت اذهب فأتني بروح وليي فحسبي من
عمله اني قد بلوته في السراء والضراء فوجدته حيث أحب فيذهب ملك الموت ومعه
مسك من الجنة وحرير ابيض ويهبط في اثره خمسمائة ملك مع كل واحد ريحان من
الجنة فيحدقون بالولي ويقول له ملك الموت ياولي الله ارتحل من الدنيا الدنية فليست
لك بموطن فملك الموت باستخراج روحه الطف من الوالدة الشفيقة بولدها ثم يرفعها
لملائكة الرحمة فيصعدون بها الى السماء فتفتح لها ابواب السموات وتستغفر لها
الملائكة وتفوح لها رائحة كرائحة المسك حتى توقف بين يدي الله تعالى فيقول الله
تعالى مرحبا بالنفس الطيبة ابشري برحمة ثم يؤمر بها فيعرض عليها مقعدها من الجنة
ثم ترد الى الميت عند مسئلة منكر ونكير فيعود حيا كما كان ويسئل عن الايمان بالله
تعالى والرسول فيثبته الله تعالى بالقول الثابت كما اخبر سبحانه فاذا شهد بالوحدانية
والرسالة نادى منادٍ صدق ونفعه الصدق فيفسح له في قبره ويفتح له باب الى الجنة يجد
منه لذة النعيم وتخرج الروح فتكون في عليين جنة المأوى عند سدرة المنتهى في
صدور طير بيض وخضر تسرح حيث تشاء وتزور القبر يوم الجمعة فتكون عليه فالروح
منعمة مدركة والجسد في التراب وان فني وتلاشى فان الله تعالى قادر أن يخلق فيه
ادراكا كما يشاء وفي الحديث ان الملكين يقولان للمؤمن ثم نمنيا فقد كنت تقول
ذلك من قبل فوالله ما نومته تلك الى ان ينفخ في الصور الا كنومة نامها أحدكم ثم
استيقظ قبل أن يرى رؤيا واما الفاجر فتحضره ملائكة العذاب ومعهم اغلال
ومسوح من النار فتخرج روحه بعنف وشدة وتدفع لملائكة العذاب فيصعدون بها
فتفوح لها رائحة خبيثة وتلعنها الملائكة وتغلق دونها أبواب السماء وترد الى الجسد
عند سؤال منكر ونكير فيفتن في قبره ولا يشهد بالحق فيفتح له باب من النار فيكون
الجسد معذبا الى يوم القيامة والروح محبوسة في سجين صخرة سوداء على شفير جهنم
تحت الارض السابعة فاذا أراد الله تعالى ان يميت جميع الخلائق عند انقضاء الدنيا امر

اسرافيل عليه الصلاة والسلام ينفخ في الصور وهو قرن في فمه عرض القرن عرض السموات والارض فينفخ فيه نفخة فيموت كل من في السموات والارض الا من شاء الله وهم جبرائيل واسرافيل وميكائيل وعزرائيل عليهم الصلاة والسلام فانهم لا يموتون بالنفخة ولكن يميتهم الله تعالى بعد ذلك بقدرته ثم تمكث الخلائق موتى أربعين سنة ثم يحيي الله تعالى اسرافيل فيأمره أن ينفخ ثانية ويجمع له الارواح جميعا في الصور لكل روح باب تخرج منه ويعيد الله تعالى الاجساد كما كانت في الدنيا فتكون على ظهر الارض ملقاة تنبت من الارض نباتا فاذا نفخ فيه أخرى تخرج كل روح الى جسدها فاذا هم قيام ينظرون فالسعيد من أيقظه الله تعالى للاستعداد وتحصيل الزاد والغافل عن ذكر الموت والمعاد مصدق بقلبه مكذب بعمله يهتم للشتاء والصيف قبل دخوله وهو يغفل عن الموت وطوله فهو كمن أخبره مخبر ان هذا الطعام مسموم فقال صدقت ومد يده فأكل فهو مصدق بقلبه مكذب بفعله فنسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا بمنه وكرمه وفضله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (في قول الله سبحانه وتعالى) ألا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم (قال) أبو الدرداء سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقال ما سألني عنها أحد قبلك هي الرؤيا الحسنة يراها المؤمن او ترى له واعلم ان المرء لا يموت حتى يعلم الى أين مصيره ولما حضرت معاذ بن جبل الوفاة قال اللهم اني كنت أخافك وأنا اليوم ارجوك اللهم انك تعلم اني لم أكن أحب الدنيا لجري الانهار ولا لغرس الاشجار ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر فلما اشتد النزع به قال وعزتك انك لتعلم ان قلبي يحبك ثم أغمي عليه ثم أفاق وكان له ولد قتل شهيدا فقال أي ولدي فاخبرني انه لحق بالذين أنعم الله عليهم وان رسول الله ﷺ قد جاءني في مائة الف من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ومائة الف من الملائكة المقربين يتلقون روحي ويصلون علي ويشيعوني الى قبري ثم جعل يصافح قوما لم نرهم ويسلم عليهم حتى طلعت روحه فلما مات رؤي في المنام على فرس ابلق وخلفه زحام كزحام بني رجال بيض عليهم ثياب خضر على خيل بلق وهو يقول ياليت قومي يعلمون بما غفر

لى ربى وجعلنى من المكرمين ولما حضرت بلالا الوفاة قالت امرأته واحزناه قال بل واطرباه غدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه ولما احتضر ابن المبارك فتح عينه وضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون وقال الجريرى حضرت الجنيد عند وفاته وهو يقرأ القرآن فختم فقلت يا اباالقاسم فى مثل هذه الحالة فقال ومن أولى بهذا منى والآن تطوى صحيفتى وقيل للجنيد ان أباسعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت قال لم يكن بعجيب أن تطير روحه اشتياقاً واحتضر بعضهم فبكت عليه امرأته فقال لها ابكى على نفسك فأما انا فقد بكيت لهذا اليوم اربعين سنة وقال الجنيد دخلت على السرى فى مرضه فقلت له كيف تجدك فقال (شعر)

كيف اشكو الى الطبيب لما بى ... والذى قد أصابنى من طبيبى
ليس لى راحة ولا لى شفاء ... من سقامى الا بوصل حبيبى

ودخل رجل على الجنيد فى مرضه فوجده شاخصاً فسلم عليه وجلس فرد الجنيد عليه السلام بعد ساعة وقال اعذرنى فانى كنت فى وردى وقيل للكسائى لما حضرته الوفاة ما كان عملك قال لو لم يقترب أجلى ما اخبرتكم وقفت على باب قلبى اربعين سنة كلما مر عليه غير الله تعالى رددته عنه ولما احتضر مكحول ضحك وكان الغالب عليه الحزن فقيل له لم ضحكت فقال دنا فراق من كنت أحذره ولقاء من كنت أرجوه (وقال ابو على الروذبارى) مات عندنا رجل فقير غريب فغسلته وصلينا عليه ووضعته فى لحده فكشفت عن وجهه ليصيبه التراب فقال يا اباعلى اتذللنى بين يدى من ذللنى فقلت ياسيدى احياة بعد موت فقال انا حى وكل محب لله حى لا نصرنك غدا بجاهى يا روذبارى . وكان على بن سهل يقول لاصحابه انى عند موتى ادعى فاجيب فبينما هو يمشى يوماً اذ صاح لبيك ووقع ميتاً . ولما احتضر خير النساج نظر الى ناحية فى البيت فقال قف عافاك الله فانما أنت عبد مأمور وانا عبد مأمور والذى امرت به لا يفوتك والذى امرت به لا يفوتنى ثم احرم وصلى ايماء ثم غمض عينيه ومات . ولما دفن سهل بن عبد الله جاء شيخ يهودى كبير فصاح اترون ما ارى قالوا وما ذا ترى قال ارى ملائكة ينزلون من السماء يتبركون بالجنازة وقيل لذى النون وهو فى النزع اوصنا فقال لا تشغلونى فانى متعجب فى محاسن لطف الله تعالى بى ولما احتضر مالك بن أنس قيل له كيف انت قال لا ادرى ما اقول لكم ستعاينون من فضل الله وعفوه ما لم يكن

لكم فى حساب ثم مات رحمه الله تعالى (وروى) ان أبا يزيد البسطامى عند موته بكى ثم ضحك فرؤى بعد موته فقيل له رأيناك بكيت عند موتك ثم ضحكت قال تصور لى ابليس وقال يا أبا يزيد تفلت من شبكتى وانت سالم فبكيت فنزل على ملك فبشرنى بالجنة فضحكت وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يمسك لسانه ويقول هذا الذى اوردنى الموارد فلما مات رؤى فى المنام فقيل له ما الذى اوردك لسانك فقال لا اله الا الله فاوردنى الى الجنة (ورؤى) يوسف بن الحسين فى المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لى كل ذنب الا ذنبا واحدا فانه اوقفنى فيه حتى سقط لحم وجهى من الحياء قيل له كيف هو قال نظرت الى غلام بشهوة (ورؤى) مجمع فى المنام بعد موته فقيل له كيف رأيت الامر قال رأيت الزاهدين فى الدنيا ذهبوا بخير الدنيا والآخرة (ورؤى) عطاء السلمى فقيل له كنت طويل الحزن فى الدنيا قال أما والله لقد أعقبنى ذلك فرحا طويلا قيل له فى أى الدرجات أنت قال مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين (ورؤى) زرارة بن أوفى فقيل له أى الاعمال أفضل عندكم قال الرضا وقصر الامل وقال يزيد بن مذعور رأيت الاوزاعى فى المنام فقلت يا أبا عمرو دلنى على عمل أتقرب به الى الله تعالى فقال ما رأيت هناك أرفع من درجة العلماء ثم درجة المحزونين فلم يزل يزيد يبكى حتى ذهب بصره (ورؤى) سفيان الثورى فقيل له ما فعل الله بك قال وضعت احدى رجلى على الصراط والاخرى فى الجنة (ورؤى) الجنيد فى المنام فقيل له ما فعل الله بك قال طاحت تلك الاشارات وذهبت تلك العبارات وما حصلنا الا على ركعات كنا نصليها بالليل (ورؤى) أبو سليمان الدارانى فقيل له ما فعل الله بك قال رحمنى وما كان شئ أضر على من اشارات القول وقال سفيان بن عيينة رأيت سفيان الثورى بعد موته وهو فى الجنة يطير من شجرة الى شجرة ويقول لمثل هذا فليعمل العاملون فقلت له أوصنى قال اقلل من معرفة الناس (ورؤى) الشبلى فقيل له ما فعل الله بك قال حاسبنى فلما رأى اياسى تغمدنى برحمته (ورؤى) بعضهم فسئل عن حاله فقال حاسبونا فدققوا ثم منوا فاعتقوا

(ورؤى) الامام مالك بن انس فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لى بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان رضى الله عنه عند رؤية الجنازة سبحان الحى الذى لا يموت . ولما مات الحسن البصرى راى انسان كأن ابواب السماء مفتحة

ومناد ينادى ألا ان الحسن البصرى قدقدم على الله وهو عنه راض . وقال بعضهم رأيت الليلة التى مات فيها داود الطائى نورا وملائكة نزولا وملائكة صعودا فقلت اى ليلة هذه قالوا مات داود الطائى وقد زخرفت الجنة لقدوم روحه وقال ابو سعيد الشحام رأيت الاستاذ أباسهل الصعلوكى فى المنام فقلت ياشيخ فقال دع الشيخ قلت الاحوال التى شاهدناها قال لم تغن عنا شيئا قلت مافعل الله بك قال غفر لى بمسائل كان يسئل عنها العجزة ورآه آخر على حالة حسنة فقال ياأستاذ بم نلت هذا قال بحسن ظنى بربى وقال ابن راشد رأيت ابن المبارك بعد موته فقلت ماصنع الله تعالى بك قال غفر لى مغفرة أحاطت بكل ذنب قلت فسفيان الثورى قال بخ بخ ذاك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . وقال الربيع بن سليمان رأيت الامام الشافعى رضى الله عنه فى المنام فقلت ماصنع الله بك قال اجلسنى على كرسى من ذهب ونثر على اللؤلؤ الرطب . ولما مات الحسن البصرى رأى انسان مناديا ينادى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين واصطفى الحسن بن ابى الحسن على اهل زمانه (ورؤى) بعضهم فقيل له اى الاعمال وجدتم أفضل قال البكاء من خشية الله تعالى وماتت صبية زمان الطاعون فرآها أبوها فى المنام فقال يابنية أخبرينى عن الآخرة قالت قدمنا على امر عظيم نعلم ولا نعمل وتعلمون ولا تعملون والله لتسبيحة أو تسبيحتان اوركعة أوركعتان فى صحيفتى احب الى من الدنيا ومافيها وقال موسى بن حماد رأيت سفيان الثورى فى الجنة فقلت بماذا نلت هذا قال بالورع قلت فعلى بن عاصم قال ذلك لايرى الا كما يرى الكوكب الدرى ورأى بعض التابعين النبى ﷺ فى المنام فقال يارسول الله عظنى فقال نعم من لم يتفقد النقصان فهو فى نقصان ومن كان فى نقصان فالموت خير له . ولما مات مالك بن دينار رأى انسان كأن أبواب السماء قد فتحت ومناد ينادى ألا ان مالك بن دينار أصبح من سكان الجنة ولما مات كرز بن وبرة رأى انسان أهل المقبرة التى دفن فيها خرجوا من قبورهم وعليهم حلل بيض فقال ماهذا فقيل ان اهل القبور كسوا ثيابا بيضا لقدوم كرز عليهم (ورؤى) بشر الحافى فى المنام فقيل مافعل الله بك قال قال لى مرحبا يابشر لقد توفيتك يوم توفيتك وما على وجه الارض احب الى منك . (فى قول الله تعالى واتقوا يوما

ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) اذا قام الناس من قبورهم لفصل القضاء حشروا على احوال مختلفة فمنهم من يكسى ومنهم من يحشر عريانا ومنهم راكب وماش ومسحوب على وجهه ومنهم من يذهب الى الموقف راغبا ومنهم من يذهب خائفا ومنهم قوم تسوقهم النار سوقا وتبدل الارض غير الارض ويزاد فيها وتصير بيضاء عفراء وتمد مد الاديم وتذهب جبالها وأشجارها واوديتها فاذا اجتمع الاولون والآخرون فى صعيد واحد تناثرت النجوم من فوقهم وطمس ضوء الشمس والقمر واشتدت الظلمة ويعظم الامر ثم تشق السماء على غلظها وصلابتها فتسمع الخلائق لانشقاقها صوتا عظيما منكرا فظيعا تدهش لهوله الالباب وتخضع لشدته الرقاب ثم ينظرون الى الملائكة هابطين الى الارض فتنزل ملائكة سماء الدنيا فيحيطون بالخلائق ثم ملائكة السماء الثانية خلفهم دائرة ثانية وكذلك حتى تكون سبع دوائر فى كل دائرة ملائكة سماء ثم تسيل السماء فتكون كالمهل وهو النحاس المذاب فيطوى بعضها على بعض ثم تنهار وتذوب وتذهب حيث شاء الله تعالى وتدنو الشمس من رؤس الخلايق حتى تكون قدر ميل فيشتد الكرب من الزحام ويكثر العرق كما قال رسول الله ﷺ ان العرق يوم القيامة ليذهب فى الارض سبعين باعا وانه ليبلغ الى افواه الناس وآذانهم رواه مسلم فى الصحيح ويكون الناس يومئذ فى العرق مختلفين فمنهم من يبلغ ركبتيه وحقويه وأذنيه ولا ظل يومئذ الا ظل الله وهو ظل يخلقه الله تعالى فى المحشر لا يكون فيه الا من اراد الله تعالى اكرامه فيقف الناس كذلك شاخصين الى نحو السماء قدر أربعين سنة من سنين الدنيا لا ينطقون فاذا طال انتظارهم طلبوا من يشفع لهم ليستريحوا من الوقوف والانتظار والكرب فيأتون آدم فيطلبون منه الشفاعة فيقول لست لها بشافع ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ويدلهم على نوح فيقول لهم كذلك ويدلهم على ابراهيم فيقول لهم كذلك ويدلهم على موسى فيقول كذلك ويدلهم على عيسى فيقول كذلك ويدلهم على نبينا محمد ﷺ وعليهم اجمعين فيقوم ويشفع حينئذ باذن الله تعالى فهذا أول الشفاعة لاراحة الناس من كرب الموقف فيقوم ﷺ مقاما عن يمين العرش لا يقوم فيه احد من الخلق غيره ويسجد لله ويثنى عليه بثناء يلهمه اياه

الله تعالى فى ذلك الوقت لم ينطق به غيره قط ويبقى قائما منتصبا فيقول الله تعالى ما تريد ان اصنع بامتك فيقول عجل حسابهم (روى) ان المقام المحمود مقامه الذى يشفع فيه (وروى) انه يكون على الكرسى عن يمين العرش ﷺ (وروى) ان الناس يفزعون اذا نزلت الملائكة فزعا شديدا فيقولون للملائكة سبحان الله ربنا تعظيما لله تعالى ولكنه آت من بعد فيبقى الناس منتظرين فبينما هم كذلك اذ ظهر نور عظيم يشرق منه ارض المحشر وهو نور العرش فترعد فرائص الخلق ويتيقنون ان الجبار عز وجل قد تجلى لفصل القضاء فيظن كل واحد منهم انه هو المأخوذ المطلوب ثم يأمر الله تعالى جبرائيل عليه الصلاة والسلام ان يأتى بجهنم فيأتيها فيجدها تلتهب غيظا على من عصى الله تعالى فيقول يا جهنم اجيبى لخالقك ومليكك فتثور وتفور وتشهق فتسمع الخلائق لها صوتا عظيما تمتلىء القلوب منه فزعا ورعبا ثم تزفر ثانية فيزداد الرعب والخوف ثم تزفر ثالثة فتخر الخلائق على وجوههم وتبلغ القلوب الحناجر وينظر المجرمون من طرف خفى فاول من يدعى للحساب اسرافيل عليه الصلاة والسلام فيسئل عن تبليغ الرسالة فيقول بلغتها لجبرائيل فيصدقه جبرائيل ويقول بلغتها للرسل فيدعى اول المنذرين وهو نوح عليه الصلاة والسلام فيسئل فيقول بلغتها قومى فيدعى قومه فيسئلون فمن صدق منهم فهو من المؤمنين ومن كذب وانكر شهدت أمة محمد بما اخبرهم الله تعالى فى القرآن ويصدقهم محمد ﷺ فهو قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ثم يسئل جميع الرسل عن البلاغ وهو قوله تعالى فنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين وقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا قيل معناه لا علم لنا الآن ولا ندرى ماذا تقول وذلك لما استغرقهم من هيبة الله تعالى فاذا سكن روعهم قالوا بلغنا قومنا فمنهم مصدق ومنهم مكذب وقيل معناه لا علم لنا بمن صدقنا ولا بمن كذبنا فانا لا نطلع على السرائر يدل عليه قوله انك انت علام الغيوب وسؤال الملائكة والرسل اظهارا للعدل واقامة للحجة على من كذب وزيادة تخويف للجاحدين فكيف يكون عقول الخلائق اذا عاينوا الملائكة والرسل قد دعاهم الله تعالى للحساب والسؤال ثم تقبل الملائكة على الخلائق فينادى كل انسان باسمه من غير كنية يا فلان هلم الى

موقف العرض فمن المؤمنين من لم يحاسب ومنهم من يحاسب حسابا يسيرا يستره الله تعالى عن جميع الخلائق ويكلمه ويقرره بذنوبه ويقول له سترت عليك فى الدنيا وانا اغفر لك اليوم ومن عصاة المؤمنين من يشدد عليه الحساب حتى يستوجب العذاب فيشفع فيه من يأذن الله له من الانبياء والاولياء والصالحين فهذه الشفاعة الثانية يشترك فيها الانبياء والاولياء والصالحون ولنبينا محمد ﷺ اكثرها واوفرها (روى) ابن عباس رضى الله عنه عن النبى ﷺ انه قال يوضع للانبياء منابر يجلسون عليها ويبقى منبرى لا أجلس عليه الا قائما بين يدى ربى منتصبا فيقول الله تعالى ماتريد ان اصنع بأمتك فيقول يارب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتى ولا ازال اشفع حتى اعطى اصكا كابرجال فتؤمر بهم الى النار حتى ان خازن النار ليقول ماتركت يامحمد لغضب ربك فى امتك من نقمة وقال ﷺ لاشفعن يوم القيامة لاكثر اهل الارض من حجر وشجر وقال ﷺ يدخل الجنة بشفاعتى رجال من امتى اكثر من ربيعة ومضر (وروى) ان من المؤمنين من يشفع فى رجل واحد ومنهم من يشفع فى رجلين ومنهم من يشفع فى قبيلة على قدر درجاتهم (وفى) الصحيح يدخل الجنة من هذه الامة سبعون الفا بغير حساب وفى رواية مع كل واحد منهم سبعون الفا ومن العصاة من لا يشفع فيه فيؤمر به الى النار (وأما الكفار) فليس لهم حسنات وانما يوقفون للتوبيخ والنكال ومقاساة الاهوال فيقف الكافر للعرض فيقول الله تعالى الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل وأذرك تراس وترتع فيقول بلى يارب فيقول افظننت انك ملاقى فيقول لا فيقول انى انساك كما نسيتنى ومنهم من ينكر الكفر ومنهم الذين يقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم على أفواههم وتنطق جوارحهم بالشهادة عليهم كما اخبر الله تعالى ثم ان الله تعالى مع علمه باعمال العباد يظهر العدل ويقيم الحجة فتنصب الموازين لوزن الاعمال ويؤتى بالصحف التى كتبتها الملائكة على العباد فيخلق الله تعالى فيها ثقلا وخفة على قدر الاعمال ويؤتى بكل انسان فتوضع صحيفة حسناته فى كفة وصحيفة سيآته فى كفة حتى يتبين له ولغيره رجحانه ونقصانه وتتطاير الصحف فيعطى لكل عبد كتاب فيه جميع اعماله يقرؤه من كان يكتب ومن لا يكتب كل

ذلك اظهار العدل ثم تتعلق المظلومون بالظالمين هذا يقول هذا قتلني وهذا يقول هذا ضربني وهذا يقول هذا أخذ مالي او غشني في معاملة او بخسني في وزن او كيل او شهد علي بزور وهذا يقول هذا سبني او شتمني او اغتابني او استهزأ بي او نظر الي نظرة كبر او احتقار فتفرق حسنات الظالم على المظلومين فاذا لم يبق حسنة جعل على الظالم من سيآت المظلوم حتى يستوفي كل ذي حق حقه فان الرجل ليأتي بحسنات كثيرة فيأخذها خصومه وتطرح عليه سيآت ما كان عملها فيقول ما هذا فيقال سيآت من ظلمته (وروى) ان الناس يقفون في الظلمة اربعين سنة فاذا تجلى الله تعالى لفصل القضاء امر المؤمنين بالسجود فيسجدون ويؤمر غيرهم فلا يستطيعون ذلك وهو قوله تعالى ويدعون الى السجود يعني الكفار فلا يستطيعون وقد كانوا يدعون في الدنيا الى السجود وهم سالمون فلا يسجدون ثم يقال للمؤمنين ارفعوا رؤسكم فيرفعون رؤسهم وقد اعطى كل مؤمن نورا على قدر عمله واحد كالشمس وآخر كالنجم وآخر كالمصباح فاذا وقع السؤال ونصبت الموازين للاعمال وتطايرت الكتب ووضع الصراط على متن جهنم احد من السيف وأرق من الشعر يؤمر الناس بالجواز عليه فاول من يجوز عليه امة محمد فيمرا ولهم كالبرق الخاطف ثم كالريح ثم كالطير ثم كالخيل ثم عدوا ثم مشيا ومن الناس من يزحف زحفا ومنهم من يسحب سحبا فمنهم من يسلم ومنهم من يزل فيقع في النار ومنهم من تخطفه كلاليب فتلقيه في النار ويسمع للواقعين في النار جلبة عظيمة وصياح شديد يدهش العقول ويقول الانبياء اللهم سلم سلم ولا ينطق حينئذ الا الرسل ويتصور لكل امة كافرة ما كانت تعبد وينادي مناد لتتبع كل امة ما كانت تعبد فتلقى اصنامهم في النار وأوثانهم وما كانوا يعبدون من الجمادات ويتبعهم من عبدهم وهو قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون فهذا ورود الكفار والفجار وأما ورود السعداء فهو العبور على الصراط وتكون جهنم وحرها تحت ارجلهم كشحمة جامدة حتى يجوزوا على الصراط سالمين فهو قوله ﷺ من مات له ثلاث من الولد لم يبلغوا الحنث لم تمسه النار الا تحلة القسم يعني لا يدخلها بل يمر عليها تحلة القسم في قوله تعالى وان منكم الا واردها وهذا قسم فانه معطوف على قوله فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم قال وان منكم

الاواردها اى ومامنكم الا يرد النار فمنكم من ورده عبور ومنكم من ورده دخول ثم ينجى الله الذين اتقوا فيسلمون ويمرون على الصراط وينجى الله عصاة المؤمنين فيخرجهم بالشفاعة او برحمته ويذر الظالمين فيها جثيا فاذا وقع الذين وجب عليهم العذاب وجاز الفائزون كلهم وردوا على حوض رسول الله ﷺ على نهاية ماهم فيه من العطش وماعاينوه من الاهوال فهذا أيضا من خواص فضائل رسول الله ﷺ وقد ورد الحوض فى الصحيح من رواية عبد الله بن عمرو عبد الله بن عمرو بن العاص وابى هريرة وجابر بن سمرة وحارثة بن وهب وجندب وابى ذر وثوبان وعقبة بن عامر واسماء بنت أبى بكر فى حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص قال رسول الله ﷺ حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء من شرب منه فلا يظمأ بعده أبدا (وفى) حديث اسماء آتى على حوضى حتى أنظر من يرد على منكم وسيؤخذ اناس دونى فاقول يارب أمتى ومن أمتى فيقول ماشعرت ماعملوا بعدك والله مابرحوا بعدك يرجعون على اعقابهم وهؤلاء قوم ارتدوا بعد وفاة رسول الله ﷺ وكفروا فتخطفهم جهنم هذا أحسن ماقيل فى هذا الحديث (وكان) ابن ابى مليكة اذا ذكر هذا الحديث يقول اللهم انا نعوذ بك ان نرجع على اعقابنا أو نفتن عن ديننا وعليه يحمل حديث مالك فى الموطأ الذى فيه فيذاد رجال عن الحوض ثم يذهب المؤمنون الى الجنة فاول من يدخلها رسول الله ﷺ ثم الانبياء عليهم الصلاة والسلام ثم يدخل الجنة الذين لاحساب عليهم من هذه الامة من الباب الايمن فاذا وصل أهل الجنة الى الجنة بقيت آمالهم متعلقة بنجاة العصاة من المسلمين الذين دخلوا النار فيطلب الصالحون الشفاعة لهم من الرسل فهذه اول الشفاعة الثالثة وقد ورد بها الاخبار المسندة الصحيحة ان نبينا محمدا ﷺ يستأذن ويسجد بين يدى الله تعالى فيقول الله تعالى ارفع رأسك وسل تعطه وقل يسمع لك واشفع تشفع فيقوم فيشفع فيخرج الله تعالى من كان فى قلبه مثقال دينار من الايمان ثم يسجد الثانية ويشفع فيخرج بشفاعته من كان فى قلبه مثقال شعيرة من الايمان ثم يسجد الثالثة فيخرج من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل ثم يسجد الرابعة ويشفع ويقول ائذن لى فيمن قال لا اله الا الله فيقول الله تعالى

ليس ذلك لك ولكن وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لاخرجن منها من قال لا اله الا الله (وروى) مسلم في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آخر من يدخل الجنة رجل وهو يمشي مرة ويكبو مرة وتلفحه النار مرة فاذا جاوزها التفت اليها وقال تبارك الله الذي نجاني منك لقد أعطاني الله شيأ ما أعطاه لاحد من الاولين والآخرين وذكر الحديث بطوله وفيه انه يرى شجرة فيسأل الله تعالى ان يدنيه منها ويعاهده ان لا يسأله غيرها فاذا دنا منها رأى شجرة ثانية أحسن منها فيطلبها ثم يرى ثالثة عند باب الجنة فيطلبها وربه يعذره لانه يرى ما لا صبر له عنه فاذا سمع اصوات أهل الجنة قال يارب أدخلنيها فيعطيه الله تعالى في الجنة قدر الدنيا مرتين وقد ورد في صحيحي البخاري ومسلم ان العصاة من المسلمين يموتون في النار ويحمل على انهم يعذبون على قدر ذنوبهم فيكون نهاية عذابهم فاذا وقعت الشفاعة أحياهم الله تعالى وأخرجهم فتأملوا رحمكم الله تعالى هول الموقف وشدته اذا بعثرت القبور وقام الخلائق للنشور وحشر المتقون الى الرحمن وفدا وسيق المجرمون الى جهنم وردا ووقف الخلائق وطال بهم الوقوف واشتد الزحام والتحمت الصفوف وكثر القلق وألجمهم العرق وأدهشهم الفرق واختلطت الفرق واشتد الغضب واحتد اللهب وجاءت جهنم بظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب ورمت بشرر كقطع الخشب وجثا الخلائق على الركب وغلب على الجميع الخوف والرهب وايقن المجرمون بالعطب وعاين الظالمون سوء المنقلب وبرزت الملائكة صفوفا خاشعين وقام الناس لرب العالمين وحشر الوحوش والهوام وجميع الطير والانعام وجرى بينهم القصاص اظهارا لعدل الحاكم وانتصف المظلوم من الظالم ثم قيل لها كوني ترابا فصارت ترابا فعندها يتمنى الكافر لو صار مثلها ولم يلق عذابا ثم وقع العتاب وحرر الحساب ونشرت الدواوين ونصبت الموازين ومد الصراط على متن جهنم ووقع الفصل بين الابرار والفجار وسلم السعداء الى دار القرار وزل الاشقياء الى دار البوار فياله من يوم ما أعظمه وديان ما أحكمه وجبار ما أعلمه وخطب ما أصعبه وموقف ما أتعبه يوم هو في الحقيقة كألف سنة من هذه السنين وهو قدر خمسين الف سنة في الصعوبة على المجرمين وتخفف اثقاله عن قلوب المكرمين

اذا حصلت لهم البشرى والامان وصح لهم رأس مال الايمان وسلمت لهم تجارة الاحسان وفازوا بما نالوا من رضا الرحمن فذهبت الاوجال وزالت الاهوال وسكنت الزلازل والمرءأين وقته وقد زال مازال فصار الحساب عندهم كصلاة ركعتين والوقوف كوسن من بين الجفنين وصاروا الى كرامة الابد وعاشوا فى جوار الواحد الاحد الصمد فهل فى لذة الشهوات مايوازن هذه اللذات أم فى تعب الاعمال مايقابل هذه الاهوال لا والله ولكن غلب على النفوس حب العاجلة فتحملت فى طلبها المتاعب وتكلفت جميع المشقات لتحصيل المآرب وآثرت الشهوات الفانية على اللذات الباقية واستصعبوا التعب القليل فى الاعمال الصالحة ولم يسلكوا طريق السلامة مع كونها واضحة اللهم أيقظنا من نوم الغفلة والجهالة وعافنا من دار الفتن والبطالة وارزقنا الاستعداد لما وعدتنا كما عودتنا وتوفنا على الايمان كما امرتنا واتمم اللهم علينا ما به أكرمتنا وأغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين آمين

## الفصل السابع فى الوعيد

الحمد لله الذى زين قلوب اوليائه بانوار الوفاق ورفع قدر اصفيائه فعلا ذكرهم فى الدارين وفاق وسقى اسرار احبابه شرابا لذيذ المذاق فهان عليهم حمل المشقة لما حملهم من الاشواق رضى قلوبهم لغرس ولايته فأرسل اليها غيث عنايته وساق وطهرها وسقاها ووقاها حتى استوى نبات المعاملة على ساق وأكرمهم بالتحية والرؤية يوم التلاق الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق واظهر عدله باعداد قوم فحكم عليهم بالمخالفة والشقاق وجعل لهم من الخذلان اغلالا جمعت الايدى والاعناق لهم عذاب فى الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة اشق وما لهم من الله من واق فقلوبهم معذبة بين صدود وابعاد وحجاب وفراق اجسامهم مترددة بين كرب وضرب واحراق هذا فليذوقوه حميم وغساق هذه آثار سطوة الجبار وبطشه لا يطاق ولهذا ألزم قلوب الخائفين الوجل والاشفاق لما علموا ان القسمة سابقة فى الشقاوة والسعادة والآجال والارزاق فلا يعلم الانسان فى أى الدواوين كتب ولا فى أى الفريقين يساق فسبيل العقلاء المبادرة والمسارعة والسباق ومدكف الافتقار ولبس ثياب الامملاق والوقوف على باب الغنى والانتظار لخروج الاوراق فان سامح فبفضله وان عاقب

فبعدله ولا اعتراض على الملك الخلاق (أحمده) حمد معترف بالعجز عن شكره متذلل بين خجل واطراق واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة صفا موردها وراق وزاد نورها على حد الاسفار والاشراق واشهد ان محمداً عبده ورسوله البشير النذير السراج المنير الذي عم نوره الآفاق والنور الذي لا يعترض ضياءه كسوف ولا محاق والحبيب المقرب الذي اسرى به على البراق الى أن جاوز السبع الطباق ﷺ وعلى آله واصحابه مفاتيح الاغلاق السابقين الى الايمان والهجرة والانفاق (في قول الله عز وجل) يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون يا أيها المؤمنون بالله اعملوا بطاعة الله ولا تهملوا نفوسكم في معصية الله فان النفس كذابة جموح قائدها ثواب الله تعالى وسائقها خوف عقاب الله تعالى فان تعطلت من الخوف والرجاء وبقيت في طبائعها ارتعت في مراتع الهلاك فمن امسكها عن هواها فقد وقاها ومن أطلقها فقد أرداها قال الله تعالى قد أفلح من زكاها أي طهرها عن المخالفات ورفع قدرها بالطاعات وقد خاب من دساها اي وضع قدرها بالمخالفات فاوقعها في الهلكات وقوله وأهليكم نارا أي علموا أهليكم واتباعكم ووقفوهم وعظوهم وادبوهم ثم وصف النار وصعوبتها وشدة خزنتها وقال لها سبعة ابواب لكل باب منها جزء مقسوم أي هي سبع طباق بعضها فوق بعض بين كل طبقتين مسيرة سبعين سنة فالاولى جهنم لعصاة المسلمين والثانية لظى تتلظى أي تتلهب فتنزع الجلود ثم تحتها الحطمة تحطم أهلها فتسحقهم سحقا ثم تحتها السعير تسعر فيأكل بعضها بعضا وتحتها سقر تذيب الجلود واللحوم ثم تحتها الجحيم ومعناه الجمر الغليظ وتحتها الهاوية من دخلها لم يستقر فيها ولكنه يهوى فيها أبدا فاول ما تمتلئ الهاوية ثم التي فوقها حتى تمتلئ كلها وقوله لكل باب منهم اي من اتباع الشياطين جزء مقسوم فمعناه لكل طبقة اهل قد جعلهم الله تعالى لها (وروى) ان كل طبقة أعظم عذابا من التي فوقها بسبعين ضعفا وان أهونها لو أن رجلا بالمغرب وكشف عنها بالمشرق لسال دماغه من حرها (وروى) مسلم عن بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها :

وعن ابى هريرة ان رسول الله ﷺ قال نار كم هذه التى يوقدها ابن آدم جزء من سبعين جزأ من جهنم قالوا والله يارسول الله ان كانت لكافية قال فانها فضلت بتسعة وستين جزأ كلها مثل حرها . وعن سمرة بن جندب ان رسول الله ﷺ قال منهم من النار تأخذه الى كعبه ومنهم من تأخذه النار الى ركبتيه ومنهم من تأخذه النار الى حجزته ومنهم من تأخذه النار الى ترقوته . وعن النعمان بن بشير قال قال رسول الله ﷺ ان اهون اهل النار عذابا من له نعلان من نار وشراكان من نار تغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل ما يرى ان احدا اشد منه عذابا وانه لاهونهم عذابا : وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد وغلظ الجلد مسيرة ثلاث يعنى بعظم الله تعالى جثته ليكثر عذابه ويتضاعف المه وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ يؤتى بأنعم اهل الدنيا من اهل النار يوم القيامة فيصبغ فى النار صبغة ثم يقال يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط هل رأيت نعيما قط فيقول لا والله يارب ويؤتى بأشد الناس بؤسا فى الدنيا من اهل الجنة فيصبغ صبغة فى الجنة فيقول يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط هل رأيت شدة قط فيقول لا والله يارب ما مر بى من بؤس قط ولا رأيت شدة قط (وروى) الترمذى عن ابن عباس عن النبى ﷺ انه قال لو ان قطرة من الزقوم قطرت فى الدنيا لافسدت على اهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه وقال الحسن البصرى تاكل النار اهلها كل يوم سبعين الف مرة كلما نضجت جلودهم اعيدوا كما كانوا وتتعلق ارواحهم فى حناجرهم فلا يموت احدهم فيستريح ولا يحيا حياة طيبة وقال ابو الدرداء ومحمد بن كعب يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيؤتون بالضريع وهو نبات يشبه نباتا فى الدنيا لا تقدر الابل على اكله من شدة مرارته فيأكلون فيغصون فيطلبون ما يسيغون به الغصص فيؤتون بالحميم وهو ماء حار يقرب احدهم الى فيه فتقع جلدة وجهه فاذا شربه قطع امعاءه فيقولون لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فتقول لهم الخزنة ألم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال فيدعون فلا يجابون فاذا أيسوا نادوا يا مالك ليقض علينا ربك معناه بالموت طلبوا الموت ليستريحوا

فيسكت عنهم مالك مقدار ثمانين سنة وهو في مجلس له يرى أقصاها كما يرى أدناها ثم يقول لهم انكم ماكثون أي مخلدون فيقول بعضهم لبعض اصبروا فلعل الصبر ينفعنا فانا سلم أهل الجنة بصبرهم في الدنيا فيصبرون زمانا طويلا فلا ينفعهم فيقولون سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص فيأتون الى ابليس فيقولون أنت أغويتنا فكيف الخلاص مما نحن فيه فيقوم ابليس على تل من نار يسحب سلاسله ويخطب خطبة ويقول فيها ان الله تعالى وعدكم وعدا الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان أي ما كان لي عليكم حجة ولا قهر ولا حملتكم على المعصية كرها ولكن دعوتكم فاستجبتم لي طوعا وتابعتم هوى نفوسكم فلا تلوموني ولوموا انفسكم فانها طلبت هواها فاردتها ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي اي مغيثكم فلا اقدر لكم على فرج ولا تقدرون لي على فرج اني كفرت بما اشركتموني اي بشرككم اي وانا بري ء منكم فعندها يمقتون انفسهم مقتاً شديداً فتناديهم الملائكة لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم لما دعاكم الى الايمان فكفرتم فعندها يسألون الله تعالى أن يعيدهم الى الدنيا ليعملوا صالحا فيقولون ربنا امتنا اثنتين معناه فانت قادر ان تعيدنا الى الدنيا وقد اعترفنا وآمنا فينادون ذلكم بأنه اذا دعي الله وحده كفرتم والاحياء مرتين احياء في الدنيا بعد ان كانوا نطفا اموانا ثم احياهم في الآخرة للبعث والموتتان كونهم اموانا نطفا ثم موتهم عند انقضاء آجالهم من قول ابن عباس وقول الضحاك ويدل عليه قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون وقال السدي الحياة الاولى والموتة الثانية في القبر عند مسئلة الملكين ثم يموتون وقال ابن زيد الحياة الاولى حين اخرجهم كالذر وقال ألست بربكم والاول اصح ثم ان اهل النار يستغيثون مرارا فيجابون بما يكرهون حتى يقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا فيقول الله تعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون فينقطع حينئذ رجاؤهم ولا يتكلمون بعدها ابدا ويصير بعضهم ينبح في وجه بعض كالكلاب قال الحسن كلما افحتهم لفحة لم تدع لحما ولا جلدا الا القته على العراقيب وفي النار وادي سيل صديد اله سواحل فيها حيات وعقارب كالبخت فاذا اشتد عليهم حر النار هربوا الى تلك السواحل ليستريحوا من حر النار فتشتد عليهم الحيات والعقارب فتأخذ شفاههم وتنهش لحومهم فيهربون الى

النار قال ابن مسعود انه يسمع للهوام فى باطن جلد الكافر جلبة الوحش فى البرية وان الحميم ليصب على رأس احدهم فيذوب دماغه وينزل الى بطنه فتقع امعاؤه وجلده وان احدهم ليضرب بمقامع الحديد فكلما ضرب ضربة سقطت اعضاؤه كل عضو على حاله وقال الفضيل بن عياض فى قول الله تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها أعيدوا فيها قال ماطمعوا فيها بالخروج فان الارجل والايدى لموثقة ولكن يرفعهم لهبها وتردهم مقامعها (ويروى) انهم يتنفسون فى النار وأن النار لتضيقهم كما يضيق الرمح فى الزج وتغل أيديهم مع أعناقهم ويقرن كل كافر مع شيطانه فى سلسلة (وروى) ان اول من يكسى فى النار ابليس فيكسى حلة ويصيح واثبوراه فيصيح اهل النار واثبوراه فيقال لهم لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا والثبور الهلاك والخسران قال كعب الاحبار ينظر الله تعالى الى عبد فيقول خذوه فتخطفه مائة الف ملك حتى ينفتت من أيديهم فيقول اما ترحمون فيقولون كيف نرحمك ولم يرحمك أرحم الراحمين (وروى) ان خزان جهنم تسعة عشر مع كل واحد منهم ألف من الخزان وان على باب من أبواب جهنم لاربعمائة ألف ملك ليس فى قلب واحد منهم مثقال ذرة من الرحمة لو طار طائر من منكب احدهم لطار شهرين قبل ان يصل الى منكبه الآخر يعرف الكفار بسيماهم بزرقة العيون وسواد الوجوه فيأخذون الكافر فيجمعون بين رأسه وقدمه من وراء ظهره كالقوس ويلقونه فى النار فيهبط هبوطا فهو قوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والاقدام ثم لايزال كذلك حتى يخرج منها المسلمون فلا يبقى فيها الا الكفار وهو يوم الحسرة اذ قضى الامر فتغلق أبواب النار على الكفار ويجعل كل واحد من الكفار فى تابوت من الحديد ويضاعف عليهم العذاب كل يوم أضعافا فيخلدون فيها ابدا من غير نهاية نسأل الله تعالى العافية فحق على كل عاقل ان يكون خائفا فان الخلود فى النار وان كان مخصوصا بالكفار فان العبد لايدرى بما يختم له وان ختم للعبد بالايمان فقد يؤخذ بالعصيان ومن دخل النار ولو ساعة فقد ذاق ألما شديدا لايوجد مثله فى الدنيا بوجه من الوجوه بل لو توعد الملك احدا ان يسجنه فى الحمام أو فى المكان الحار فى الصيف او يتركه فى الشمس ان أكل طعاما يشتهيه لترك شهوته

خوفا من تلك العقوبة قال احمد بن حرب والله انا لنؤثر الظل على الشمس ولا نؤثر الجنة على النار اللهم سلمنا من هذه الاحوال بفضلك وكرمك وتوفنا على الايمان فانت اولى بتمام نعمتك وتجاوز عن سيآتنا باحسانك وتغمدنا برحمتك وغفرانك انك انت ارحم الراحمين

## الفصل الثامن فى الجنة

الحمد لله الذى رسم فى جميع مصنوعاته على وجوده وكماله دليلا ورسم بالعجز سائر مخلوقاته فكل تراه مفتقرا ذليلا وحسم الافكار عن الاحاطة بذاته وصفاته فلم يجعل لها اليه سبيلا الحى العليم القدير المريد السميع البصير المتكلم الملك الكبير لا يدركه الوهم ولا يحده الفكر تعالى ذو الملك والملكوت ولم يزل ولا يزال عظيما مقتدرا جليلا من شبهه بخلقه فقد شابه عبدة الاوثان وأضحى ايمانه عليلا ومن نفى صفات الكمال فقد انتحل جحودا وتعطيلا تقدس ذو العزة والجبروت فلا تستطيع الاوهام اليه وصولا قسم عطاءه بين خلقه فجعل منهم كافرا ومنهم مؤمنا ومعرضا ومقبلا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات واكبر تفضيلا وفق من ارتضاه لخدمته وأعد له اجرا جزيلا وبوأه دار رضوانه واكرم مثواه فجعل له فى دار فضله مقيلا لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا (احمده) على نعمه التى لا تحصى جملة ولا تعد تفصيلا (واشهد) ان لا اله الا الله وحده لا شريك له إله لم يزل على كل شىء وكيلا (واشهد) ان محمدا عبده ورسوله المنزل عليه يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا صلى الله عليه وعلى آله واصحابه بكرة واصيلا (فى قول الله عز وجل قل اؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد) ذكر الله تعالى اصناف الاموال المحبوبة فى الدنيا بقوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث الآية ثم قال قل اؤنبئكم اى قل يا محمد هل اخبركم بما هو خير من هذه الشهوات الفانية وهو ما وعد الله تعالى للمتقين من النعم الباقية جنات تجرى من تحتها الانهار والجنات ثمان دار الجلال ودار السلام وجنة المأوى

ودار الخلد وجنة النعيم ودار القرار وجنة عدن وجنة الفردوس (روى) ان فى الجنة مائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والارض وذكر الله تعالى فى سورة الرحمن اربع جنات فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قال ومن دونهما جنتان (وفى الحديث الصحيح) مثله وهو قوله صلى الله عليه وسلم جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ولا تناقض بين هذه الاعداد فان منزل كل مؤمن جنة له فيها جنات كثيرة وكل طبقة من هذه الطبقات جنة وكل ما تقارب شبهه فى مساكنه واهله سمى جنة بمفرده وقد ورد فى موضع وجنة عرضها كعرض السموات والارض وفى موضع جنات بالجمع (وفى الصحيح) عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ قال الله عز وجل أعددت لعبادى الصالحين ملا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون وفى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها اقرؤا ان شئتم وظل ممدود وموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها اقرؤا ان شئتم فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور (وروى) مسلم عن ابى هريرة قال قال رسول الله ﷺ ان اول زمرة تدخل الجنة من امتى على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على اشد نجم فى السماء اضاءة ثم هم بعد ذلك منازل لا يتغوطون ولا يبولون ولا يتمخطون ولا يبصقون امشاطهم الذهب ومجامرهم الالوة ورشحهم المسك اخلاقهم على خلق رجل واحد على طول ابيهم آدم ستون ذراعا وعن ابى سعيد الخدرى ان النبى ﷺ قال ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة ياأهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى يارب وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون يارب واى شىء افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضوانى فلا اسخط عليكم بعده ابدا ويؤيد هذا قوله تعالى ورضوان من الله اكبر وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل اهل الجنة فيها ويشربون ولا يتغوطون ولا يبولون ولا يتمخطون ولكن طعامهم رشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والحمد

كما يلهمون النفس . وعن أبي موسى ان رسول الله ﷺ قال ان في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا في كل زاوية منها أهلون ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن : وعن أنس ان رسول الله ﷺ قال ان في الجنة لسوقا يأتونها في كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون الى أهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم أهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون وانتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا وقال أبو هريرة انهار الجنة تتفجر من تحت جبال المسك (وروى) ان ادنى لؤلؤة في الجنة تضيء ما بين المشرق والمغرب (وروى) زيد بن ارقم عن رسول الله ﷺ قال والذي نفسي بيده ان احدهم ليعطى قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والجماع وقال ابن عمر في قول الله عز وجل يطاف عليهم بصحاف من ذهب قال يطاف على كل مؤمن بسبعين الف صحفة من ذهب كل صحفة فيها لون من الطعام ليس في الاخرى وقال ابن مسعود في قوله تعالى ومزاجه من تسنيم قال عين تتنسم أي تجري صاعدة في العلو يمزج فيها شراب اهل اليمين ويشربها المقربون صرفا (وفي الصحيح) لو ان امرأة من نساء الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت ما بينها وقال ابن عمر ان ادنى اهل الجنة منزلة من يخدمه الف خادم كل واحد على عمل ما عليه الآخر (وروى) ان سوق الجنة فيه مجتمع من الحور فمن اشتهى زيادة ذهب فاخذ ما شاء (وروى) ان الرجل في الجنة اذا اشتاق الى احد من اخوانه الذين كان يحبهم في الدنيا في الله تعالى سار سريره حتى ينتهي الى سرير الآخر فيتحدثان ويتذاكران ما كان بينهما من الصحبة في الله تعالى ثم يسير سريره الى مكانه وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا فقال اذا انتهوا الى ابوابها وجدوا عند كل باب شجرة يخرج من تحتها عينان تجريان فيشربون من احداهما فيذهب الله عنهم كل بأس وداء وغل ويتطهرون من الاخرى فتجري عليهم نضرة النعيم ثم يتقدمون الى الابواب فتقول لهم الملائكة سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وتتلقاهم الولدان فرحين ثم يذهبون الولدان فيبشرون الحور العين فتفرح كل حوراء بزوجها حتى انهن ليقفن على ابواب القصور منتظرات للمؤمنين فاذا دخل الرجل الى منزله رأى

أساس بذيانه جنادل اللؤلؤ فوقه حيطان من ذهب وفضة فاذا دخل وجد أزواجا مطهرة وأكوابا موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة فيتكئ حينئذ ويقول الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله فاذا التقى كل زوج مع زوجته ناداهم مناديا أيا هل الجنة تحيون فلا تموتون أبدا وتقيمون فلا تظعنون أبدا وتصحون فلا تمرضون ابدا (وقال) الحسن البصرى أهل الجنة كلهم أبناء ثلاث وثلاثين سنة بيض كحل جرد مرد قد اطمأنت بهم الدار وطاب لهم القرار وان أنهارها لتجرى على رضراض من ياقوت وزبرجد وترابها الزعفران وطينها المسك الاذفر وان رائحتها التوجد من مسيرة خمسمائة عام وان لهم فيها لخيلا وأبلاها فافة ورحالها وزمامها وسروجها من ياقوت يتزاورون عليها وازواجهم من الآدميات المؤمنات ومن الحور العين قد طهرت اخلاق الجميع من كل سوء وطهرت أجسامهم من كل دنس وتغير (وفى الحديث) لا يقطع رجل ثمرة من الجنة فتصل الى فيه حتى يبدل الله تعالى مكانها خيرا منها وثمارها يتناولها القائم والقاعد والمضطجع قال الله تعالى وذللت قطوفها تذليلا متكئين على رفرف خضر وهى المجالس المرتفعة فى الرياض النضرة وعبقرى حسان وهى البسط من الديباج وهى الزرابى أيضا والنمارق الوسائد (وروى) ان الملائكة اذا أتوا الى المؤمن وهو فى قصره يقولون لغلمانه نحن رسل الله فاستأذنوا لنا على ولى الله فيدخلون ويسلمون ويناولونه كتابا فيه من الحى الذى لا يموت الى الحى الذى لا يموت عبدى قد اشتقت اليك فزرنى عبدى هل أنت عنى راض فهذا هو الملك الكبير ثم ان لاهل الجنة مع هذا النعيم والملك الدائم المقيم اكمل السرور واتمام الحبور بالنظر الى الله تعالى عيانا من غير شك ولا ريب ولا حجاب ينظرون الى الله تعالى باعينهم كما اخبر الله تعالى فى كتابه بقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة أى بهجة مسرورة الى ربها ناظرة ولهذا كانت الاولى بالضاد من النضارة والثانية بالظاء من النظر وقال تحيتهم يوم يلقونه سلام ينظرون الى الله تعالى ويسلم عليهم بكلامه الذى لا يشبه كلام الخلق تعالى ربنا وتقدس عن التشبيه والتكييف ولكن تراه الابصار منزها عن معهود ومألوف ليس كمثله شئ وهو السميع البصير فمن نفى الرؤية فهو معطل ومن شبه فهو مجسم

ومذهب أهل السنة اثبات الرؤية فى الآخرة مع نفى التشبيه وقد وردت الاحاديث الصحيحة بذلك عن رسول الله ﷺ رواها عدد كثير من الصحابة رضى الله تعالى عنهم (روى) أبو هريرة وأبو سعيد الخدرى ان قوما قالوا يارسول الله هل نرى ربنا عز وجل يوم القيامة فقال هل تضارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليس دونها سحاب هل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر قالوا لا قال ما تضارون فى رؤية ربكم يوم القيامة الا كما تضارون فى رؤيتهما وعن صهيب قال قرأ رسول الله ﷺ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فقال اذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد ان لكم عند الله عهدا يريد أن ينجزكموه فيقولون ماهو ألم يثقل موازيننا ألم يبيض وجوهنا ألم يدخلنا الجنة ألم يجرنا من النار فيكشف عنهم الحجاب فينظرون الى الله عز وجل فما من شىء أحب اليهم من النظر اليه ثم ان الله تعالى بين أوصاف سكان أهل هذه الدار فقال تعالى الذين يقولون ربنا انا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار وصفهم بالايمان ثم بالاستغفار من الذنوب ولا يصح الاستغفار الا بالتوبة من الاوزار ثم وصفهم بالخوف من العقاب وانهم يسألون الله تعالى السلامة من العذاب ثم وصفهم بالصبر والصبر تمام الامر وهو الصبر على المكاره والمصائب رجاء ثواب الله تعالى والصبر عن الشهوات المحرمة خوف عقاب الله تعالى والصبر على ملازمة فرائض الله تعالى قال ﷺ حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقال رسول الله ﷺ ألا أخبركم بأهل الجنة قالوا بلى يارسول الله قال كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره الا اخبركم بأهل النار قالوا بلى قال كل عتل جواظ متكبر (قال) يحيى بن معاذ ترك الدنيا شديد وفوت الآخرة أشد وترك الدنيا مهر الجنة وقال أيضا فى طلب الدنيا ذل النفوس وفى طلب الاخرة عز النفوس فيا عجبا لمن يختار المذلة فى طلب ما يفنى على العز فى طلب ما يبقى ثم وصفهم بالصدق فى معاملة الله تعالى وهو استواء السر والعلانية لله تعالى واخلاص القصد فى العمل لوجه الله تعالى ورؤية المنة فى الطاعات من الله تعالى ثم وصفهم بالقنوت وهو الخضوع والانقياد لطاعة الله تعالى ثم وصفهم بالانفاق فى أموالهم لطاعة الله تعالى ثم وصفهم بالاستغفار فى الاسحار والوقوف على الباب بوصف الافتقار فمن طمع

فى الجنة فليعرض أعماله على اعمالهم وليقايس احواله باحوالهم والا كان مغرورا متمنياً قال رسول الله ﷺ الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والفاجر من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني وكان ذو النون المصرى يقول يامعشر العلماء طريق الجنة لاتقطع بالكلام وانما تقطع بالسعى والاهتمام فكيف يطمعون بالوصول الى الجنة بالكلام وقال بعضهم لانعلم شيأ يباع فى الدنيا بالكلام ولاحزمه بقل ويمكن شراء الجنة بالكلام يعنى ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن والكلام فى الخير وقد ذكر الله تعالى اوصاف اهل الجنة ايضاً فى قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة الى قوله تعالى وبشر المؤمنين لقد عظم الله تعالى قدرك ايها المؤمن حيث اشتراك مولاك وخالقك وجعل الجنة ثمنك فنعم المشترى الجبار ونعم الدلال المصطفى المختار ونعم الثمن دار القرار ياهذا سلم المبيع فتستحق الثمن ولاتؤخر تسليمه فانه حيوان وربما يتلف قبل التسليم المالك غنى عنك وقد اشتراك لمنفعتك الاترى ان نفع الشمس والقمر عائد اليك اشتراك مولاك اولا واستولى عليك الشيطان بموافقتك اياه ولاحق للغاصب ليس لعرق ظالم حق اشتراك وهو عالم بعيوبك فلا يردك بالعيب وهو قادر على اصلاحك بحسن نظره والرفاء يشترى الثياب الممزقة ويقول انا اصلحها بصنعتى واستر عيوبها بحسن معرفتى والامير اذا اشترى ضيعة خربة عمرها بجاهه وانقطعت اطماع الظلمة عنها وقد اشتراك مولاك ولاعيش الا فى حماه المنيع ولاعز الا فى حسنه الرفيع كانه يقول من دعانى اجبته ومن سألنى اعطيته ومن اطاعنى شكرته ومن عصانى سترته ومن التجأ الى جبرته ومن استنصرنى نصرته العبد اذا ابق عن باب مولاه لايستقر قلبه بخدمة سواه فاذا كان المولى قادرا على رده الى الباب وكان عنده من جملة الاحباب رده بألطاف واكرام وجذبه بالاحسان والانعام ياعبدى انت تفر منى وتعرض عن طاعتى وانا اردتك الى خدمتى وانت تعرض عن شكرى وانا اسبغ نعمى عليك ( ورد فى الحديث ) ان جابر بن عبد الله اعتل جمله فى بعض اسفاره فاشتراه منه النبى ﷺ وتركه تحت جابر الى المدينة ثمن حين اشتراه صار يسبق الركب فلما وصل الى المدينة وفاه الثمن وتركه تحت جابر وما كان قصده بشرائه الا اصلاحه وقد اشتراك مولاك

لاصلاحك فسلم المبيع فسيرجع اليك الكل ان الله لغنى عن العالمين قال الجنيد أخبرهم بأنه اشتراهم ليخرجهم عن التدبير ويكلوا الامر الى الملك الكبير وقال أبو بكر الوراق اشترى منهم انفسهم حتى لا يبقى لهم التفات الى اعمالهم وأموالهم وقال أبو عثمان اشتراها حتى لا يبقى لهم ما يتخاصمون عليه فاذا كانت الجنة ثمنا لنفسك ومالك ولم تبذل نفسك فى طاعة الله تعالى ولم تنفق مالك لله تعالى فطلب الثمن مع امساك المبيع ومنعه لا يصح طلب الجنة بغير عمل أمانى وغرور وطلب القرب ممن لا تطيعه تعطيل وفتور فى الجنة عينان تجريان لمن له اليوم عينان تجريان من خشية الله تعالى قاصرات الطرف فى الخيام لمن قصر طرفه عن الآثام رفع الحجاب لمن ترك الاعجاب بساتينها زاهرة لمن له عين ساهرة قصورها عالية وأثمارها غالية ظلها ممدود لمن لا يتعدى الحدود عيشها مقيم لمن يؤمن بالله ويستقيم فنسأل الله تعالى ان يوفقنا لما يحب ويرضى من القول والعمل ويخلصنا من هذا التسويف والفتور والكسل ويؤمن روعتنا يوم التوبيخ والخجل ويعيذنا يوم الفزع الاكبر من خيبة الامل انه غفور رحيم شكور حليم

## الفصل التاسع فى الخوف

الحمد لله الذى تفرد بعز كبريائه عن ادراك البصائر وتقدس بوصف علاه عن الاشباه والنظائر وتوحد بكمال جبروته فالعقل فى تعظيمه حائر وتفرد فى ملكوته فهو الواحد القاهر الاول قبل كل أول والآخر بعد كل آخر الظاهر بما أبدع من صنعته فدليل وجوده ظاهر الباطن فلا يخفى عليه ما هجس فى الضمائر الحى العليم الخبير السميع البصير القادر المتكلم بكلام قديم أزلى هو به اناه وآمر صفات كماله ظاهرة ثابتة بالادلة فمن عطل فهو جاحد ومن شبه فهو جائر كيف تشبه الصنعة بالصانع أو تماثل الفطرة الفاطر زين قلوب العارفين بنور هدايتك فاضاءت منها السرائر واختطف هممهم اليه فنسيم توحيده عاطر شمر فى طلب معبودك واحذر فوت مقصودك وبادر تعرض لنفحات جوده وفضله وخف من سطوة قهره وعدله وحاذر فكم آمن تحت عطاء بره فخانه نفثات مكره فذبل من رياض سروره الغصن الناضر ياخيبة من أبعده مولاه وقطعه ياحسرة من صده عن بابه ومنعه ياضيعة من أهانه

ووضعه ياشقاوة من خذله وصرعه ومن خذله مولاه فليس له ناصر قلب تعزز بغيره ما أذله عبد أعرض عن خدمته ما أضله عمرا نفق فى غير طاعته ما اقله من رضى بدونه فهو الخائن الغادر الشقى من حرمه والسعيد من رحمه والطريد من حجبه والقريب من جذبه والنادر من أهانه والسالم من أعانه وقد علم الولى والعدو والرائح والخاسر فسبحان من اوضح الدلالة وبين وحبب الايمان الى المؤمنين وزين وطبع على قلوب الجاحدين فهم يجادلون فى الحق بعدما تبين جلت عظمته عن الادراك فالوهم حسير قاصر (أحمده) على احسانه الوارد والصادر واشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له شهادة عبد لاحكامه صابر ولآلائه شاكر واشهد ان محمدا عبده ورسوله اختاره من أطيب العناصر واصطفاه من انجب العشائر واختصه بأشرف الذخائر وادار على من عاداه أفظع الدوائر صلى الله عليه وعلى آله واصحابه ما دار فلك دائر وسار كوكب فى الجو سائر (فى قول الله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى) الخوف من مقام الله وحسابه يدعو الى المواظبة على العمل والعلم لتنال رتبة القرب من الله تعالى والخوف سوط الله تعالى يقوم به الشاردين عن بابه فمن خاف المقام بين يدى ربه يوم العرض ونهى النفس عن هواها وردها عن غيها فان الجنة هى المأوى وينبغى للمؤمن ان يكون كثير الفكر فيما بين يديه من الاهوال كثير المحاسبة لنفسه فى عدنعم الله تعالى وعد جنايات نفسه ليدوم بذلك خوفه فان الخوف اذا فارق القلب خرب والغالب على النفس الفتور والامن والكسل عن الطاعات والميل الى الشهوات ودواء ذلك الخوف فأما من دام عليه الخوف حتى مال الى القنوط والإياس من رحمة الله تعالى فينبغى ان يداوى بالرجاء ويذكر سعة رحمة الله تعالى فمثال الخوف والرجاء كمثال الحرارة والبرودة فمن غلب عليه أحدهما حتى خيف عليه الانحراف والتلف يداوى بالآخر حتى يرجع الى حد الاعتدال (فقد ورد فى الحديث) لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا وفائدة الخوف التقوى والورع والمبادرة والاجتهاد فاذا مال الى حد يخرج عن حد الاعتدال وقع فى القنوط وبطل العمل وذهبت فائدة الخوف واذا دخل عليه الرجاء والطمع رده الى التقوى والورع فالمطلوب التقوى وانما

الخوف والرجاء هما طريقان (روى) عن رسول الله ﷺ انه قال اذا جمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم يقول الله تعالى يا أيها الناس انى قد جعلت نسبا وجعلتم نسبا فوضعتم نسبى ورفعتم نسبكم قلت ان أكرمكم عند الله أتقاكم وأبيتم الا فلان بن فلان وفلان اغنى من فلان فاليوم اضع نسبكم وارفع نسبى أين المتقون فينصب للقوم لواء فيتبعون لواءهم الى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب (وفى الصحيح) عن رسول الله ﷺ انه قال سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله عز وجل ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وافترقا عليه ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال انى أخاف الله ورجل تصدق فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما انفقت يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه (وكان) رسول الله ﷺ اذا وقف يصلى بالليل يسمع لدمعه وقع كوكف المطر (وكان) اذا تغيرت الريح تغير وجهه ويتردد خارجا وداخلا خوفا على امته من عذاب الله تعالى قال رسول الله ﷺ ما جاءنى جبريل قط الا وهو يرعد فزعا من الجبار عز وجل ولما مكر بابليس لعنه الله ضفق جبرائيل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام يبكيان فأوحى الله تعالى اليهما ما لكما تبكيان كل هذا البكاء قالا يارب ما نأمن مكرك فقال الله تعالى هكذا كونا لا تأمنا مكرى (وكان) ابراهيم الخليل عليه السلام يسمع لقلبه أزيز اذا وقف يصلى كحسن المرجل وبكى داود عليه الصلاة والسلام أربعين يوما ساجدا لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموعه فنودى يا داود أجائع أنت فتطعم أم ظمآن فتسقى أم عار فتكسى فانتحب عند ذلك حتى احترق العشب من حر جوفه (وكان) لا يمد يده الى طعام ولا شراب الا تذكر خطيئته فيبكى حتى يؤتى بالقدح ناقصا فيتمه بالدموع ومارفع رأسه الى السماء حتى مات (وكان) يقول الهى اذا ذكرت خطيئتى ضاقت على الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك ارتدت لى روحى سبحانك انى أتيت اطباء عبادك ليداونى فكلهم داونى عليك فبؤسا للقانطين من رحمتك الهى أمد عينى بالدموع وضعفى بالقوة حتى ابلغ رضاك عنى وذكر ذنبه يوما فوثب صارخا واضعا يده على رأسه حتى لحق بالجبال

فاجتمعت عليه السباع فقال ارجعوا لا اريدكم انما اريد كل بكاء على خطيئته فلا يستقبلني الا بالبكاء ومن لم يكن ذا خطيئة فما يصنع بداود الخاطىء (وكان) يعاتب في بكائه فيقول دعوني ابكي قبل خروج يوم البكا وقبل انحراق العظام واشتعال الحشا وقبل ان يؤمر بي ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ولما طال بكاؤه وضاق ذرعه واشتد غمه قال يارب اما ترحم بكائي فأوحى الله تعالى اليه يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك فقال الهي وسيدي كيف انسى ذنبي وكنت اذا تلوت الزبور كف الماء الجاري عن جريه وسكن هبوب الريح واظلتني الطير على رأسي وانست الوحوش بي الهي ومجيدي كم هذه الوحشة بيني وبينك فأوحى الله تعالى اليه يا داود ذلك انس الطاعة وهذه وحشة المعصية ان آدم خلق من خلق خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي واسجدت له ملائكتي والبسته ثوب كرامتي وتوجته بتاج وقاري وشكا الى الوحدة فزوجته بحواء امتي واسكنته جنتي وعصاني فأخرجته من جواري عريانا ذليلا يا داود اسمع مني والحق اقول اطعتنا فاطعناك وعصيتنا فامهلناك وان عدت على ما كان منك قبلناك (ويروى) ان داود عليه الصلاة والسلام كان اذا أراد أن ينوح على ذنبه مكث سبعة ايام لا يأكل ولا يشرب ولا يقرب النساء ثم يخرج له منبر الى البرية ثم يأمر سليمان عليه الصلاة والسلام ان ينادي بصوت عال من اراد ان يسمع نوح داود فليأت فتأتي الوحوش من البراري والآكام وتأتي الهوام من الجبال والطيور من الاوكار وتخرج العذارى من خدورهن وتجتمع الخلائق لذلك اليوم فيأتي داود فيرقى المنبر فيحيط به بنو اسرائيل على طبقاتهم وكل صنف من الخلائق على حدته وسليمان عليه الصلاة والسلام واقف على قدميه عنده فيأخذ داود في الثناء على الله تعالى فيضجون بالبكاء والصراخ ثم يأخذ في ذكر الجنة والنار فيموت خلق كثير من الناس والوحوش والهوام والطيور ثم يأخذ في اهوال القيامة وينوح على نفسه فيموت من كل صنف طائفة عظيمة فاذا رأى سليمان كثرة الموتى قال يا اباه مزقت المستمعين كل ممزق وماتت طائفة من بني اسرائيل ومن الوحوش والطير فيأخذ في الدعاء حتى يقع مغشيا عليه فيحمل الى منزله وتكثر الجنائز في الناس فيقال هذا قتيل

ذكر الله وهذا قتيل خوف الله وهذا قتيل ذكر الجنة وهذا قتيل ذكر النار ثم يدخل داود بيت عبادته ويغلق بابه ويقول يا اله داود اغضبان انت على داود ولا يزال يناجي حتى يأتي سليمان فيستأذن ويدخل ويقدم اليه قرصا من شعير فيقول يا ابت تقو بهذا على ما تريد فيأكل ماشاء الله تعالى ثم يخرج الى بني اسرائيل وقال يزيد الرقاشي خرج داود عليه الصلاة والسلام مرة ينوح على نفسه ومعه اربعون الفا فمات منهم ثلاثون الفا فما رجع الا في عشرة آلاف (وكان) اذا جاءه الخوف سقط واضطرب حتى يقعد انسان على رجليه وآخر على صدره لئلا تتفرق اعضاؤه ومفاصله وقال عمر بن عبد العزيز دخل يحيى بن زكريا عليه الصلاة والسلام بيت المقدس وهو ابن ثمان سنين فرأى عباد بني اسرائيل وقد لبسوا مدارع الصوف والشعر ونظر الى اجتهادهم ومايصنعون بأنفسهم فهاله ذلك فرجع الى أبويه فسألهما فالبساه مدرعة من شعر ولزم بيت المقدس فكان يخدمه نهارا وينقطع فيه ليلا حتى أتت عليه خمس عشر سنة فخرج الى البراري والجبال والغدران والشعاب فخرج ابواه في طلبه فوجداه على بحيرة الاردن ورجلاه في الماء وقد كاد العطش ان يهلكه وهو يقول وعزتك وجلالك لا اذوق بارد الشراب حتى اعلم أين مكاني منك فسأله ابوه ان يفطر على قرص شعير كان معهما ويشرب الماء ويرجع معهما ففعل ذلك وكفر عن يمينه فلذلك مدحه الله تعالى بالبر فقال وبرا بوالديه فرجع الى بيت المقدس فكان اذا قام يصلي يبكي حتى يبكي معه الشجر والمدر ويبكي زكريا لبكائه فما زال يبكي حتى طرق الدمع في خده طريقين فقال له ابوه يا بني سألت ربي ان يهبك لي لتقر عيني بك فما هذا البكاء قال يا ابت ان جبريل اخبرني ان بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها الا كل بكاء فقال زكريا فابك يا يحيى (وروى) ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان كثير البكاء فاتاه جبريل وقال له الجبار يقرئك السلام ويقول هل رأيت خليلا يخاف خليله فقال ياجبريل اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي هذا خوف المرسلين مع عصمتهم من المخالفات وطهارتهم عن الزلات وانما كانت خطاياهم نظرة الى مباح او لفظة في ظاهرها مكروه وفي باطنها صلاح ابراهيم عليه الصلاة والسلام كسر الاصنام وقال بل فعله كبيرهم هذا

يعنى على زعمكم ليخصم قومه ويظهر الحجة عليهم فى عبادة من لايقدر على شىء وقال أيضا انى سقيم أى ما آتى الى السقم حتى لايخرج معهم فى لهوهم وقال فى زوجته سارة هذه اختى يعنى فى الاسلام ليخلصها من يد ظالم وليس فى شىء من هذا اثم فلا وزر وداود عليه الصلاة والسلام نظر الى امرأة جاره اول مرة ثم غض بصره ولا اثم فى ذلك ثم اشتهى ان تكون زوجته فى الحلال فخرج زوجها فى الغزو فقتل من غير ان يتسبب داود فى قتله بشىء هذا أعظم ما ورد فى قصته وما زاد على هذا فهو باطل وقيل انه سأله ان يطلقها قاله ابن عباس وابن مسعود وقيل انما كان خاطبا وسأله ان ينزل عن خطبتها وليس فى شىء من هذا اثم وانما كانوا اعلم بالله واشد خشية وتعظيما فصارت هذه الاشياء عندهم عظائم لشدة اجلالهم لله تعالى وتعظيمهم لهيبته وجلاله فلا يغتر الجاهل المسكين بما يسمع من ذكر معاصى هؤلاء بل ينبغى ان يشتد خوفه ووجله واشفاقه من ذنوبه وينظر شدة خوفهم مع رفيع مقامهم وخفة هفواتهم فكيف يطمئن قلب من لا يعلم عاقبة امره ام كيف يسكن قلق من ضيع فى المخالفات سالف عمره فنسأل الله تعالى ان يتغمدنا برحمته واحسانه انه هو الغفور الرحيم (فى قول الله عز وجل انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) المؤمن حقا من كانت هذه صفاته الوجل عند ذكر الله تعالى والخشوع عند سماع كتاب الله تعالى والتوكل على الله تعالى ولزوم طاعة الله تعالى والجود بما اعطاه الله تعالى (وفى الصحيح) عن رسول الله ﷺ انه قال لا يدخل النار من بكى من خشية الله تعالى حتى يلج اللبن فى الضرع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخل النار عين غضت عن محارم الله ولا تدخل النار عين بكت من خشية الله قرأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا الشمس كورت فلما بلغ واذا الصحف نشرت خر مغشيا عليه وسمع مرة أخرى قارئا يقرأ فى سورة والطور فوقف فلما بلغ قوله تعالى ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع استند الى حائط ساعة وذهب الى منزله فمرض شهرا والناس لا يدرون ما سبب مرضه (وكان) سفيان الثورى اذا جلس مع الناس كأن النار أحاطت به لما يرى من شدة خوفه وجزعه (وقال) فرقد

السنجي دخلت بيت المقدس خمسمائة عذراء من بني اسرائيل لباسهن الصوف فتذكرت ثواب الله تعالى وعقابه فمتن كلهن في يوم واحد وصلى زرارة بن اوفى بالناس صلاة الصبح فقرأ فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير فوقع ميتا رحمه الله تعالى ولما نزل قوله تعالى وان جهنم لموعدهم اجمعين صاح سلمان الفارسي صيحة ووضع يده على رأسه وهام على وجهه ثلاثة أيام (وكان) عبد الله بن عمرو ابن العاص يقول ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فوالله لو يعلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه . واجتمع أصحاب الحديث يوما على باب الفضيل رحمه الله تعالى فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي ويرجف فقال عليكم بالقرآن عليكم بالصلوات وهذا زمان بكاء وتضرع ودعاء كدعاء الغريق هذا زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وهذا اخذه الفضيل من حديث عقبة بن عامر لما ذكر النبي ﷺ اختلاف الزمان فقال ما النجاة يا رسول الله قال امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك (وكان) الفضيل يوما يمشي فقيل له الى اين قال لا أدري وكان والها من الخوف ووقف قوم بعابد يبكي فقالوا له ما يبكيك قال روعة يجدها الخائفون في قلوبهم قالوا وما هي قال روعة النداء بالعرض على الله تعالى (وكان) الخواص يبكي ويقول الهي كبرت وضعفت جسمي عن خدمتك فاعتقني . وجاءت مولاة لعمر بن عبد العزيز فقصت عليه انها رأت في المنام كأن الصراط قد مد على جهنم وهي تزفر على أهلها وذكرت أنها رأت رجالا مروا على الصراط فأخذتهم النار قالت ورأيتك يا أمير المؤمنين وقد جيء بك فوقع مغشيا عليه وبقي زمانا يضطرب وهي تصيح في اذنه رأيتك والله قد نجوت (وكان) طاوس يفرش فراشه ويضطجع عليه فيتقلى كما تتقلى الحبة في المقلاة ثم يقوم فيطويه ويصلي الى الصبح ويقول طير ذكر جهنم نوم الخائفين (وكان) الحسن البصري اذا جلس كأنه أسير قدم ليضرب عنقه ومكث أربعين سنة لم يضحك وقال رجل لبعض الصالحين أوصني قال يا أخي ان استطعت أن تكون كرجل احتوشته السباع والهوام فهو خائف أن يغفل فتفترسه السباع أو تنهشه الهوام فهو خائف حذر وجل القلب فهو في الخوف في ليله وان أمن

المغترون وفى الحزن فى نهاره واذ فرح البطالون فقال زدنى رحمك الله قال يا أخى الظمآن يجزيه من الماء يسيره . وعوتب عطاء فى كثرة بكائه فقال اذا ذكرت أهل النار مثلت نفسى بينهم فما لى لا أبكى . وقال أبو طارق شهدت ثلاثين رجلا أتوا الى مجلس الذكر صحاحا فتصدعت قلوبهم من خوف الله تعالى فماتوا كلهم فى مجلس واحد (شعر مفرد)

قصوا على حديث من قتل الهوى ان التأسى روح كل حزين

قال منصور بن عمار دخلت الكوفة فبينما أمشى فى ظلمة اذ سمعت بكاء رجل بصوت شجى من داخل الدار وهو يقول الهى وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتى مخالفتك ولكن عصيتك بجهلى فالآن من ينقذنى من عذابك وبحبل من اعتصم ان قطعت حبلك منى واذنوباه واذنوباه يا الله قال منصور بن عمار فما بكانى كلامه فوقفت فقرأت يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون فسمعت للرجل اضطرابا شديدا وصياحا فوقفت حتى انقطع صوته ومضيت فلما أصبحت اتيت الى الدار فوجدت الرجل قدمات والناس فى تجهيزه وعجوز تبكى فسألت عنها فقيل هى امه فتقدمت اليها وسألتها عن حاله فقالت كان يصوم النهار ويقوم الليل ويكتسب الحلال فيقسم كسبه اثلاثا ثلث يفطر عليه وثلث ينفقه على وثلث يتصدق به فلما كان البارحة مر انسان وهو يقرأ فسمع آية من القرآن ففارق الدنيا . وسمع مرزوق ابن محمد قارئا يقرأ يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فشهق شهقة لحق فيها الآخرة وقال صالح المرى قدم علينا ابن السماك فقال أرنى بعض عجائب عبادكم فذهبت به الى رجل فى خص فاستأذنا ودخلنا فاذا هو يعمل الخوص فقرأت عليه ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله انى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون اذ الاغلال فى اعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون فشهق الرجل ووقع مغشيا عليه فخرجنا وذهب الى آخر وقرأ عليه الآية فوقع مغشيا عليه ثم جئت به الى ثالث فقال ادخلوا ان لم تشغلونا عن ربنا فدخلنا فقرأت عليه

ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد الآيات فوقع مغشيا عليه فأدرته على ستة رجال كل واحد نخرج ونتركه مغشيا عليه ثم أتينا الى السابع فدخلنا على شيخ فان وهو فى مصلاه فسلمنا فلم يشعر بسلامنا فقلت بصوت عال ان للخلائق غدا مقاما فصاح بين يدى وبقى مبهوتا فاتحافاه يصيح بصوت ضعيف فخرجنا وتركناه ثم بعد ذلك سألت عن أحوالهم فقيل لى مات منهم ثلاثة وبقى الشيخ على حاله ثلاثة أيام ثم أفاق وسمع يحيى البكاء رجلا يقرأ ولو ترى اذ وقفوا على ربهم فصاح صيحة مرض منها اربعة اشهر يعاد من أطراف البصرة (واعلم) ان الخائفين على مراتب فخوف العارفين خوف اجلال وتعظيم لما غلب على قلوبهم من ذكر جلال الله تعالى وعظمته من غير فكرة فى شىء من أفعاله وهذا خوف الانبياء والملائكة وخواص الاولياء وأما خوف أكثر المؤمنين فيذكروا الوعد والوعيد وأهوال القيامة مع فكرتهم فى الجنايات والتفريط واتهامهم لنفوسهم أن يكون فيها من الآفات الباطنة ما يربى على المعاصى الظاهرة كالعجب والرياء والحسد والكبر ونحوها واشد ما يهيج خوف هؤلاء ويزعج قلوبهم خوف السابقة والخاتمة اذ العبد لا يدرى هل سبق له فى علم الله تعالى السعادة أو الشقاوة والخاتمة تجرى على ما جرت به السابقة فمن سبق له فى علم الله تعالى السعادة ختم له بخاتمة الايمان ومن سبق له فى علم الله تعالى الشقاوة ختم له بخاتمة الخذلان قال الله عز وجل واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وقال رسول الله ﷺ يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا وأكثر ما يمكر عند الموت بأرباب البدع واصحاب الآفات الباطنة والظلمة المجاهرين بالمعاصى فمن كان فى ظاهره الصلاح ومكر به فلآفات باطنة ذكر ان فتى من اصحاب الفضيل بن عياض مات فرآه الفضيل فى المنام فسأله عن حاله فأخبره أنه مكر به ومات يهوديا فقال له لم ذلك قال لانى كنت أظن أنى أفضل أصحابك فكنت أتكبر عليهم وكانت بى علة باطنة فوصف لى شرب الخمر فكنت أشرب الخمر فى كل سنة قدحا (وحكى) ان رجلين اصطبحا فى العبادة زمانا طويلا ثم سافر أحدهما زمانا طويلا فبينما الآخر فى غزاة من غزوات المسلمين يقاتلون الروم اذ برز فارس من عسكر الروم فطلب المبارزة فقتل ثلاثة من المسلمين فبرز اليه ذلك العابد وتطاردا فخسر الرومى عن وجهه فاذا هو رفيقه الذى كان معه

فى العبادة فقال يافلان ماهذا الخبر فقال ان الابعد ارتد عن الاسلام وتزوج من الروم وصار له فيهم مال وأولاد فسأله أن يرجع الى الاسلام فأبى فقال له يافلان كنت تقرأ القرآن كثيرا قال لا أذكر اليوم منه حرفا واحدا فقال له انصرف فقد قتلت ثلاثة فانصرف المرتد فتبعه العابد فقتله فبعد تلك المجاهدات والعبادات قتل على غير الاسلام فكم من مغبوط فى أحواله انعكس عليه الحال ورمى بمقارنة قبيح الاعمال فبدل بالانس وحشة وطردا وبالقرب غيبة وبعدا كما قيل (شعر)

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ... ولم تخف سوء ما يأتى به القدر

وسالمتك الليالى فاغتررت بها ... وعند صفو الليالى يحدث الكدر

وخرج عيسى عليه الصلاة والسلام يوما ومعه عابد من عباد بنى اسرائيل فتبعهما رجل عاص فقفته العابد وقال اللهم لا تجمع بينى وبين هذا العاصى فقال العاصى اللهم اغفر لى فأوحى الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام قد استجبت دعاءهما فرددت الصالح وغفرت للمحروم . وقال سهل بن عبد الله خوف الصديقين خوف سوء الخاتمة عند كل خطرة وحركة (وكان) سفيان الثورى كثير البكاء والجزع فقيل له يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فأن عفو الله أعظم من ذنوبك فقال أو على ذنوبى أبكى لو علمت انى أموت على التوحيد لم أبال بمثل الجبال من الخطايا . ومرض بعض العارفين فقال لبعض اخوانه اقعد عند رأسى حتى أموت فاذا مت على التوحيد فاشتر بجميع ما أملكه لوزا وسكرا وفرقه على صبيان البلد وقل هذا عرس فلان وان لم يكن كذلك فأعلم الناس حتى لا يغتروا بجنازتى فقعد عند رأسه حتى مات على الايمان فاشترى اللوز والسكر وفرقه على صبيان البلد هذا خوف فسلم ومن لم يخف من سلب الايمان فهو على خطر (شكا) نبى من انبياء الله تعالى الجوع والفقر فأوحى الله تعالى اليه عبدى اما رضيت ان عصمت قلبك من ان تكفر بى حتى تسألنى الدنيا فأخذ التراب ووضعه على رأسه وقال بلى يارب قد رضيت ويقال فى قول الله تعالى اخبارا عن اهل الجنة انا كنا قبل فى اهلنا مشفقين اى كنا ونحن فى الدنيا بين اهلينا خائفين من سوء الخاتمة فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم اى من بلينا وتوفانا على الايمان (وكان) على بن ابى النجم يبكى ويقول الهى ان

ابتليتنى بكل معصية فلا تبتانى بأن أجحدك فتخلدنى فى النار (وكان) حبيب العجمى يبكى ويقول من ختم له بلا اله الا الله دخل الجنة ثم يبكى ويقول ومن لى بأن يختم لى بلا اله الا الله . وقال حامد اذا صعدت الملائكة بروح المؤمن تقول الملائكة كيف سلم هذا من دار فتن فيها خيارنا . وقال سفيان الثورى رأيت رجلا متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول اللهم سلم سلم فقلت له يا أخى ما قضيتك قال كنا أربعة اخوة مسلمين فتوفى منا ثلاثة كل واحد يفتن عند موته ولم يبق الا أنا فما أدرى بم يختم لى . وتاب رجل نباش فسئل عن سبب توبته قال رأيت سبعين رجلا فى قبورهم قد حولوا عن القبلة . وقال الحسن دخل بعض الفقراء الى بلاد الروم فرأى جارية فافتتن بها فخطبها فأبوا ان يزوجوه حتى يتنصر فاجابهم الى ذلك فأحضروا له القسيسين وتنصر فخرجت الجارية وبصقت فى وجهه وقالت يا ويحك تركت دين الحق لدين باطل فكيف لا أترك انا دين الباطل للنعيم المقيم الابدى أنا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وأتى بعض الصالحين بطبيب نصرانى فى مرضه فصاح أخرجوه عنى ثم قال الهى وعزتك لو صببت على كل بلاء فى الدنيا لم أبال بعد ان لا تعذبنى بالكفر من سلمت خاتمته ختمت سلامته وتمت كرامته ما أتم الرجال بخواتم الآجال صغار الخدود من حذار الصدود والدموع السواكب من خوف العواقب

(شعر) منقطع عنك كان متصلا ونازح بالفناء فار تحلا

يا أيها المغرور بأحواله المعجب بأعماله على يدأى نقيب عرضت وفى أى الدواوين رسمت وباى النداء نوديت فمن كان حاله مبهما عنه فأولى به الخوف والوجل والحياء والخجل (وكان) يحيى بن معاذ يبكى ويقول الهى ليس يبكينى اليوم ذنب وان عظم وانما يبكينى حالتى التى لا أدرى كيف انا بها عندك الهى العياذ بذكرك من مكرك والاستعانة على قدرك بقدرك لا تبل قلبى بالفراق فانه يا رب اضعف من بلى بفراق اللهم اجعل الايمان لنا سراجا ولا تجعله لنا استدراجا اجعله لنا سلما الى جنتك ولا تجعله مكرا الى مشيئتك انك انت الحليم الغفور وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## الفصل العاشر فى الرجاء

الحمد لله الذى دلت بدائع صنعته وعجائب مملكته على انفراده بالايجاد والانشاء وذلت لعظمة هيبته وقهر سطوته رقاب العظماء وكلت عن حقيقة معرفته وكمال صمديته أفهام العقلاء وجلت صفات ربوبيته ونعوت وحدانيته فلا تحصيها بلاغة الفصحاء الاول بالتقدم قبل ابتداء جميع الاشياء الآخر بالعز والملك والبقاء الظاهر بالاختراع والابتداع والقهر والكبرياء الباطن عن الاحاطة فالافهام عاجزة عن ادراك الجلال والالسنة قاصرة عن حقيقة الثناء القدوس الغنى عن جميع خلقه فلم يزل غنيا قبل وجود العرش والكرسى والماء والهواء والسماء الواحد الاحد القيوم الصمد الحى المنزه عن مشابهة الاحياء العليم السميع البصير فلا يخفى عليه ما يختلج فى الضمير عند تنفس الصعداء القادر على رد الشاردين ووصل المنقطعين وتقريب البعداء بمشيئته الضر والنفع والبلاء والدفع والخفض والرفع فكل يجرى على سابق القضاء المتكلم بكلام قديم ازلى جل عن التشبيه والتكييف والانتهاء قصرت بصائر اهل التشبيه عن معرفة التنزيه فخاضوا فى البدع والاهواء وعميت ابصار المعطلين عن الاستضاءة بنور الله تعالى فتاهوا فى الظلماء فسبحان من اوضح ادلة وجوده وخص المحققين بكشف الغطاء وأكمل لهم المنة بما اولاهم من كريم العطاء وفتح باب جوده للقاصدين وبسط بساط الرجاء ومهد للمؤمنين من احسانه مهادا وأوسع الارجاء وشرح لقبول امره والاقبال على ذكره صدور السعداء ووفق العاملين لخدمته ووعدهم بجزيل الجزاء فتلذذوا بمناجاته لما علموا أنه قريب سميع الدعاء (احمده) على ما أولانا من الفضل والطول والآلاء (واشهد) ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة ادخرها عنده ليوم اللقاء (واشهد) ان محمدا عبده ورسوله خاتم الرسل والانبياء وسيد النجباء والاولياء والاصفياء صلى الله عليه وعلى آله واصحابه اهل الصدق والوفاء صلاة دائمة ما تبسم فجر فاتحف الجو بالضياء وتصرم هجر فطاب الود بالصفاء . (فى قول الله عز وجل قل يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) . سبب نزول هذه الآية ان قوما قالوا

يارسول الله يغفر لنا ربنا ان اسلمنا على ما كان منا من الكفر والقتل وغيره فنزلت قال ثوبان لما نزلت قال ﷺ ما احب ان لى الدنيا وما فيها بهذه الآية ومعنى الآية ان الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب قال على بن ابى طالب رضى الله عنه هى ارجى آية فى القرآن وقيل ارجى آية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقيل أرجى آية ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقال زين العابدين أرجى آية ولسوف يعطيك ربك فترضى فان محمدا لا يرضى واحد من امته فى النار وآيات الرجاء فى القرآن كثيرة وقد ذم الله تعالى من انقطع رجاؤه من فضل الله تعالى فقال تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون والرجاء حسن الظن بالله تعالى فى قبول طاعة وفقت لها او مغفرة سيئة تبت منها فاما الطمأنينة مع ترك الطاعات والاصرار على المخالفات فأمن وغرور وقد نهى الله تعالى عنه بقوله تعالى ولا يغرنكم بالله الغرور يعنى الشيطان فانه يحسن لك المعاصى وربما يجرك الى ذلك برجاء عفو الله تعالى وكرمه وقد وصف الله تعالى الراجين فقال ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور (وروى) مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم وعنه قال قال رسول الله ﷺ ان لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحوش على ولدها وأخر تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة (وعن) عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى قال قدم على رسول الله ﷺ بسبى فاذا امرأة من السبى تبتغى اذ وجدت صبيا فى السبى أخذته فألصقته ببطنها فأرضعته فقال لنا رسول الله ﷺ أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار قلنا لا والله وهى تقدر على ان لا تطرحه فقال رسول الله ﷺ لله ارحم بعباده من هذه بولدها (وعن) ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال كان رجل لم يعمل حسنة قط اذا قال لاهله اذا مت فاحرقونى ثم اذروا نصفى فى البر ونصفى فى البحر فو الله لئن قدر الله على ليعذبنى عذابا لا يعذب به احدا من العالمين فلما مات فعلوا به

كما أمرهم به فامر الله تعالى البر فجمع ما فيه وامر البحر فجمع ما فيه ثم قال له لم فعلت هذا بنفسك فقال من خشيتك يارب وانت أعلم فغفر الله تعالى له (وعن) أبي امامة ان رجلا جاء الى النبي ﷺ فقال يارسول الله اني قد أصبت حدا فأقمه علي فسكت عنه فأعاد الكلام ثلاثا واقيمت الصلاة فصلى النبي ﷺ بالناس ثم انصرف فتبعه الرجل وأعاد الكلام فقال له النبي ﷺ أرأيت حين خرجت من بيتك أليس قد توضأت فاحسنت الوضوء فقال بلى يارسول الله قال ثم شهدت الصلاة معنا قال نعم يارسول الله فقال رسول الله ﷺ فان الله تعالى قد غفر لك حدك او قال ذنبك (وعن) أبي موسى قال قال رسول الله ﷺ اذا كان يوم القيامة دفع الله الى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار (وفي الصحيح) يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي واوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام احببني واحب من يحبني وحببني الى خلقي قال يارب وكيف احببك الى خلقك قال اذكرني بالحسن الجميل واذكر آلائي واحساني وذكرهم ذلك فانهم لا يعرفون مني الا الجميل (وكان) ابو عثمان يتكلم في الرجاء كثيرا فرؤي بعد موته في المنام فقيل له كيف كان قدومك على الله تعالى فقال اوقفني بين يديه وقال ما الذي حملك على ما فعلت فقلت اردت ان احببك الى خلقك فقال قد غفرت لك (وروى) ان رجلا من بني اسرائيل كان يقنط الناس ويشدد عليهم فيقول الله تعالى له يوم القيامة اليوم أيئسك من رحمتي كما كنت تقنط عبيدي منها (وروى) ان رجلين يوم القيامة يخرجان من النار فيقول الله تبارك وتعالى لهما كيف وجدتما مقيلكما وسوء مصيركما فيقولان شر مقيل واسوأ مصير فيقول الله تبارك وتعالى ذلك بما قدمت ايديكما وما انا بظلام للعبيد فيأمر بردهما الى النار فأما احدهما فيبادر اليها واما الآخر فيتوقف فيقول الله تعالى للذي بادر ما حملك على ما صنعت فيقول عصيتك في الدنيا فأعصيك في الآخرة ويقول للذي توقف ما حملك على ما صنعت فيقول حسن ظني بك يارب حين اخرجتني منها ان لا تعيدني اليها فيرحمهما ويأمر بهما الى الجنة (وفي الصحيح) ان رسول الله ﷺ سأل الله عز وجل في امر امته وبكى فقال الله عز وجل ياجبريل اذهب الى محمد وقل له انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك . وقال ابراهيم بن ادهم خلا

لى المطاف ليلة فصرت أطوف بالبيت وأقول اللهم اعصمنى فهتف بى هاتف وقال يا براهيم كلكم تسألون الله تعالى العصمة فاذا عصمكم على من يتكرم (وروى) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذى نفس محمد بيده ليغفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ماخطرت على قلب بشر والذى نفسى بيده ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة يتطاول لها ابليس رجاء ان تناله . وقال أبو يعقوب القارى رأيت فى المنام أويسا القرنى فقلت أوصنى فقال ابتغ رحمة الله عند محبته واحذر نقمته عند معصيته ولا تقطع رجاءك منه فى خلال ذلك . وقال مالك بن دينار رأيت مسلم بن يسار بعد موته فى المنام فقلت له ما لقيت بعد الموت فقال لقيت والله أهوالا وزلازل عظاما شدادا قلت فاذا كان بعد ذلك قال ما تراه يكون من الكريم الا الكرم قبل منا الحسنات وعفا عنا السيئات وضمن عنا التبعات قال ثم شهق مالك شهقة ووقع مغشيا عليه ثم مات بعد ذلك بأيام وكانوا يرون ان قلبه قد انصدع ورؤى بعضهم فى المنام فقيل له بماذا قدمت على الله قال بذنوب كثيرة محاها عنى حسن الظن بالله تعالى ونظر الفضيل الى الناس يوم عرفة وهم واقفون يبكون ويتضرعون فقال لرجل الى جانبه أرأيت لو أن هؤلاء كلهم واقفون على باب رجل من الاغنياء يطلبون دانقا أكان يردهم فقال لا قال فان المغفرة عند الله تعالى أهون من دانق عند أحدكم ويروى أن الله عز وجل اوحى الى بعض الانبياء بعينى ما يتجمل المتجملون من أجلى وما يكابد المكابدون فى طلب مرضاتى أترانى أنسى لهم عملا وأنا الرحيم بخلقى ولو كنت معاجلا بالعقوبة أحدا لعاجلت بها القانطين من رحمتى ولو يرى عبادى المؤمنون كيف استوهبهم ممن ظلموه ثم أحكم لهن وهبهم بالخلد المقيم فى جوارى اذا ما اتهموا فضلى وكرمى . وقال ابن مسعود يقول الله تعالى يا عبدى لم تقنط من رحمتى اليس انا الذى اظهرتك ولا أمانى طوقتك مالك تتجاهل على كأنك ما عرفتنى وتتنحى كأنك ما وافقتنى عبدى ان استقلتنا أقلناك وان تبت الينا قبلناك وان عزمت على قصدنا ادنيناك وان اضطرب دليلك أريناك وان عاديت نفسك فى حب ودنا والينا لك وان بكيت لعوز دوائك داويناك وان بكيت لضرك شيفيناك وان بكيت خشية احضرناك وان بكيت خوفا أمناك وان بكيت أسفا على ما فاتك

من حقوقنا عوضناك لا تقنطوا من رحمتي هل رأيتم من انقطع الى ذل هل رأيتم من احتمى من اجلي أعتل هل رأيتم من تنسم رياض قربي اختل هل رأيتم من رأى اعلام نصرتي انغل هل رأيتم من وجد حلاوة ذكري انسل كانه سبحانه وتعالى يقول ياعبدي لا تقنط فانك ان كنت بالغدر موصوفا فانا بالجود معروف وان كنت ذا خطايا فأنا ذو عطايا وان كنت ذا جفاء فانا ذو وفاء وان كنت ذا اساءة فانا ذو أناة وان كنت ذا غفلة وسهوة فانا ذو عفو ورحمة وان كنت ذا خشية وانابة فانا ذو قبول واجابة لا تقنط من رحمة من جاد بالمغفرة على الالوف من البررة وجعلهم من البررة كان بعض الصالحين يتعلق باستار الكعبة ويقول ههنا وعدتني وانى هنا دعوتني اقد ظلني النار وتوحيدك في قلبي ما أظنك تفعل ذلك وان فعلت فلا تجمع بيني وبين قوم قد عاديتهم فيك وانظر اعرابي الى الناس بالموقف فانشد يقول (شعر)

برزوا لوجهك يا كريم دعوة ... الفاظها شتى بمعنى مفرد
يعفون بحرك يا عزيز وما عسى ... أن يبلغوا منه بوصف مجهد
فاسمح بمغفرة تكون لسفرنا ... زادا اليك غدا يوم المشهد

وأتى آخر الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله قلت فسمعنا وبلغت عن ربك فقبلنا وكان فيما بلغت عن ربك انه قال ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وها نحن قد ظلمنا أنفسنا وقد جئناك مستغفرين فاستغفر لنا. وقال فتح الموصلي لقد كثرت خطاياي وكبرت حتى لقد آيستني من عظيم عفو الله عز وجل ثم قال وأنا آيس منك وأنت لي كل خير ونعمة وأنا آيس منك وأنت المؤمل لكل فضل ومعروف وأنا آيس منك وأنت المغيث عند كل كرب فلم يزل يقول وأنا آيس منك حتى سقط مغشيا عليه

## الفصل الحادي عشر في التوبة

الحمد لله الغفور الودود الكريم المقصود الملك المعبود القديم الوجود العميم الجود المتعالي عن الامثال والاشكال والجهات والحدود الحي العليم السميع البصير فلا يخفى عليه دبيب النملة السوداء في الليالي السود ويسمع حس الدود في خلال العود ويرى جريان الماء في باطن الجلمود وتردد الانفاس في الهبوط والصعود القادر فاسواه

فهو بقدرته موجود بمشيئته تصاريف الاقدار وبقسمته الادبار والسعود المتكلم بكلام قديم أزلى غير متناه ولا محدود فصفاته قديمة ثابتة بالنقل والعقل فمن عطل وقع فى الجحود وتنزيهه عن الاشباه معلوم فالتشبيه مذهب اليهود كف الكيف مشلولة وباب التشبيه مسدود ودليل العقل مقبول وتخييل الوهم مردود والمتبع مقرب والمبتدع مطرود والحق غنى عن العباد فلا ينفعه المطيع ولا يضره الكنود وابادبسطوته قوم نوح واهلك عادا وقوم هود وأعاد من بعد عاد دائرة السوء على ثمود وسلط ضعيف البعوض بقدرته على نمرود واغرق فرعون وقومه لما تلاطمت عليهم امواج الصدود وأعمى بصائر الجاحدين ففى أعناقهم أغلال وفى أرجلهم قيود فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم والجلود وشرح لقبول الحق صدور السعداء فلم يضرهم كيد العدو والحسود لا يسود سعى ابليس فى طرد آدم فكان هو المطرود وخادعه باظهار النصيحة فزين له الخلود لكنه كان حاسدا والحسود لا يسود وكم من جد فى طلب القرب وبذل المجهود ولكن صاحب الجلد اذا لم يساعده الحظ فهو مجدود فسبحان من قرب واقصى وعلم واحصى وهو الشاهد وكل ما سواه مشهود احمده وهو المشكور المحمود واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة يفوز قائلها فى اليوم الموعود واشهد ان محمدا عبده ورسوله صاحب اللواء المعقود والحوض المورود صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الركع السجود صلاة دائمة باقية الى يوم الورود فى قول الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وقال تعالى يأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيآتكم أمر الله تعالى عباده بالتوبة فى آيتين فقال تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وقال تعالى يأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا ووعد بقبول التوبة فى آيتين فقال تعالى ألم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وقال تعالى وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيآت ووعد بالمغفرة للتائب فى آيتين فقال تعالى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقال تعالى غافر الذنب وقابل التوبة شديد العقاب ذى الطول وقد ذكر التائبين فقال تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال تعالى التائبون العابدون

والآيات فى ذكر التوبة كثيرة ( وفى صحيح ) مسلم عن الاعرج المدنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يا أيها الناس توبوا الى الله فانى اتوب الى الله فى اليوم مائة مرة وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من تاب قبل ان تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه ( وللبخارى ) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله ﷺ ان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب الى الله تاب الله عليه (وفى) الصحيح عن أنس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال التائب من الذنب كمن لا ذنب له واذا احب الله عبدا لم يضره ذنب ثم تلا قوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين قيل يا رسول الله وما علامة التوبة قال الندامة (وعن) أنس أيضا ان رسول الله ﷺ قال ما من شىء أحب الى الله من شاب تائب ويقال ان الله تعالى يقول فى بعض كتبه يا ابن آدم عليك الجهد وعلى الوفاء وعليك الصبر وعلى الجزاء وعليك السؤال وعلى العطاء وعليك الاملاء وعلى الكتابة وعليك الدعاء وعلى الاجابة وعليك الشكر وعلى الزيادة وعليك التوبة وعلى القبول (وفى الحديث) ان الله يقول اذا تاب عبدى انسيت جوارحه عمله وانسيت البقاع وانسيت حافظيه حتى لا يشهدوا عليه يوم القيامة (وعن) الحسن البصرى رحمه الله تعالى قال لما تاب الله على آدم عليه الصلاة والسلام هبط جبرائيل عليه الصلاة والسلام وكذلك ميكائيل ودردائيل وقالوا يا آدم قرت عيناك بتوبة الله تعالى عليك فقال آدم يا جبرائيل فان كان بعد هذه التوبة السؤال فاين مقامى فاوحى الله تعالى اليه يا آدم ورثت ذريتك التعب والنصب وورثتهم انا التوبة من دعانى منهم بدعوتك تبت عليه كما تبت عليك ومن سألنى المغفرة لم ابخل عليه كما لم ابخل عليك لانى قريب مجيب يا آدم احشر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين ودعاؤهم مستجاب (ويروى) ان آدم عليه الصلاة والسلام لما اكل من الشجرة ونزع عنه لباس الجنة ولى هاربا وجعل يستتر بورق الجنة فناداه ربه أفرارا منى يا آدم قال بل حياء منك يا رب فقال الله تعالى اما خلقتك بيدى اما اسجدت لك ملائكتى اما نفخت فيك من روحى اما اسكنتك جنتى فى جوارى فلم عصيتنى اخرج من جوارى فلا يجاورنى من عصانى فقال آدم

سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت عملت سوأ وظلمت نفسي فاغفر لي فانك خير الغافرين سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت رب عملت سوأ وظلمت نفسي فارحمني انك انت ارحم الراحمين سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت رب ظلمت نفسي وعملت سوأ فتب علي انك انت التواب الرحيم فهذه الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه قاله مجاهد وقال الحسن الكلمات قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقال ابن عباس وقتادة الكلمات أنه قال اي رب اتتوب علي ان تبت فقال تعالى نعم فتاب فتاب الله عليه وقال جماعة من أهل النقل الكلمات انه قال اللهم بحرمة محمد اغفر لي فغفر له ولا تناقض بين هذه الاقوال فانه يجوز ان يكون قال ذلك كله فتاب الله عليه (وذكر) ان بعض الرجال عبد الله تعالى عشرين سنة ثم خلط عشرين سنة ثم نظر في المرآة فرأى الشيب في لحيته فاحزنه ذلك وقال يارب ان تبت اليك أتقبلني فسمع هاتفا يقول يافلان اطعتنا فشكرناك ثم تركتنا فامهلناك ثم ان عدت الينا قبلناك فعاد الى التوبة والانابة (وقال ذو النون المصري بينما انا اطوف بالبيت اذ رأيت شابا عليه جبة صوف وهو يتبختر ويقول الهي هذه خطوة من افتخر بغيرك وتعزز بسواك فكيف يكون خطوة من ليس له محبوب سواك فقلت له حبيبي ما الخبر فقال ياعم انظر الى ذلك الشاب يتبختر عجبا لانه عبد امير مكة قال ذو النون فتقدمت فاذا شاب يسحب ازاره على الارض عجبا فقلت له يافتى انت تتبختر لانك عبد امير مكة وهذا الفقير خلفك وهو عبد ملك السموات والارض تأخر حتى يتقدم فهو احق بالتبختر منك فرأيت الشاب قد تأخر وتغير لونه وقال للفقير تقدم فانت والله احق مني طوبى لمن كان مثلك ثم قضى طوافه ومضى وهو منكس الرأس وقد عملت فيه الكلمات فرجع الى سيده فاشترى منه نفسه وتصدق بكل ما يملكه ولبس جبة صوف واقبل الى البيت في اليوم الثالث فلقيني فقال لي ياشيخ ترى الله تعالى يقبلني بعد تلك الذنوب العظام فقلت له ابشر ياحبيبي فانت حبيب الله اما علمت انه يدعو المدبرين عنه فكيف بالمقبلين فاخلص النية فانه يقبلك على ما كان منك فقال ياعم طيبت قلبي بعد ان كاد يتصدع فجزاك الله من واعظ خيرا ثم مضى فلما كان في اليوم السابع اتاني انسان وقال

لى ياشيخ عظم الله اجرك فى الشاب التائب فانه قدمات فقلت له الا ترنيه فاتى بى فوجدته مسجى ووجهه كدائرة القمر فسألت عن حاله فقيل لى انه قد دخل فى هذا المكان وغسل يده الى عنقه ولزم المحراب يبكى على نفسه فلما كان اليوم وجدناه ميتا قال ذو النون فشهدت جنازته فلم يبق بمكة الا القليل حتى حضروا جنازته فرأيته فى تلك الليلة فى المنام وهو يتبختر ويقول شتان ما بين الخطوتين فقلت حبيبى ما فعل الله بك فقرأ ان المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر وقال ذو النون حقيقة التوبة ان تضيق عليك الارض بما رحبت حتى لا يكون لك قرار وتضيق عليك نفسك قال الله تعالى فى كعب ابن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية حين تخلفوا عن غزوة تبوك فهجرهم النبى ﷺ والمسلمون خمسين صباحا ثم جاءت توبتهم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم الآية فالتائب دائم التأسف كثير التلهف يعرف من بين امثاله بذبوله ويستدل على حاله بتحوله وقال الجنيد التوبة على ثلاثة اركان الندم على ما فات والعزم على ترك المعاودة والسعى فى تلافى ما يمكن تلافيه من حقوق الله تعالى المفروضة وحقوق الناس فان لم يمكن فالعزم على الوفاء والدعاء للخصوم (واوحى) الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود ان المذنبين احب الى من صراخ العابدين وقال رجل لرابعة انى كثير الذنوب فان تبت فهل يتوب الله على قالت لا بل ان تاب عليك تبت وقال يحيى بن معاذ ذنب واحد بعد التوبة اقبح من سبعين قبلها واصل التوبة فى اللغة الرجوع يقال تاب وناب بمعنى رجع فالتوبة الرجوع من الاوصاف المذمومة الى الاوصاف المحمودة ويقال من رجع عن المخالفات خوفا من عذاب الله تعالى فهو تائب ومن رجع حياء من نظر الله تعالى فهو منيب ومن رجع تعظيما لجلال الله فهو أواب ومعنى قوله ﷺ نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه يعنى انه يترك المعاصى تعظيما لجلال الله ولو لم يتوعد الله عليها بالعقوبة ويقال اول التوبة يقظة من الله تعالى تقع فى القلب فيتذكر العبد تفريطه واساءته وكثرة جناياته مع دوام نعم الله تعالى عليه فيعلم ان الذنوب سموم قاتلة يخاف منها حصول المكروه وفوات المحبوب فى الدنيا والآخرة فاذا حصل له هذا العلم اثمر حالا وهو الندم على تضييع حق الله

تعالى ثم يثمر الندم عملا وهو المبادرة الى الخيرات وقضاء الواجبات ورد الظلامات والعزم على اصلاح ماهو آت فهذه الامور الثلاث اذا انتظمت فهى التوبة ومعنى قول النبى ﷺ الندم توبة ان أعظم أركانها الندم وأنه لا يحصل حتى يتقدمه الركن الاول وهو العلم بضرر الذنوب واذا حصل الندم تبعه الركن الثالث وهو العمل فى الاصلاح وكل من تكلم فى حقيقة التوبة بكلام لم يجمع هذه الاركان الثلاثة انتهى ضرر الذنوب ثم حال الندم ثم حال العمل فى الاصلاح وانما تكلم على احد الاركان أو على ركنين منها ويقال التوبة الحياء العاصم والبكاء الدائم ويقال التوبة الندم على مافات واصلاح ماهو آت ويقال التوبة قود النفس الى الطاعة بخطام الرغبة وردها عن المعصية بزمام الرهبة ويقال التوبة ان يعلم العبد جراءته على الله تعالى ويرى حلم الله تعالى عليه حيث لم يأذن للارض أن تخسف به أو النار أن تحرقه بما عمل من المعاصى ثم يتوب من الذنب ويعزم أن لا يرجع اليه كما لا يرجع اللبن الى الضرع ويقال التوبة ذوبان الحشا لما سبق من الخطأ ويقال التوبة نار فى الكبد تلتهب وصدع فى القلب لا ينشعب ويقال التوبة خلع لباس الجفاء ونشر بساط الوفاء وقال سهل بن عبد الله التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة ولا يتم ذلك الا فى الخلوة والصمت وأكل الحلال (وفى الحديث) ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة قيل كيف ذلك يارسول الله قال يكون نصب عينيه تائبا فارا حتى يدخل الجنة «ولما طرد» ابليس لعنه الله وأنظر قال يارب وعزتك وجلالك لا قطعت طمعى من ابن آدم مادام فيه الروح فقال الله عز وجل وعزتى وجلالى لا امنع عنه التوبة مادام فيه الروح وينبغى لمن اذنب ذنبا ان يبادر الى التوبة ويعمل فى قطع الاسباب الباعثة على الذنب ويهجر من كان يصحبه على تلك الحالة ويتدارك ما افسده ليمحوه بصالح الاعمال (فقد ورد) فى الآثار ان الذنب اذا اتبع بثمانية أشياء كان العفو عنه مرجوا أربعة فى القلب وهى التوبة والعزم على ان لا يعود وحب الاقلاع عنه وخوف العقاب ورجاء المغفرة عليه وأربعة فى الجوارح وهو ان يصلى اربع ركعات فى المسجد ثم يستغفر الله تعالى سبعين مرة ويقول سبحان ربى العظيم وبحمده مائة مرة ويتصدق بصدقة ثم يصوم يوما قال الله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين

## في تفصيل الذنوب

(في قول الله عز وجل أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما) ان اجتنبتم الكبائر غفرنا لكم الصغائر قال ﷺ الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن الا الكبائر وفي رواية رمضان الى رمضان كفارة الا من ثلاث الشرك بالله وترك السنة ونكث الصفقة وفي رواية ما اجتنبت الكبائر (وروى) مسلم عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن ابيه قال كنا عند النبي ﷺ فقال ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا الاشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور أو قول الزور (وعن) ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يارسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم واكل الربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات (وعن) ابن مسعود قال قال رجل يارسول الله اي الذنب اكبر عند الله قال ان تدعو لله ندا وهو خلقك قال ثم اي قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قال ثم اي قال ان تزني بحليلة جارك فانزل الله تعالى تصديقها والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون الآية (واعلم) ان المعاصي على قسمين ترك فريضة او فعل محرم واولها معصية ابليس فانها ترك فريضة امر بالسجود فلم يسجد ومعصية آدم ﷺ نهي عن اكل الشجرة فاكل ثم تنقسم الى ما هو حق لله تعالى والى ما هو حق للآدمي ثم تنقسم من حيث اصولها الى اربعة ربوبية وشيطانية وبهيمية وسبعية فالربوبية التشبيه باوصاف الرب سبحانه وتعالى فان العظمة والكبرياء والرفعة والعز والغنى والقهر والاستيلاء صفات الرب سبحانه وتعالى فمن تشبه بها من الخلق فتكبر وتجبر وطلب الرفعة والعلو والغنى والاستيلاء على الخلق فقد نازع الربوبية حقها والشيطانية المتشبه بالشيطان ومن صفاته الحسد والبغي والحيلة والخداع والغش والنفاق والدعوة الى المعاصي والبدع والضلالة والبهيمية الشره والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج ومنها يتشعب الزنا والسرقة واكل مال اليتيم وجمع الحرام لقضاء الاوطار والسبعية الغضب والحقد ومنها يتشعب القتل والضرب وايذاء

الخلق واول مايستولى على الانسان البهيمية فاذا كبر وتزايد فهمه دخلت عليه السبعية فاذا قويت فكرته ولم يوفق استعمل عقله فى المكر والخداع والصفات الشيطانية ثم يدخل عليه منازعات الربوبية يقول الله تعالى العظمة ازارى والكبرياء ردائى من نازعنى واحدا منهما ألقيته فى النار ثم تنقسم الذنوب على قسمين بالنظر الى ضررها واثمها فالكبائر تغفر بالتوبة والصغائر تغفر بالصلوات ونحوها كما ورد وقد اختلف الناس فى حد الكبائر اختلافا كثيرا فذهب بعض العلماء الى ان كل محرم كبيرة ولكن بعضها أكبر من بعض وان الصغر والكبر أمر نسبى وهذا ضعيف فان ظاهر القرآن لايدل على ان المعاصى مقسمة قال الله تعالى ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقال تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وأكثر المفسرين على ان اللمم صغائر الذنوب وقيل اللمم الالمام بالذنوب كهفوة ثم يتوب ويرجع وأصله الالمام يقال ألم فلان بفلان اذا زاره زيارة مرتجل فالصحيح التقسيم ثم اختلف الصحابة والتابعون فى عدد الكبائر فقال ابن مسعود أربع وقال ابن عمر سبع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص تسع وقيل احدى عشرة وقال أبو طالب المكى جمعتها من مجموع أقوال الصحابة فوجدتها أربعة فى القلب وهى الشرك بالله تعالى والاصرار على معصية الله تعالى والقنوط من رحمة الله تعالى والامن من مكر الله تعالى وأربعة فى اللسان وهى شهادة الزور وقذف المحصنات الغافلات واليمين الغموس وهى التى يحلف بها الحالف متعمدا الكذب وقيل هى التى يقطع بها مال مسلم ولو سواكا من اراك وسميت غموسا لانها تغمس صاحبها فى النار والسحر وهو كلام أجرى الله تعالى العادة بأنه اذا استعمل ظهر له أثر الفساد وثلاثة فى البطن شرب الخمر وأكل مال اليتيم وأكل الربا وهو يعلم واثنان فى الفرج وهما الزنا واللواط واثنان فى اليدين وهما القتل والسرقة وواحدة فى الرجلين وهى الفرار من الزحف الواحد من اثنين وواحدة فى جميع البدن وهى عقوق الوالدين وعقوقهما ان يقسما عليه فى حق فلا يبر قسمهما او يسألاه حاجة فلا يقضيها اويسباه فيضربهما او يجوعا فلا يطعمهما (واختلف) العلماء فى حد الكبيرة فقيل كل مانهى الله

تعالى عنه فى القرآن فهو كبيرة ومانهى عنه الرسول ﷺ فهو صغيرة وقيل ماتواعد الله عليه بالنار فهو كبيرة ومالم يقترن مع النهى عنه وعيد أو غضب فهو صغيرة وقيل كل ماشرع فيه حد وقيل حد وكفارة فهو كبيرة وقيل كل ما اتفقت الشرائع على تحريمه فهو كبيرة وقيل ان حصرها مبهم لم يرد بعددها نص وفائدة ذلك تعظيم سائر المعاصى خوفا من الوقوع فى كبيرة وقيل اكبر الكبائر معلوم واصغرها غير معلوم وطريق كشف الغطاء عن هذه المسئلة ان تنظر فى سر الشريعة فتعلم ان الله تعالى انزل الكتب وارسل الرسل الى خلقه ليؤمنوا به ويعبدوه قال الله عز وجل وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون أى لامرهم بالعبادة وقيل معناه ليعرفون فهذا هو المقصود فأكبر الكبائر أبطاله بالكفر بالله والشكر أو تكذيب الرسول فى شئ مما جاء به فان هذا أشد باب المعرفة والعبادة ثم يتلوه نقيض هذا المقصود مثل الأمن من مكر الله تعالى فانه جهل بقهر الله تعالى وغناه عن خلقه والبدع المضلة فانه جهل بصفات الله تعالى وتكذيب بما ورد فى القرآن من جلال الله تعالى وتنزيهه عن النقائص ويتلوه الكبر والعجب فانه جهل بمنة الله تعالى ومن ذلك ترك الصلاة والزكاة والصيام المفروضة والحج مع الوجوب ترك كل فريضة فانه أبطال ركن من المقصود فهذا سر يعلم به اكبر الكبائر ثم تفاوتها فى الاثم ثم ازالة الايمان والعبادة لايتم المقصود منهما الا بسلامة الانفس والعقول والاموال التى هى القوام (وحرم) الله تعالى قتل المؤمن والمعاهد بغير حق فان القتل أبطال المقصود بقطع الوجود ثم يليه الضرب والجرح وقطع الاطراف فانه يفضى الى القتل وشرع قتل الكافر المحارب لان فى قتله دفع ضرر عن المسلمين وشرع قتل الزانى المحصن زجرا عن المفسدة وشرع قتل القاتل عمدا بالقصاص زجرا عن القتل فكان فى القتل قصاصا تقليل القتل وهو معنى قوله عز وجل ولكم فى القصاص حياة ياأولى الالباب لعلكم تتقون (وحرم) الله تعالى اللواط لئلا يقع الاكتفاء به فينقطع النسل فيكون به رفع الوجود وهو قريب من قطع الوجود (وحرم الله تعالى الزنا لئلا تختلط الانساب فينقطع التعارف والتناصر والوصلة والميراث وتكثر الغيرة بين الرجال فيقع القتل والهرج (وأما الاموال) فحرم الله تعالى تناولها

بغير حق مصلحة للناس لكن بعض الضرر اعظم فيها من بعض وان ما ظهر منها امكن تداركه واقتضاؤه بالسلطان أو باليد وربما أمكن التحرز منه بان يحفظ الانسان ماله فأما ما كان باختفاء او تسلط فهو أعظم كالسرقة فانه يعسر التحرز عنها ولا تعرف فيمكن استيفاؤها (وأكل مال اليتيم) اذ أكله من يلي عليه كذلك وإتلاف المال بشهادة الزور واكل المال باليمين الكاذبة عند الحاكم واكل الربا والقمار قريب من هذا فانه اكل مال مسلم بحجة باطلة لا يمكن معها استيفاء ثم يليه الغصب والخيانة في الوديعة (وأما الاعراض) فحرم الله تعالى الخوض فيها لئلا يؤدي الى التقاطع والتدابر وربما أدى الى القتل (وحرم) الله تعالى شرب كل مسكر فان فيه افساد العقل وهو شرط التكليف فصار كقطع الوجود في وقت السكر فهذه مراتب الكبائر ووزرها على قدر ضررها في تفويت الايمان والعبادة وأما الصغائر فانها انما تكبر بالمواظبة عليها والاصرار وذلك كالنظر الى المرأة الاجنبية واللمس والقبلة والخطوات في طلب المعاصي وحضور مجلس الشراب واللهو ولباس الحرير والذهب للرجال والشرب في اواني الذهب والفضة واتخاذها واكل طعام نجس ومخالطة العصاة وكشف العورة فهذه كلها ذنوب ومعاص والاصرار عليها قريب من الكبائر كما ان أدمان بعض اللهو المباح الذي لا فائدة فيه يلتحق بالصغائر فمن اراد التقوى فليتجنب فضلات المباح لئلا تعتاد النفس الركون الى الشهوات فتتجر الى الشبهات ثم تتجر الى المحرمات واول عقوبة الذنب ظلمة تقع في القلب وغفلة تستولي عليه حتى يسقط عنه حرمة امر الله تعالى ونهيه فينجر الى ذنب آخر أعظم منه ومثاله مثال الذي يخوض في الطين وعليه ثياب نظاف فهو يجمع ثيابه ويحفظها فاذا وقع في الطين مرة فأصاب اطراف ثيابه اهملها بعد ذلك وخاض بها ولم يحفظها ولهذا قيل الطاعة اول ثواب الطاعة والذنب اول عقوبة الذنب ويقال ستة أشياء اذا قارنت الصغائر الحقتها بالكبائر واذا كانت مع الكبائر عظم وزرها وتزايد أمرها الاول الاصرار وهو العزم على العود الى مثل الذنب ولذلك قيل لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وليس المراد به استغفار الكذابين باللسان وانما المراد التوبة والندم والاقلاع والالتجاء الى الله عز وجل بالقلب ويقال آفة الاصرار على الصغائر الوقوع في الكبائر

وقل ان يقع العبد فى كبيرة حتى يتقدمها صغيرة كالزنا مثلا لايتصور من غير تقدم نظر ولمس ونحوه الثانى ان يستصغر الذنب فانه يكبر اثمه على قدر استصغاره له فان تصغير الذنب تصغير امر الرب وفى تعظيم الذنب تعظيم الرب سبحانه وتعالى وفى الحديث المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف ان يقع عليه والمنافق يرى ذنبه كذباب وقع على وجهه فاطاره وقال بعضهم أكبر من الذنب قول الانسان ليت كل ذنب عملته يكون مثل هذا. واوحى الله تعالى الى بعض الانبياء لاتنظر الى قلة الهدية وانظر الى عظم مهديها ولاتنظر الى صغر الخطيئة ولكن انظر الى كبرياء من واجهت بها وقال ابو سعيد الخدرى انكم لتعملون اشياء هى ادق عندكم من الشعر كنا نعدها فى عهد رسول الله ﷺ من الموبقات وهذا الا انهم كانوا أكثر تعظيما لجلال الله تعالى الثالث السرور بالذنب فان القلب يسود بقدر الفرح بالذنب ويروى ان بعض بنى اسرائيل تاب من ذنب وعبد الله تعالى سنين ثم سأل بعض الانبياء ان يدعو له بالقبول فاوحى الله عز وجل اليه لو تشفع باهل السموات والارض ماقبلته وحلاوة الذنب فى قلبه ومثال العاصى كمثال من غلبه عدو فاوقعه فى نار وما يخاف الهلاك فيه فينبغى ان يغلب عليه الاسف والحزن ففرحه من غاية الجهل ويقال من فرح بالذنب فهو كالمريض الذى يفرح بان ينكسر اناؤه الذى فيه دواؤه كراهة ان يستعمله لايرجى شفاؤه الرابع ان يتهاون بسنة الله تعالى عليه فى ستره عليه وحلمه عنه وامهاله حيث لم يعاجله بالعقوبة ويخاف ان يكون ذلك الستر مقتا من الله تعالى وامهالا ليزداد ذنوبا فيأخذه على ذروة الخامس اظهار الذنب بأن يفعله جاهرا ويتحدث به ويفتخر به وفى ذلك زيادة جرأة وعدم حرمة وانطلاق نعمة فان من نعم الله تعالى اظهار الجميل وستر القبيح وفيه تحريك داعية من علم بذنوبه الى الوقوع فى مثله وفى الخبر كل الناس معافى الا المجاهرون وقال بعضهم لاتذنب فاذا أذنبت فلا ترغب غيرك فتكتسب ذنبين قال الله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف وقال بعض السلف ما انتهك المؤمن من اخيه حرمة اعظم من ان يساعده على معصية الله تعالى السادس ان يكون المذنب عالما يقتدى به كما ورد فى الحديث من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها لاينقص من اوزارهم

شيئا قال الله تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم وآثار العمل ما يبقى بعد العمل وقال ابن عباس رحمه الله ويل للعالم من الاتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون بها فى الآفاق ويقال العالم مثل السفينة اذا غرقت غرق أهلها وروى أن عالما من بنى اسرائيل كان على بدعة ثم رجع عنها وعمل فى الاصلاح دهرا فاوحى الله تعالى الى نبى من أنبيائهم قل لفلان ان ذنبك لو كان فيما بينى وبينك لغفرته لك ولكن كيف بمن أضللت من عبادى فادخلتهم النار وكما يعظم وزر العالم فى السيآت كذلك يعظم اجره فى الطاعات (وقد) روينا فى حديث مسند عن رسول الله ﷺ أنه قال الفقهاء أمناء الرسل مالم يطلبوا الدنيا ويتبعوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فاحذروهم ويقال من تاب من ذنب وجاهد نفسه على تركه سبع مرات صرفه الله تعالى عنه ومن تاب من ذنب وتركه سبع سنين أزال الله عنه شهوته وقال الحسن البصرى لو لم يذنب المؤمن لطار فى الهواء ولكن الله تعالى قمعه بالذنوب وقال أيضا بين العبد وبين الله حد من المعاصى اذا بلغه طبع الله على قلبه فلم يوفق لخير (وفى قصة) موسى عليه الصلاة والسلام أنه قال للخضر هم أطلعك الله على ما اطلعت من الغيب قال بترك المعاصى لاجل الله تعالى (وروى) أن سليمان عليه الصلاة والسلام كان يوما يسير على البساط والريح تحمله فنظر ثوبه فاعجبه فوضعته الريح وقالت انما أطعتك اذا أطعت الله تعالى ويقال ان الله تعالى أوحى الى يعقوب عليه الصلاة والسلام أتدرى لم فرقت بينك وبين ولدك فقال لا قال لقولك لاخوته انى أخاف ان يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون لم خفت عليه الذئب ولم ترجنى ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظى له (وفى رواية) لانك نحرت جزورا والى جانبك أيتام فلم تطعمهم فصار يعقوب عليه الصلاة والسلام بعد يأمر مناديا ينادى وقت الغداء والعشاء من أراد أن يتغدى أو يتعشى فليذهب الى آل يعقوب ولذلك قيل من أذنب ذنبا فليأت بحسنة من نوع ما افسد بمعصية (وفى الحديث) ان العبد ليضيق عليه فى اسبابه بذنوبه (ويروى) ان من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه أبد ويقال ما نسى احد القرآن الا بذنب احدثه وقال بعض السلف ليست اللعنة بسواد فى الوجه ولا بنقص فى المال وانما اللعنة ان لا تخرج

من ذنب الا وقعت فى مثله او أعظم منه ويقال من عقوبة العاصى ان تمقته قلوب الصالحين وقال بعضهم انى لاعرف عقوبة ذنبى حتى فى فأر بيتى (وحكى) عن أبى عمرو بن علوان وكان من اصحاب الجنيد رحمه الله قال كنت بالرقة قائما اصلى فعرضت لى شهوة الجماع فافكرت فيها حتى امنيت فاسود جسدى كله سوادا فاحشا فاختفيت ثلاثة أيام فى البيت وكنت ادخل الحمام واغسله بالصابون فلا يزداد الا سوادا ثم زال بعد ثلاثة ايام فبعث الى الجنيد فأتيت اليه وهو ببغداد فقال لى اما استحييت من الله تعالى عرضت لك شهوة فأفكرت فيها حتى اخرجتك من بين يدى الله تعالى ولولا انى دعوت الله تعالى لك وتبت عنك لمقيت الله عز وجل بذلك اللون وقال ابو سليمان الدارانى لا يفوت احدا صلاة جماعة الا بذنب (وفى الخبر) يقول الله عز وجل ان ادنى ما اصنع بالعبد اذا آثر شهوته على طاعتى ان احرمه لذيذ مناجاتى وقال الفضيل ما انكرت من تغير الزمان وجفاء الاخوان فذنوبك أورثتك ذلك (وفى) بعض كتب الله عز وجل المنزلة يقول الله عز وجل انا ملك الملوك قلوب الملوك بيدى فمن أطاعنى جعلتهم عليه رحمة ومن عصانى جعلتهم عليه نقمة فلا تشغلوا قلوبكم بسب الملوك ولكن توبوا الى اعطفهم عليكم وقال الحسن ان الله عز وجل امر بالطاعة وأعان عليها ولم يجعل فى تركها عذرا ونهى عن المعصية واغنى عنها ولم يجعل فى ركوبها حجة (وفى) بعض كتب الله عز وجل اذا عصانى من يعرفنى سلطت عليه من لا يعرفنى وقال ابو سليمان الدارانى ليس أعمال الخلق التى ترضيه ولا تغضبه ولكن رضى على قوم فاستعملهم فى اعمال الرضا وغضب على قوم فاستعملهم باعمال الغضب . وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه من اراد غنى بلا مال وهيبة بلا سلطان وعزا بلا عشيرة فليتق الله فان الله يأبى ان يذل الا من عصاه . وقال ابو سليمان الدارانى لو أتتنى المغفرة من الله تعالى لاهمنى الحياء من الله تعالى فيما فعلت وقال ابراهيم بن أدهم لان ادخل النار وقد اطعت الله عز وجل احب الى من ان ادخل الجنة وقد عصيت الله عز وجل وقال صالح بن عبد الجليل ذهب المطيعون بلذيذ العيش فى الدنيا والآخرة يقول الله عز وجل يوم القيامة رضيتم بى بدلا من خلقى وآثرتمونى على شهواتكم فاليوم أبشروا بكرامتى فوعزتى ما خلقت الجنان الا

من أجلكم (وعن) رسول الله ﷺ انه قال اياكم ومحقرات الذنوب فانما محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا ببطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى أنضجوا خبزهم . وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها من سره ان يسبق العابد المجتهد فليكف نفسه عن الذنوب فانكم لن تلقوا الله عز وجل بشيء خير لكم من ترك الذنوب . وقال أبو عاصم الانطاكى ترك سيئة واحدة عند الله عز وجل أفضل من الف حجة نافلة . وقال حماد بن زيد اذا أذنب الرجل أصبح ومذلته فى وجهه وقال يحيى بن معاذ ابن آدم احذر الشيطان فانه عتيق وأنت جديد وهو فارغ وانت مشغول وهمته واحدة وهى هلاكك وانت مع هموم كثيرة والشيطان يراك وانت لا تراه وانت تنساه وهو لا ينساك ومن نفسك له عون وليس لك من نفسه عون فمن غلبه هواه افتضح (وكان) عامر بن عبد الله بن قيس يقول الهى خلقت معى عدوى يجرى منى مجرى الدم وجعلته يرانى ولا اراه وقلت لى استمسك فكيف استمسك ان لم تمسكنى (وقال الشافعى) رضى الله تعالى عنه اصابنى امر آلمنى ولم يطلع عليه غير الله تعالى فرأيت فى المنام قائلا يقول يا محمد بن ادريس قل اللهم انى لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا استطيع ان اخذ الا ما اعطيتنى ولا اتقى الا ما وفيتنى اللهم وفقنى لما تحب وترضى من القول والعمل فى عافية قال فقلت ذلك ففرج الله سبحانه وتعالى عنى فى يوم واحد

## الفصل الثانى عشر فى التقوى

الحمد لله الذى تفرد بالعز والجلال وتوحد بالكبرياء والكمال وجل عن الاشباه والاشكال ودل على معرفته فازال الاشكال واذل من اعتز بغير دثابة الاذلال الذى خلق الانسان من صلصال كالفخار واتقن تركيب العروق والعظام والاوصال وخلق الجان من مارج من نار فتكبر وصال فطرده وأبعده وحرمه الوصال وتفضل على المطيعين بلذيذ الاقبال نعمهم فى الدنيا بمعرفته وخدمته واكرمهم فى العقبى برؤية وجهه فلهم النعيم فى الحال والمآل وشغل المعرضين عنه بحظوظهم العاجلة عن جزيل النوال واملى لهم بادامة النعم فظنوا الامهال اهمال سبقت قسمته فما يغنى الاحتيال لا يتوجه عليه حق وقد خاب من وزن احكامه بميزان الاعتزال لا يسئل عما يفعل وهم

يسئلون وكيف يتوجه على المالك القادر سؤال بيده ملكوت السموات والارض ومفاتيح الاقفال لاراد لامره ولامعقب لحكمه وهو الخالق الفعال هو الاول والآخر والظاهر والباطن الكبير المتعال استوى على العرش من غير تكييف ولا تشبيه ولا صعود ولا انتقال لايحويه الفكر ولا يحده الحصر ولا يدركه الوهم والخيال ارتع بفكرتك في رياض صنعته فليس للافكار في جلال عزته مجال ضل اهل التشبيه عن جادة التنزيه فهلكوا في الضلال زل اهل التعطيل في اودية الاباطيل فاشتغلوا في الجدال وجمع العارفون بين النقل والعقل فسلكوا طريق الاعتدال تذلل بين يدى مولاك ايها الفقير واقرع الباب بدوام الابتهال فهو الحكيم الكريم الرؤوف الرحيم الذى لايخيب لديه الآمال يعلم ما اضمره العبد من السر واخفى منه مالم يخطر ببال ويسمع همس الاصوات وحس دبيب الخطوات في وعس الرمال ويرى حركة الذر في جانب البر وما درج في البحر عند تلاطم الامواج وتراكم الاهوال افلا يستحى العبد الحقير من مبارزة الملك الكبير بقبيح الافعال وهو يعلم انه تحت قهره ونظره في جميع الاحوال اولا يعلم الذى يعظ الناس انه احق بالمبادرة الى صالح الاعمال فيا عجبا كيف يقدم على الابطال بطال أم هل يجمل في الامثال اعمش كحال فتبارك من وفق من شاء لخدمته فشتان ما بين رجال ورجال (أحمده) على ما اولى من الافضال (وأشهد) أن لا اله الا الله وحده لاشريك له ولا نفاذ لملكه ولا زوال (واشهد) ان محمدا عبده ورسوله الذى ايده بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة وزينه باشرف الخصال ورفعه الى المقام الاسنى فكان قاب قوسين او أدنى وخلع عليه خلع الجمال صلى الله عليه وعلى آله واصحابه صلاة دائمة بالغدو والآصال . (في قول الله عز وجل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) اتقوا تحرزوا وتركوا ما نهى الله عنه واحسنوا أطاعوا وفعلوا ما امر الله تعالى به «وفي» الصحيح في سؤال جبريل عليه الصلاة والسلام للنبي ﷺ قال يارسول الله ما الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والله سبحانه وتعالى مع جميع خلقه بعلمه وقدرته ومعناه انه عالم بالكل قادر على الكل قال تعالى وهو معكم اينما كنتم وهو سبحانه وتعالى مع المؤمنين بحفظه ونصرته قال تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون وقال تعالى والله معكم ومع خواص العارفين بالهامهم

لذكره وترويح اسرارهم فى نعيم حضرته . قيل لبعض الصالحين عند موته اوصنا قال عليكم بآخر آية من سورة النحل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وجاء رجل الى النبى ﷺ فقال أوصنى فقال عليك بتقوى الله فانها اجماع كل خير وعليك بالجهاد فانه رهبانية المسلمين وعليك بذكر الله وتلاوة كتابه فانه نور لك فى الارض وذكر لك فى السماء واخزن لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان (وفى الحديث) أشد الاعمال ثلاث انصاف الناس من نفسك ومواساة الاخوان من مالك وذكر الله على كل احوالك . وقال سهل بن عبد الله اجتمع الخير كله فى اربع خصال وبها صار الابدال ابدالا الجوع والسهر والصمت والخلوة ويقال من سهر اربعين ليلة مخلصاً كوشف بشئ من الملكوت (واوحى) الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام استعد للقائى وعليك بمدارع الجوع فتقمصها وظما الهواجر فتجرعها غصصاً ياموسى الجوع مفاتيح طاعتى وسبب الوصلة الى ياموسى جالس اهل الظما تندم عليك نعمتى وجالس اهل المجاعة فهم الذين كشفت عنهم الظلام واذقتهم طعم محبتى ياموسى الجوع لذة النفوس الخيرة ومصابيح القلوب النيرة ياموسى عليك بالصيام فنعم الصاحب وقم فى غسق الدجا اذا رقد كل هاجع ياموسى الصوم نور قذفته فى قلوب المطيعين ولباس ألبسته افئدة الورعين وهو مفتاح خدمتى واول عبادتى (وقال) حاتم الاصم ثلاثة دواء ثلاثة قيام الليل دواء القسوة القلب والصدقة دواء الحرص واعمال النوافل دواء المعاصى (وفى) الكلمات العشر التى انزلت على موسى عليه الصلاة والسلام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله الملك الجبار العزيز القهار لعبده ورسوله موسى بن عمران سبحنى وقدسنى لا اله الا انا فاعبدنى ولا تشرك بى شيئاً واشكر لى ولوالديك الى المصير احييك حياة طيبة ولا تقتل النفس التى حرم الله عليك فتضيق عليك السماء باقطارها وتضيق الارض برحبها ولا تحلف باسمى كاذباً فانى لا أطهر ولا ازكى من لم يعظم اسمى ولا تشهد بما لا يعنى سمعك ولا تحفظ عينك ولا يقف عليه قلبك فانى اوقف اهل الشهادات على شهاداتهم يوم القيامة فأسائلهم عنها ولا تحسد الناس على ما آتيتهم من فضلى ورزقى فان الحاسد عدو نعمتى ساخط لقسمتى ولا تزن ولا تسرق فأحجب عنك وجهى واغلق دون

دعوتك أبواب السموات ولاتذبح لغيرى فانه لايصعد الى من قربان الارض الا ماذكر عليه اسمى ولاتغدرن بحليلة جارك فانه أكبر مقتاً عندى واحبب للناس ماتحب لنفسك واكره لهم ماتكره لنفسك وهذا فى القرآن فى قوله تعالى قل تعالوا اتل ماحرم ربكم عليكم الآيات (وقال) ابن عباس رضى الله عنهما لما سار موسى عليه الصلاة والسلام الى الميقات قال له ربه ما ابتغى قال ابتغى الهدى قال قد وجدته يا موسى قال يارب اى عبادك احب اليك قال الذى يذكرنى ولاينسانى قال فأى عبادك أقضى قال الذى يقضى بالحق ولايتبع الهوى قال أى عبادك اعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه ليسمع الكلمة تهديه الى هدى أو ترده عن ردى . وقال ابن مسعود رضى الله عنه رأى موسى عليه الصلاة والسلام رجلا جالسا فى ظل العرش فقال يارب ماهذا قال هذا عبد لايحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وبر بوالديه لايمشى بالنميمة قال يارب اى العمل أحب اليك ان اعمل به قال تذكرنى ولاتنسانى قال اى عبادك خير عملا قال من لايكذب لسانه ولايفجر قلبه ولا يزنى فرجه مؤمن فى خلق حسن قال وأى عبادك شر عملا قال فاجر فى خلق سيئ جيفة بالليل بطال بالنهار (وشكا) بعض المريدين الى شيخه كثرة النوم فقال ان لله تعالى نفحات بالليل والنهار تصيب القلوب المتيقظة وتخطئ القلوب النائمة فتعرضوا لتلك النفحات فقال له ياأستاذ تركتنى لاانام ليلا ولانهارا (وقال) ابن مسعود ينبغى لحامل القرآن أن يعرف بليله اذا الناس نائمون وبنهاره اذا الناس يفرطون وبحزنه اذا الناس يفرحون وببكائه اذا الناس يضحكون وبصمته اذا الناس يخوضون وبخشوعه اذا الناس يختالون وينبغى لحامل القرآن ان يكون سكينا ليناً ولاينبغى أن يكون جافياً ولا عماريا ولاصياحا ولاصخابا ولاحريدا (وفى) وصايا رسول الله ﷺ اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك . وقال ابن عباس كنت رديف النبى ﷺ فقال لى ياغلام اويا بنى الا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن قلت بلى يارسول الله قال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة واذا دعوت فادع الله واذا استعنت فاستعن بالله فقد جف القلم بما هو كائن الى

يوم القيامة فلو اجتمع الخلق جميعاً وارادوا أن ينفعوك بشئ لم يقضه الله لك لم يقدروا على ذلك ولو أرادوا أن يضروك بشئ لم يقضه عليك لم يقدروا عليه واعمل لله بالشكر في اليقين [٣] واعلم ان في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً وأن النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسراً (وفي بعض كتب الله عز وجل يقول الله يا ابن آدم انى لم اخلقك لاربح عليك وانما خلقتك لتربح على فاتخذني بدلا من كل شئ فانا خير لك من كل شئ) وقال عيسى عليه الصلاة والسلام لاصحابه ان كنتم أصحابي واخواني فوطنوا انفوسكم على العداوة والبغضاء من الناس انما اعلمكم لتعملوا ولا اعلمكم لتعجبوا انكم لا تبلغون ما تؤملون الا بصبركم على ما تكرهون ولا تنالون ما تريدون الا بتركيكم ما تشتهون اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة وكفى بها لصاحبها فتنة طوبى لمن كان بصره في قلبه ولم يكن قلبه في بصره وقال ابن شبرمة عجبت لمن يحتمي من الطعام والشراب مخافة الداء كيف لا يحتمي من الذنوب مخافة النار (ودخل) أبو حازم على سليمان بن عبد الملك حين ولي الخلافة فقال له يا أبا حازم مالنا نكره الموت قال لانكم عمرتم دنياكم وأخربتم آخرتكم فانكم تكرهون النقلة من العمران الى الخراب قال فاخبرني كيف القدوم على الله عز وجل قال يا امير المؤمنين ان المحسن يقدم على الله كالغائب يأتي اهله فرحا مسروراً وأما المسيء فيقدم على الله كالعبد الآبق يأتي الى مولاه خائفاً محزوناً قال فأي الاعمال افضل قال أداء الفرائض واجتناب المحارم قال فأي الدعاء أفضل قال دعاء الملهوف لمن احسن اليه قال فأي الصدقات أزكى قال جهد المقل بلا من ولا اذى قال فأي الناس أعدل قال من يقول كلمة حق عند من يخافه قال فأي الناس أعقل قال من عمل بطاعة الله تعالى ودل الناس عليها قال فأي الناس أجهل قال من باع آخرته بدنيا غيره قال عظني واوجز قال نزه ربك وعظمه ان يراك حيث نهاك او يفقدك حيث امرك فبكى امير المؤمنين فقال رجل من جلسائه لقد اسأت الى امير المؤمنين فقال له ابو حازم اسكت فان الله اخذ الميثاق على العلماء ليبينه للناس ولا يكتمونه ثم خرج فبعث اليه بمال فرده اليه وقال ما أرضاها لكم فكيف آخذها منكم «وكان» عامر بن عبد الله بن قيس يقول الدنيا اربعة المال والنساء والطعام

---

«٣» قوله في اليقين لعله الغنى وليحرر

والنوم (فأما) المال والنساء فلاحاجة لى بهما واما الطعام والنوم فوالله لاصرفنهما ماستطعت ولأجعلن الهموم هما واحداً (وكان) ابو الدرداء يقول لولا ثلاثة ما أحببت البقاء فى الدنيا ساعة واحدة الظمأ بالهواجر والسجود فى ظلام الليل ومجالسة أقوام ينقون أطايب الكلام كما تنقون أطايب التمر وقيل لبعض المجتهدين لم تعذب هذا الجسد فقال انما اريد كرامته يادائما على العصيان متى يقال تاب فلان لاتمنعك كثرة ذنوبك عن التوبة فان الكريم لايتعاظمه ذنب طالما بادرتم الى المعاصى مستعجلين فسابقوا الى الانابة مخلصين وسارعوا الى مغفرة من ربكم انور ذنب يتوقد فى سراج يقين الفكر وأحسن مانظم فى سلك الاعتذار خرز الذل (قال) بعضهم لغلامه عند موته اطرحنى على المزبلة لعلى أموت عليها فيرى مولاى ذلى فيرحمنى يامن كان له قلب الى الطاعة فانقلب الى الاضاعة طال هجرك لنا خل بوادينا ونادنا ممن ينادينا ولاتتخذ غير حبنا دينا قيام الاسحار يستوحش لك وصيام النهار يسأل عنك وليالى الوصال تعاتبك أمايؤلمك الهجر أما تشتاق الى الوصل فراق الاحباب تلف عاجل أعرف الناس بالطريق من قد سلك اذا ذكرت منازل مكة يحن الحاج لماذاق آدم طيب الجنة ولذة المناجاة ثم فقدها جرت دموعه كالانهار

(شعر) عودونى الوصال والوصل عذب ورمونى بالهجر والهجر صعب
لاوحق الخضوع عند التدانى ليس يقوى على التباعد قلب

قال آدم عليه الصلاة والسلام يارب أنا تبت وأصلحت اتردنى الى الجنة فقيل له نعم فسكن قلقه (شعر)

وأنا لير ضينا رجوع وصالكم فردوا لنا ذاك الوصال كما كانا
وكنا نغطى فى الدنو غرامنا ونكتم مانلقى فبان مابانا

ودخلوا على كرز بن وبرة فوجدوه يبكى فسألوه عن بكائه فقال ماصليت البارحة وردى وماهذا الا بذنب أحدثته ياويح من بلى بالطرد والبعاد ياخيبة من حرم القرب والوداد لاجعل الله حظنا الحرمان ولامنعنا عن حماه بسالف العصيان انه غفور رحيم رؤف حليم منان (عباد الله هذا شهر رجب) شهر الله الاصب تصب فيه الرحمة على التائبين وتفيض أنوار القبول على العاملين وهو الفرد من الاشهر

الحرم التى عظم الله تعالى قدرها بقوله تعالى منها اربعة حرم ومعنى تأكيد الحرمة فيها ان الحسنات مضاعف أجرها والسيآت فيها عظيم وزرها وهى ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب فتلك ثلاثة متوالية ورجب فرد وحده وكانوا يسمونه الاصم لانه لم يكن يسمع فيه حس قتال ويسمونه منصل الاسنة لذلك وكانت الجاهلية يعظمون حرمته ويكفون عن القتال فيه ويستجاب لهم الدعاء على من ظلمهم فلما بعث النبى ﷺ بعث سرية الى بطن نخل قبل وقعة بدر بشهرين واخبرهم انهم يجدون عيرا لقريش وامرهم بأخذها وكان ذلك فى آخر جمادى الآخرة فاستهل عليهم رجب ولم يعلموا فقاتلوا المشركين فى أول يوم من رجب وقتل بعضهم وغنموا ماشاء الله ورجعوا الى المدينة فبعث المشركون الى النبى ﷺ يعيرون المسلمين بذلك ويقولون انكم قد استحللتم القتال فى الشهر الحرام فأنزل الله تعالى يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه أى يسألونك عن القتال فى رجب قل قتال فيه كبير يعنى القتال فيه محرم وصد عن سبيل الله معناه قل للمشركين صدكم الناس عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه أكبر عند الله أى وكفركم بالله والمسجد الحرام واخراجكم اهل الحرم منه بكثرة الاذى أكبر اثما عند الله من القتال فى رجب ثم نسخ تحريم القتال فيها بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبقيت حرمته فى تضعيف الاجر على الطاعة وكثرة الوزر على المعصية ورجب مشتق من الترجيب وهو التعظيم (وقد روى) ان صوم كل يوم من الاشهر الحرم يعدل صيام ثلاثين يوما من غيرها وصيام يوم من رمضان يعدل صيام ثلاثين يوما من الاشهر الحرم وقال بعض العلماء اذا كانت الجاهلية ينصلون الاسنة ويكفون عن القتال فكيف لا يحفظ المسلمون فيه الالسنة ويكفوا عن الاعراض فان اللسان فى بعض المواضع أضر من سيف مجرد وسنان محدد قال سفيان الثورى رحمه الله لان ترمى انسانا بسهم أهون من ان ترميه بلسانك فان السهم قد يخطئه واللسان لا يخطئه ويقال رجب لترك الجفاء وشعبان لعمل الوفاء ورمضان للصدق والصفاء رجب شهر الحرث وشعبان شهر سقى الزرع ورمضان شهر الحصاد فاتجروا رحمكم الله فى رجب فانه موسم التجارة وعمروا اوقاتكم فيه فهو اوان العمارة فمن كان من التجار فهذه المواسم

قد دخلت ومن كان مريضا بالاوزار فهذه الادوية قد حصلت (وروى) ان من صام من رجب سبعة أيام غلقت عنه أبواب جهنم ومن صام عشرة لم يسأل الله شيئاً الا أعطاه وان فى الجنة قصراً من الدنيا فيه كمفحص قطاة لا يدخله الا صوام رجب (وقال) وهب بن منبه جميع انهار الدنيا تزور زمزم فى شهر رجب تعظيما لهذا الشهر قال وقرأت فى بعض كتب الله تعالى ان من استغفر الله تعالى فى رجب بالغدو والعشى يرفع يديه ويقول اللهم اغفر لى وارحمنى وتب على سبعين مرة لم تمس النار جلده أبدا وأفضل ليالى السنة تسع وعشرون ليلة كان السلف الصالحون يحيونها بالعبادة ويرجون فيها الفضل والزيادة ليالى العشر الاواخر من رمضان وليلة سبع عشرة منه فى صبيحتها كانت وقعة بدر وليالى العشر الاول من ذى الحجة وليلة عيد الفطر وليلة عيد النحر وأول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء منه وأول ليلة من رجب وليلة النصف منه وليلة سبعة وعشرين منه فيها أسرى برسول الله ﷺ وليلة النصف من شعبان (٣) ويوم السابع من رمضان ويوم الجمعة ويوم عيد الفطر ويوم عيد النحر وأيام التشريق . (فيما كان السلف الصالحون يحافظون عليه) صلاة التسبيح التى علمها النبى ﷺ للعباس واخبره أن من صلاها غفر له جميع ذنوبه وأوصاه ان يصليها فى كل يوم فان لم يفعل ففى كل جمعة فان لم يفعل ففى كل شهر ذكرها أبو داود وغيره وهو أن يصلى اربع ركعات يقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب وسورة فوق عشرين آية ثم يسبح بعد القراءة فيقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم خمس عشرة مرة ثم يركع فيقولها عشرا ثم يرفع فيقولها عشرا ثم يسجد فيقولها عشرا ثم يجلس بين السجدتين فيقولها عشرا ثم يسجد فيقولها عشرا ثم يجلس للاستراحة فيقولها عشرا ثم يفعل ذلك فى بقية الصلاة وقال ابو داود ليس فى صلاة التسبيح أصح من هذا الحديث (وفى) رواية ابن المبارك يسبح قبل القراءة خمسة عشر وبعدها عشرا ولا يسبح فى جلوس التشهد ولا الاستراحة ويذكر اذكار الصلاة المعهودة ولا يعتدها «وروى» عن انس مرفوعا ان من صلى المغرب فى جماعة ثم صلى بعدها ركعتين

---

«٣» قوله ويوم السابع لعل هنا وافضل أيام السنة كذا ثم عطف عليه المذكور هنا

ولم يتكلم بعدها بشيء من امور الدنيا يقرأ في الاولى بفاتحة الكتاب وعشرين من اول البقرة وآيتين من وسطها والهكم اله واحد إلى قوله تعالى يعقلون وقل هو الله احد خمس عشرة مرة وفي الثانية بفاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين بعدها وآخر البقرة من قوله تعالى لله ما في السموات وما في الارض وقل هو الله احد خمس عشر مرة بنى الله له في جنة عدن الف مدينة من الدر والياقوت (وعن كرز بن وبرة) وكان من الابدال قال لقيت الخضر عليه الصلاة والسلام قلت علمني شيئاً اعمله في ليلتي هذه قال اذا صليت المغرب فقم الى العشاء مصلياً مثنى تقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وسورة الاخلاص ثلاث مرات ولا تكلم احداً ثم صل العشاء وانصرف من غير كلام الى بيتك وصل ركعتين في كل ركعة بفاتحة الكتاب والاخلاص سبعاً فاذا سلمت فاسجد سجدة واستغفر الله تعالى فيها سبعاً وصل على محمد ﷺ سبعاً وسبح بالباقيات الصالحات سبعاً ثم اجلس وارفع يديك وقل ياحي ياقيوم ياذا الجلال ياالله الاولين والآخرين يارحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما يارب يارب يارب يالله يالله يالله ثم قم وانت رافع يديك تدعو بهذا الدعاء وتم حيث شئت طاهراً مستقبلاً مصلياً على محمد حتى تنام قال وذكر لي الخضر انه كان عند النبي ﷺ حين علمه جبرائيل هذا الدعاء وذكر له فضلاً عظيماً. يامولاتاً بدنس المعاصي بادر بالغسل قبل خروج الوقت لايفوتك . عيش احلى من الشهد والمحاسبة عليه امر من العلقم (ويحكى) انه كان لبانا يخلط اللبن بالماء ويبيعه فجاء السيل فأغرق غنمه فجعل يبكي ويقول اجتمعت تلك القطرات فصارت سيلا ياهذا الدنيا وراءك والآخرة امامك والطلب لما وراءك هذيمة وانما العزيمة في الاقدام الى قدام والملزم والاحتراز الفرصة وكفى بذهاب الفرصة غصة يا ابطأ منا بخيط الامل انه ضعيف الفتل لو فتحت عين اليقظان لرأيت حبائل عمرك قد تهدمت فبكرت على خراب الاجل لما احكم الصالحون العمل حكم عليهم بالعمل فقاطعوا الذي يقطع اعمار الاعمار فانتهبوا بالليل والنهار (اللهم) انك اذا اقبلت سلمت واذا اعرضت اسلمت واذا وفقت الهمت واذا اخذت ابهمت (اللهم) اذهب ظلمة قلوبنا بنور معرفتك وهدايتك واجعلنا ممن اقبلت عليه فاعرض عن سواك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين آمين

## الفصل الثالث عشر فى التشمير وذكر شعبان

الحمد لله الغفور الذى ستر بستره واجمل الشكور الذى عم ببره واجزل الرحيم الذى أتم احسانه على المؤمنين واكمل الذى يكفى بحسن تأييده من على كرمه عول الواحد الاحد القدوس الصمد الاول المنفرد بالعز والكمال فلا ينتقص عزه ولا يتحول الحى العليم القدير السميع البصير المدبر الخبير المتكلم بكلام قديم أزلى لا يتغير ولا يتبدل صفاته قديمة من شبهها بصفات خلقه فقد أبطل وتقول شهدت بصفاته قواطع الادلة فمن عطل فقد أمحل فيما تأول جل عن الاين والكيف وعز عن الظلم والحيف فلا يسئل عما يفعل الحكم حكمه والامر أمره والملك ملكه فعليه المعول من وفقه لخدمته وادله فقد جاد عليه وتطول ومن أبعده عن بابه وعذبه باليم حجابه فقد عدل فى حكمه ولا يلام المالك ولا يعذل من جعل من حزب الرحمن فليس للشيطان عليه سلطان ومن ولاه مولاه فكيف يعزل ان نسى ذكره وارشده وان عثر اخذ بيده واسعده وان ذل اقامه وايده فلا تيأس من رحمته ولا تعجل لازم بابه وإلى أين تذهب ولا تبرح عنه لسواه فادونه مطلب تضرع بين يدى مولاك بقلب مقيد وديع مرسل فسبحان من اقبل بجوده وبره على من رجع اليه واقبل ورأى زلة المسئ وجنح الظلام مسبل فعامله برأفته وتجاوز عنه برحمته وأمهل وجعل القبول والفضل اوقاتا ليتدارك المقصر ماضيع واهمل (احمده) على ما انعم واكرم وتفضل واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة يبدى خضوع طيبته وتذلل واشهد ان محمدا عبده ورسوله الذى اوحى اليه الكتاب وارسله صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه ما شفق ليل أليل وورد النهار منهلا بعد منهل كما نهج به للمتقين طريق الهدى وسهل فى قول الله تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد ان يذكر أو أراد شكورا جعل الله الليل يخالف النهار والنهار يخالف الليل فمن أخطأ فى ليله أو قصر تدارك فى نهاره وشمر ومن تشاغل فى نهاره عن خدمة مولاه فى الليل خلوة بين الله ومولاه وورد فى الآثار ان من فاته ورده بالليل فصلاه ما بين الضحى والظهر فكأنه قد صلاه فى وقته وفى الخبر يقول الله عز وجل يا ابن آدم اذكرنى بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة

اكفك ما بينهما فمن أراد أن يشكر ويذكر ففي اختلاف الليل والنهار عبرة لمن استبصر ومن أراد شكورا ففي كل واحد منهما خلف لمن قصر وكان عبد الله ابن عمر اذا فاتته الصلاة في جماعة احيا تلك الليلة ليجبر ما فاته وأخر ليلة صلاة المغرب حتى رأى كوكبين فاعتق رقبتين وفاتت عمر بن الخطاب رحمه الله صلاة العصر في جماعة فتصدق بارض له قيمتها مائة الف درهم ويروى ان الله تعالى يقول للملائكة وهو أعلم ما بال عبادي مجتهدين فيقولون الهنا خوفتهم شيئا خافوه وشوقتهم الى شيء فاشتاقوا اليه فيقول الله تعالى فكيف لو رأوني عبادي لكانوا أشد اجتهادا وقال الحسن أدركت اقواما وصحبت طوائف ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل ولا يتأسفون على شيء منها ادبر وهي كانت عندهم أهون من هذا التراب كان أحدهم يعيش عمره كله ماله ثوب زائد فيطوى ولا جعل بينه وبين الارض شيئا أدركتهم عاملين بكتاب الله تعالى وبسنة نبيهم اذا جنهم الليل فقيام على اطرافهم يفترشون وجوههم تجرى دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم اذا عملوا حسنة فرحوا بها وداموا على شكرها وسألوا الله ان يقبلها واذا عملوا سيئة حزنوا على فعلها وتابوا الى الله تعالى منها وسألوا الله تعالى ان يغفرها لهم والله ما زالوا كذلك وعلى ذلك ووالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا الا بالمغفرة ودخل جماعة على عمر بن عبد العزيز في مرض موته يعودونه فاذا فيهم شاب ناحل الجسم فقال له عمر يا فتى ما الذي بلغ بك ما أرى فقال يا امير المؤمنين امراض واسقام فقال له عمر سألتك بالله الا ما صدقتني فقال يا امير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة فصغرت زهرتها وحلاوتها في عيني فكاني أنظر الى عرش ربي بارزا والناس يساقون الى الجنة او النار فاظمأت لذلك نهاري واسهرت له ليلي وقليل حقير كلما انا فيه في جنب ثواب الله تعالى او عقابه وكان علقمة بن قيس كثير الاجتهاد فقيل له كم تعذب نفسك فقال انما أريد كرامتها وفي الحديث اذا كان يوم القيامة واستوى الناس في صعيد واحد نادى منادليعلم اهل الموقف من أولى بالكرم ليقم المتقون ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اكرمكم عند الله أتقاكم وفي بعض كتب الله المنزلة يا ابن آدم لو رأيت

بقلبك ما بقى من اجلك لزهدت فى طول املك ولرغبت فى الزيادة من عملك ولقصرت من حبلك وانما يلقاك غدا ندمك اذا ذل بك قدمك فلا أنت الى الدنيا عائد ولا فى عملك زائد (وقيل) لبعض الصالحين فى اى وقت تصلى وردك فقال ماظننت ان عبدا يسمع بالجنة او النار تمضى عليه ساعة لا يصلى فيها. وقال بعض الصالحين لقيت رجلا فى البرية فقلت من اين اتيت فقال من عند أقوام لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله قلت الى اين تريد قال الى قوم تتجافى جنوبهم عن المضاجع ملوءا مراكب القلوب متاعا لا تصلح الا للملك فلما هبت عليهم رياح الدجا سارت تلك المراكب أترى فى اى شعب اخذوا ترى فى اى طريق سلكوا قنعوا من الدنيا بالبر والبرد قطعوا بادية الهوى بأقدام الجد ما كان الاقليل حتى قدموا من السفر فاعتنقتهم الراحة ودخلوا بلاد الوصل هان عليهم طول الطريق لعلمهم اين المقصد فيا بشراهم يوم يلقاهم هذا يومكم الذى كنتم توعدون سئل ذو النون المصرى عن حملة القرآن فقال هم الذين مطرت عليهم سحائب الاشجان ونصبوا الركب والابدان وتسربلوا بالخوف والاحزان وشربوا بكاس اليقين وراضوا نفوسهم رياضة المتقين كحلوا ابصارهم بالسهر وغضوها عن النظر والزموها العبر واشعروها الفكر فقاموا اليلهم أرقا وتبادرت دموعهم فرقا حتى ضنيت منهم الابدان وتغيرت منهم الالوان صحبوا القرآن بابدان ناحلة وشفاه ذابلة ودموع وابلة وزفرات قاتلة فحال بينهم وبين نعيم المتنعمين وشغلهم عن مطامع الراغبين ففاضت عبراتهم من وعيده وشابت ذوائبهم من تحذيره فكان زفير النار تحت اقدامهم وكان الوعيد نصب قلوبهم جعلوا التراب للجباه وساداوا للركب مهادا جعلوا القرآن صراطهم المستقيم فكان بهم الى الخيرات داعيا والى النجاة دليلا هاديا اولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب اسمع صفة القوم يا أسير الغفلة والنوم (كان) أيوب السختيانى يحيى الليل كله فاذا كان وقت السحر رفع صوته كانه قد قام ذلك الوقت من النوم ومكث ابراهيم التيمى عشرين سنة يصلى الصبح بوضوء العشاء وكانت رابعة تحيى الليل كله ذهب السادة وبقى قرناء الوسادة واشوقاه الى تلك الارواح سلام الله على تلك الاشباح (وكان) سرى السقطى يقوم من اول الليل الى وقت

السحر ثم يجلس فيبكى حتى يطلع الفجر (كانوا) مع الطاعات يبكون وأنتم مع التفريط تضحكون هان عليهم والله السفر لما علموا ان الملك يراهم ويسمع أصواتهم قال تعالى الذى يراك حين تقوم اول نقدة فى مهر الجنة الظمأ والتلذذ بالبلاء وكان حسان بن أبى سفيان كانه سوط وكان ابراهيم بن ادهم كانه سفود وكانت رابعة كانها شن بال وكان سرى قد يبس جلده على عظمه (شعر)

جزى الله المسير اليك خيرا وان ترك المطايا كالمرادى

وكان داود الطائى ينادى فى الليل الهى همك عطل على الهموم وحال بينى وبين الرقاد وشوقى الى لقائك حال بينى وبين اللذات وانا فى سجنك يا كريم (وقيل) لعيسى عليه الصلاة والسلام من أولياء الله الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون فقال هم الذين نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها والى آجلها حين نظر الناس الى عاجلها واماتوا منها مايخافون أن يميتهم وتركوا منها ما علموا انه سيتركهم فصار استكثارهم منها استقلالا وطلبهم لما أدركوا منها فوتا وفرحهم مما أصابوا منها حزنا تخلقت الدنيا عندهم فلا يجددونها وتخربت فلا يعمرونها وماتت فى قلوبهم فلا يحيونها يخربونها ويبنون بها آخرتهم ويبيعون دنياهم ويشترون بها مايبقى لهم رفضوها وكانوا برفضها فرحين ونظروا الى اهلها غرقى وقد خلت من قبلهم المثلات أحيوا ذكر الممات وأماتوا ذكر الحياة الدنيا يحبون الله ويحبون ذكره ويستضيئون بنوره لهم خبر عجيب وعندهم أعجب الخبر بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا لايرون اماناً دون ما يرجون ولاخوفا دون مايحذرون أولئك اولياء الله الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون (وقال) بعض الصالحين سمعت فى جنح الليل صوتا حزينا على ساحل البحر فملت اليه فاذا هو رجل واقف يقول ياقرة عينى وياسرور قلبى ما الذى اسقطنى من عينك فطوبى لقلوب ملأتها من خشيتك واستولت عليها محبتك فخشيتك مانعة لها من ولوج كل مقصد خوفا من حلول سخطك ومحبتك قاطعة لها عن سبيل كل شهوة غير ذكرك صدق القوم فى الطلب فجاءت المعونة وقهروا نفوسهم فباتت مسجونة وزرعوا حب التقى وقاموا يسقونه فوجدوا الذة مولاهم فما طلبوا

دونه انهم ليشتهون كما تشتهون ولكن بقيت نومة يحبهم ويحبونه شعر

علل سقاما بجسم أنت متلفه ... أبرد غراما بقلب أنت مضرمه
ولا تكلني الى بعد الديار الى ... صبر الضعيف فصبري انت تعلمه
تلق قلبي فقد ارسلته قدما ... الى لقائك والاشواق تقدمه

(وقال) أبو جعفر الصفار تهت في البادية أياما فعطشت وضعفت فرأيت رجلا واقفا شاخصا فتحافاه فقلت ما هذه الوقفة فقال مالك والدخول بين الموالي والعبيد ثم اشار بيده نحو الطريق فمشيت نحو اشارته قليلا واذا انا برغيفين ولحم حار وكوز ماء بادر فاكلت وشربت ثم رجعت اليه فقلت له ما التصرف فتبسم ثم قال لائح لاح فاصطلم واستباح اذا اقلقهم الخوف ناحوا واذا ازعجهم الوجد صاحوا واذا ادهشهم الحب ساحوا واذا غلبهم الوجد باحوا «شعر»

وحرمة الود مالي عنكم عوض ... وليس لي في سوى لقياكم غرض
ومن جنوني بكم قالوا به مرض ... فقلت لا زال عني ذلك المرض

(ورؤي) بعض الرجال واقفا في الهواء فقيل له بم نلت هذه المنزلة قال لاني وضعت هواي تحت قدمي فسخر الله لي الهواء (وقال) ابراهيم بن ادهم كنت سائرا نحو بيت المقدس فلقيت سبعة رجال فسلمت عليهم وقلت أفيدوني شيأ ينفعني الله تعالى به فقالوا انظر كل قاطع يقطعك عن الله فاقطعه عنك قلت زيدوني رحمكم الله قالوا لا ترج غير الله تعالى ولا تخف احدا سوى الله قلت زيدوني رحمكم الله قالوا انظر كل ما يحبه الله تعالى فاحببه وكل ما يبغضه الله تعالى فابغضه قلت زيدوني رحمكم الله تعالى قالوا عليك بالدعاء والتضرع والبكاء في الخلوات والتواضع والخشوع والرحمة للمؤمنين والنصح لهم فقلت زيدوني رحمكم الله تعالى فقالوا اللهم حل بيننا وبينه فقد شغلنا عنك فنظرت فلم ارهم نفعنا الله بهم. يا من قطع الليل بالنوم والنهار بالفضول متى تلحق السابقين هم القوم في مرضاة المولى وهمتك في موافقة الهوى ان سعيكم لشتى كانت الصلوات للقوم خلوات وهي عند الغافلين مصادرات . وقف ابو يزيد البسطامي ليلة الى الصباح لا يستطيع ان يذكر الله بلسانه لما غلب عليه من الهيبة والاجلال شعر

وما تذكرتكم الا نسيتكم ... نسيان اجلال لا نسيان اهمال

اذا تذكرتم من انتم وكيف انا  اجللت ذكركم يأتى على بالى

استيقظ القوم ونمنا وجدوا وتخلفنا ونالوا المنى وحرمنا يامن يقول اذا شئت تبت اليوم عهدكم فاين الموعد هيهات ما اليوم عهدكم غدا اجعل سهرك فى الدجا شفيعك فى ذلتك اكتب بأقلام ذكر الممات على صفحات لوح الوجنات بمداد العبرات يا نائما ترك المحرمات وارفع قصتك الى عالم الخفيات وقف على اقدام حسن الظن به فى جميع الحالات يا فارغ البيت من القوت هذه ايام الالقاط يا مهجور ركعتان بعد النوم خير لك من الف تجارة متى تجدر يحيوسف يا مسجون يا معشر التائبين أوفوا بالعقود وانظروا لمن عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها يا مقهورا بغلبة النفس صل عليها بسوط العزيمة وامنعها من شهواتها المباحة عسى ان يقع الاصطلاح على ترك الحرام ان مالت الى الشهوات فالجمها بلجام التقوى وان اعرضت عن الطاعات فسقها بسوط المجاهدة والله ما لم تجد مرارة الدواء لا تجد ذرة من العافية النفس مثل كلب الشواء اذا شبع نام واذا جاع بصبص شعر

تعصى الاله وانت تظهر حبه  هذا محال فى الفعال بديع

لو كان حبك صادقا لاطعته  ان المحب لمن يحب مطيع

عباد الله انكم فى شهر بركاته مشهورة وخيراته موفورة والتوبة فيه من اعظم الغنائم الصالحة والطاعة فيه من اكبر المتاجر الرابحة وهو شهر شعبان الذى جعله الله تعالى مضمار الرمضان وضمن الله تعالى فيه للتائبين الامان من عود نفسه فيه الاجتهاد فاز فى رمضان بحسن الاعتياد (ورد) فى الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يصوم شعبان ولا يفطر منه الا قليلا فى ليلة نصفه يقسم الله تعالى الاجال للعباد ويحكم فيها بالقرب والبعاد وقال يكتب فى ليلة النصف من شعبان اسم من يولد ومن يموت ومن يقف بعرفة فى تلك السنة واذ الرجل ليتزوج ويبنى البنيان وقد خرج اسمه فى ديوان الموتى وقال ما من مسلم يسأل الله تعالى شيئا الا اعطاه الا ان يكون من الظلمة او المجاهرين بالمعاصى وقال ابو هريرة رضى الله عنه اذا كانت ليلة النصف من شعبان فتحت ابواب السموات السبع ووقف على كل باب ملائكة يستغفرون للمسلمين فيغفر لكل مسلم الا من كان مصرا على كبيرة

(وكان) السلف الصالحون يصلون فيها مائة ركعة يقرؤون فى كل ركعة مع الفاتحة سورة الاخلاص عشر مرات قال الحسن حدثنى ثلاثون من اصحاب رسول الله ﷺ ان من صلى هذه الصلاة نظر الله تعالى اليه سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة ادناها المغفرة (وقالت) عائشة رضى الله عنها كانت ليلتى من رسول الله ﷺ فدخل الفراش حتى نمت ثم استيقظت فلم اجده فقمت فوجدته يصلى يخفف القيام ثم ركع وسجد فطول سجوده الى نصف الليل ثم قام الى الثانية كذلك ثم ركع وسجد فى الثالثة حتى كاد الفجر ان يطلع فظننت انه قد قبض فوضعت يدى على قدميه فتحرك فحمدت الله تعالى فسمعته يقول سجد لك سوادى وآمن بك فؤادى هذه يدى التى جنيت بها على نفسى فاغفر لى الذنب العظيم فانه لا يغفر الذنب العظيم الا الرب العظيم أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فلما فرغ من صلاته قال اتدرين اى ليلة هذه هذه ليلة النصف من شعبان ان الله تعالى يغفر فى هذه الليلة للمؤمنين الا لمدمن خمر أو مصر على الزنا او الربا او عاق لوالديه او مصور او فتان هذا سيد الاولين والآخرين وحبيب رب العالمين يتذلل بين يدى مولاه هذا التذلل ويتوسل اليه بكرمه هذا التوسل مع علمه بعظيم منزلته ورفيع درجته فكيف بمن عاقبته مجهولة ولا يدرى ان اعماله مردودة او مقبولة وقال رسول ﷺ انا اعلمكم بالله واخشاكم له ويقال من لم يتب وهو خائف فليس بعارف (شعر)

من لم يتب والبين يقرع قلبه ... لم يدر كيف تفتت الاكباد

قال بعضهم رأيت فتحا الموصلى يوما يبكى فاذا دموعه قد مازجها الدم فقلت بالله عليك يا فتح على ماذا بكيت الدم فقال لولا انك حلفتنى ما اخبرتك بكيت الدموع على تخلفى عن واجب حق الله تعالى وبكيت الدم خوفا على الدموع ان لا تكون صحت لى قال فلما مات رأيته فى المنام فقلت له ما فعل الله بك قال غفر لى قلت ما صنع بدموعك قال قربنى زلفى عز وجل وقال لى يا فتح بكيت الدموع على ماذا قلت يا رب عن تخلفى عن واجب حقك قال فالدم على ماذا قلت على الدموع ان لا تكون صحت لى فقال يا فتح ما اردت بهذا كله وعزتى وجلالى لقد صعد الى

حافظاك اربعين سنة بصحيفتك مافيها خطيئة قط (الهى) سائلك ببابك فتعطف عليه مع احبابك «الهى» فقير ببابك فأجره من عذابك «الهى» عبدك الضعيف ببابك فلا تذقه اليم حجابك «الهى» قدامرتنا بالتجاوز عن المسىء فتجاوز عن اساءتنا بجميل كرمك ولاتقطع عناعوائد نعمك

اليك جئنا وانت جئت بنا وليس شىء سواك يغنينا
بابك رحب فناؤه كرم تؤوى الى بابك المساكينا

ماضرنا من ردنا ان انت قبلتنا ولانبالى بمن سخطنا ان انت رضيتنا اليك توجهنا وببابك نزلنا وبحماك التجانا ولمعروفك تعرضنا «شعر»

شاد الملوك بناءهم وتحصنوا من كل طالب حاجة اوراغب
عجبا لمسكين تذلل سائلا لسوى الاله وطالب من طالب
مالى سواك وان اضربى الاسا فببابجودك قدحططت ركائبى
ولانت اعلم بالسرائر والذى اخفيه فاسمح لى بنيل رغائبى

عن بابك لانبرح لانابغيرك مانفرح لابدلنامنك ولاصبر لناعنك

«شعر»

على بعدك لايصبر من عادته القرب
ولا يقوى على هجر ك من اسقمه الحب
اذا ما كنت لى مولى حلا لى اللوم والعتب
وان لم ترك العين فقد شاهدك القلب

«اللهم» يامن فتح الباب للطالبين واظهر غناه للراغبين واطلق للسؤال السنة القاصدين وقال فى كتابه المبين ادعونى استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين اجعلنامن اوليائك المتقين وحزبك المفلحين وآمنا من الفزع الاكبر يوم الدين واغفر لناولوالدينا ولجميع المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## الفصل الرابع عشر فى التقديم وقدوم رمضان

«الحمد لله» الذى وفق العاملين لطاعته فوجدوا سعيهم مشكورا وحقق آمال

الآملين برحمته فنحهم عطاء موفورا وبسط بساط كرمه للتائبين فاصبح وزرهم مغفورا وأسبل من نعمه على الطالبين وابلا غزيرا ولم تزل ابواب جوده للراغبين مفتوحة الواحد الذى من قصد غيره ضل العزيز الذى من اعتز بغيره ذل الكبير الذى من نازعه فى كبريائه قصم وأذل العظيم الذى تفرد بصفات الكمال وتعالى وجل الافكار عن ادراك كبريائه ممنوعة والخيرات من عطائه ممنوحة الذى يعطى الفضل الجزيل على العمل القليل ويعطى بفضله الذنب الوبيل بالستر الجميل ويغفر الوزر الثقيل فيقبل ويقبل ويرى الخاضع الذليل فى الليل الطويل ويسمع انين المذنبين بالقلوب الحزينة اذا وقف المجتهدون فى جنح الظلام وتلذذوا باطيب الكلام وبسط التائب لنفسه بساط العتب والملام وبكى على تفريطه فحرم لذيذ المنام الحقه بالمحسنين وغفر له الافعال القبيحة مولى وفق الصالحين لخدمته وأثنى وبدأ المحسنين برحمته وثنى واطلع على جرائمنا فلم يقطع فضله عنا وجاد ببره وكرمه على ما كان منا فسبحانه من كريم أضحت رحالنا بباب كرمه مطروحة الذى عم جميع بريته برحمته وعطائه وخص أهل مودته بمعرفته وولائه وروح أسرارهم على بساط مناجاته بحسن ثنائه وفتح أسرارهم فى ميدان معانى أسمائه فعاشوا ورتعوا فى رياض فسيحة دعاهم فاجابوا وولاهم فانابوا ووعدهم فما ارتابوا وأحضرهم فما غابوا وشاهدوا الاله فصدورهم بالايمان مشروحة ابتهجت سرائرهم بذكره ولهجت ألسنتهم بشكره وشغلت جملتهم بنهيه وأمره ووجلت قلوبهم من وعيده ومكره فسكنت الجوارح وقصرت الالسن الفصيحة فالخلوات مع الله أنسهم وميدانهم والمناجاة روائحهم وريحانهم وذكر الله نزهتهم وبستانهم وتلاوة القرآن نعيمهم وسلوانهم ولهم فى الاشتغال به عن جميع الاشغال مندوحة من أقبل على مولاه كفاه ومن استطبه لدائه شفاه ومن رضيه شغل بذكره قلبه وفاه ومن أبعده قطعه عن بابه ونفاه لا يتجمل بطاعة العابدين ولا يتزين بذكر الذاكرين ولا يبرمه الحاح السائلين ولا ينقص ملكه اعراض الغافلين ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه (احمده) على ما ألهم من حمده وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له فى عزه ومجده وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى سبح نفسه بما أولاه

من وده فقال جل وعلا سبحان الذى أسرى بعبده صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أخلصوا لله ومحضوا النصيحة (فى قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد) الآيات اتقوا الله اى خافوه واطيعوه واخشوه وراقبوه فانه خبير بالبواطن والظواهر عليم بما تكنه الضمائر وانظروا نفوسكم اجل النظر وكونوا من مكر الله تعالى على حذر ولا تكونوا كالذين تركوا امر الله ونسوا ذكر الله فانساهم النظر فى مصالح نفوسهم حتى باعوا حظهم من ربهم بشهوات زائلة ورضوا من النعيم الباقى بغرور العاجلة والسعداء تأهبوا لمعادهم وأخذوا فى تحصيل زادهم قال رسول الله ﷺ الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى قيل شبع يحيى بن زكريا ليلة فنام عن ورده فاوحى الله تعالى اليه يا يحيى هل وجدت دار الدنيا خيرا من دارى هل وجدت جوارا خيرا من جوارى وعزتى وجلالى لو اطلعت على الفردوس اطلاعة لذاب جسمك ولزهقت نفسك اشتياقا ولو اطلعت على جهنم اطلاعة لذاب جسمك ولبكيت الصديد بعد الدموع وللبست الحديد بعد المسوح . ولما تعبد عتبة الغلام كان لا يتهنأ بطعام ولا شراب فقالت له أمه يا بنى ارفق بنفسك فقال الرفق اطلب دعينى اتعب قليلا وأتنعم طويلا . وقال ثابت البنانى ادركت رجالا كان احدهم يصلى حتى يأتى فراشه حبوا (وكان) صفوان بن سليم قد بلغ به الاجتهاد ما لو قيل له القيامة غدا لم يرد مزيدا (وكان) يقول اللهم احب لقاءك فاحب لقائى ومات وهو ساجد رحمه الله تعالى واصاب عبد الرحمن بن الاسود وجع فى احدى رجليه فكان يقوم الليل على قدم واحدة ويصلى بوضوء العشاء الصبح . يا من همته همة النساء يعجبه ثوب ومطعم اين علامات الرجولية تضيع منك حبة فتبكى وقد ضاع عمرك وانت تضحك تستوفى مكيال هواك وتنقص مكيال صلاتك ويل للمطففين لك خمسون سنة وانت فى مكتب التعليم وما تعديت المجد وغدا توبخ عند عرض الالواح اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير يا مجنون إمامارستان العزلة وقيدا لحمية وسلاسل التقوى ومرافقة الابرار وامامرافقة ابليس فى مارستان جهنم يا هذا قلبك عذب ونفسك ملح اجاج فاجعل التقوى برزخا بين البحرين لو عرفت قدر ما اعطيت ما القيت

جوهرة قلبك فى مزابل الهوى انما خلقت الاكوان لاجلك الدنيا لتزرع فيها والآخرة لتتوطن والملائكة اسجدتهم لابيك اترى تعرف قدر اذكرونى اذكركم او قيمة يحبهم ويحبونه او مرتبة وانا الى لقائهم اشد شوقا اذا صعدت الملائكة عن مجلس الذكر يسألهم الله عز وجل وهو اعلم فيقول من اين جئتم فيقولون من عند عبادك يسبحونك ويقدسونك ويحمدونك ويمجدونك فيقول سبحانه وتعالى أشهدكم انى اعطيتهم ما يطلبون وامنتهم مما يخافون يا من يسأل عن القادمين اذا ما كنت لهم هكذا مولى فكيف اذا سكن الخوف فى قلوبهم فاذابها

وكم ناحل بين تلك الخيام تحسبه بعض اطنابها

(وكان) وهيب بن الورد قد نحل من العبادة حتى كان خضر البقل ترى من جلدة بطنه ومات يوسف بن اسباط ولم ير على عظمه سوى الجلد (شعر)

وخيال جسم لم يخل له الهوى لحما فينحله السقام ولا دما

(وكان) الاسود بن يزيد يصوم حتى يصفر ويخضر ويقول دع نفسك تبكى من شدة الرياضة فتستريح عند صحبة الملوك . قال ابو يزيد سقت نفسى الى الله عز وجل وهى تبكى حتى انساقت وهى تضحك قد مال بها الهوى عن المسلك فقصوا بها على الجادة فانها تعرف المنزل وعلموها بحديث حاجز ولتصنع الفلاة ما بدا لها فى مجلس الذكر كليلة ترائى الهلال فالصالحون زأر واهلال الهدى وهم يشيرون الى عمش المعاصى ليروه القوم اذا جنهم الليل خلا الفكر بالقلب فى بيت الوحدة فجرت اوصاف الحبيب فنطق قلق الشوق فضربت بطون الرواحل لسير السهر فلا نوم يأخذ القوم دوموا على الحمية فاذا ذابت الابدان نجمت لها العافية اياكم والتخليط فانه سبب المرض لا يصعب على الخيل تضميرها فتستريح يوم السباق (شعر)

تروم وصالا من سليمى ولم تجد لنفس متى نال الوصال بخيل

من ركب مركب المجاهدة حط بساحل المشاهدة والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين ومن ركب مركب الصبر حط بساحل الاجر انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ومن ركب مركب الفنا نال مراتب المنى فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون «أوحى» الله تعالى الى بعض الانبياء

عليهم الصلاة والسلام عاد نفسك فليس لى فى المملكة منازع غيرها (وفى الحديث) ان رسول الله ﷺ قال ألا أدلكم على صاحب ان انتم اجعتموه وأهنتموه أكرمكم وان أنتم أكرمتموه افضى بكم الى شر غاية قالوا والله يارسول الله ان هذا الشر صاحب فقال والذى نفسى بيده انها لنفوسكم التى بين جنوبكم . وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه سائر أعمال البر فى جنب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر كتفلة فى جنب البحر والامر بالمعروف والنهى عن المنكر فى جنب الجهاد فى سبيل الله كتفلة فى جنب البحر والجهاد فى جنب مجاهدة النفس عن هواها كتفلة فى جنب البحر وقال ابراهيم ابن أدهم لن ينال الرجل درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة ويغلق باب العز ويفتح باب الذل ويغلق باب الراحة ويفتح باب الجهاد ويغلق باب النوم ويفتح باب السهر ويغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر ويغلق باب الامل ويفتح باب الاستعداد للموت . وقال أبو حفص من صبر على المجاهدة قليلا فتح الله عليه برؤية المنة وملأ قلبه بحلاوة الطاعة فسهل الله عليه ما كان عسيرا وقال مالك بن دينار جاهدوا انفسكم كما تجاهدون اعداءكم وكان الحسن يقول المداومة عباد الله المداومة فان الله تعالى لم يجعل لعمل أجلا دون الموت (ورؤى) حماد بن سلمة فى النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال خيرا قال لى طالما كددت نفسك فاليوم أطيل راحتك وراحة المتعبين فى الدنيا بخ بخ ما اعددت (وكانت) ام محمد بن كعب تقول له يا بنى لولا انى اعرفك صغيرا طيبا لظننت انك احدثت ذنبا موبقا لما اراك تصنع بنفسك بالليل والنهار فقال ياامام ومايؤمنني ان يكون قد اطلع الله على وانا فى بعض ذنوبى فمقتنى وقال اذهب فلا غفرت لك مع ان عجائب القرآن لتردنى عن امورى حتى انه لينقضى الليل ولم افرغ من حاجتى ويقال من كرمت عليه نفسه هان عليه دينه . وقال النصرابادى سجنك نفسك ان خرجت منها وقعت فى راحة الابد . وقال ابن عباس ان الله تعالى قد اخبر ان طريق الجنة لاتقطع الا بمكابدة فقال تعالى لتبلون فى اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيراً وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وقال تعالى لقد خلقنا الانسان فى كبد قال الحسن يكابد امر

الدنيا والآخرة . وقال عيسى عليه الصلاة والسلام الدنيا والآخرة كضرتين ان أرضيت احداهما أسخطت الاخرى. وقال عون بن عبد الله الدنيا والآخرة ككفتي الميزان بمقدار ما ترجح احداهما تخف الاخرى. وقال ابن السماك من أذاقته الدنيا حلاوتها بميله اليها جرعته الاخرى مرارتها بتجافيها عنه وقال أبو مالك لابي أيوب احذر نفسك فاني رأيت هموم المؤمنين في الدنيا لا تنقضي وأيم الله لئن لم تأت الآخرة للمؤمنين بالسرور لقد اجتمعت عليهم هموم الدنيا والآخرة قال فقلت كيف لا تأتيه الآخرة بالسرور وهو يعمل لله في الدنيا ويدأب قال فكيف بالقبول وكيف بالسلامة كم من رجل يرى أنه قد أصلح شأنه يجمع عمله يوم القيامة كله فيضرب به وجهه وقال وهب بن منبه مكتوب في التوراة شوقنا كم فلم تشتاقوا وخوفنا كم فلم تخافوا ونحنا لكم فلم تبكوا وان لله كل يوم مناديا ينادي أبناء الاربعين زرع قد دنا حصاده أبناء الخمسين هلموا الى الحساب ابناء الستين ماذا قدمتم وماذا أخرتم لا عذر لكم ابناء السبعين عدوا نفوسكم في الموتى ليت الخلق لم يخلقوا فاذا خلقوا اعلموا لماذا خلقوا الا تتكم الساعة الاخذوا احذركم (يا هذا) تفكر لماذا خلقت فمن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين النفس لا تنكاد توافقك طوعا فخذ آلة الحرب فالكيس من دان نفسه ان احست منك بمسامحة طمعت ولا تنزع رداء الهيبة عن رأس رياستك ولا ترفع عصاك عن اهلك فان قويت عليك فاستعن بخالقها استعينوا على كل صنعة بصالح من اهلها فان اذعنت فارفق بها فان هذا الدين متين (شعر)

كيف ترضى بمقلة تألف النوم ودمع يصان في الآماق
وزمان الصبا مر وقد انفق ايامه زمان الفراق
والليالي تمضي سراعا وما يقبل منها حوالة في الباقي

(كانت) امرأة متعبدة لا تنام من الليل الا يسيرا فعوتبت في ذلك فقالت كفى بطول الرقدة في القبور رقادا (شعر)

ايها العذال لا تعذلوا انما النصح لمن يقبل
واري ليلي لا ينقضي طال ليلي والهوى اطول

(عوتب) بعض الصالحين في كثرة بكائه فقال والله لا بكين ثم لا بكين فان ادركت

بالبكاء خيرا فمن فضل الله وان تكن الاخرى فابكائى فى جنب ما الق وعوتب آخر فى كثرة بكائه فقال ان حزن القيامة اورثنى دموعا غزارا فأنا استريح بذرفها (وكان) الحسن يبكى ليلا ونهارا ويقول اخاف ان يطرحنى فى النار ولا يبالى (وكان) محمد بن المنكدر كثير البكاء فسئل عن ذلك فقال آية فى القرآن ابكتنى وهى قوله تعالى وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون. الفكر فى السابقة اقلق الارواح واذاب القلوب (ياهذا) سق نفسك بسوط المجاهدة وهى تبكى فعن قليل يثمر البكاء سرورا عند الصباح يحمد القوم السرى قال ابو بكر الزاهد دفعت الشهوات حتى صارت شهوتى المدافعة يعنى صار فى تركها لذة . يا ارباب الدنس لاتقنعوا بصب ماء التوبة على ظاهر البدن بلوا الشعر وانقوا البشرة. ابلغ المراهم فى دواء الخطايا الندم واحسن زى التائب حلة الانكسار وانفع الالفاظ فى اجتلاب الرحمة ربنا ظلمنا انفسنا (وفى الآثار) ان ملكين من السماء كل يوم يقول احدهما يا ليت الخلق لم يخلقوا ويقول الآخر ليتهم اذا خلقوا علموا لما ذا خلقوا ويقول الاول ليتهم اذا علموا لما ذا خلقوا عملوا بما عملوا ويقول الآخر ليتهم اذا لم يعملوا تابوا مما عملوا. ويقال العمر بضاعة والرابح من صرفه فى طاعة قال الله تعالى فى محكم الآيات ردا على من يتمنى رفيع الدرجات وهو معرض عن الطاعات غافل عن رب الارض والسموات ام حسب الذين اجترحوا السيآت ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات (عباد الله) قد مكنكم من التجارة الرابحة من اوسع لكم مواسمها ويسر لكم الاعمال الصالحة من بين لكم معالمها ورغبكم فى الخيرات من وفر مغانمها ودعاكم الى رفيع الدرجات من منحكم كرائمها فاحمدوا الله تعالى على ما اعطاكم من نعمة الاسلام واشكروه على ما خصكم به من اتباع محمد ﷺ شكرا يستغرق افكاركم عن النظر فيما ينقص من اموالكم والفكرة فى عاجل احوالكم فكل نعمة تفوقها نعمة الاسلام وكل مصيبة فانها دون مصيبة الطرد والحرمان فنسأل الله تعالى ان يجعل فكرنا فيما لديه وهمتنا فيما ينفعنا يوم القيامة بين يديه انه على ما يشاء قدير وان شهر شعبان قد انقضى عنكم اكثره ودنا رحيله شاهدا للمحسنين بما قدموا من عمل صالح وبما اخلصوا فيه من متجر رابح وشهيدا على المفرطين بأوزارهم وما حملوا على نفوسهم من ثقل اصرارهم وقد اظلكم الموسم

الذى هو أعظم منه غنيمة وسعادة وأوفر منه فى طلب الحسنى وادخارا لزيادة شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان تفتح فيه أبواب الجنان وتغلق فيه أبواب النيران ويصفد فيه كل مارد وشيطان فاعدوا لقدومه عدة واسألوا الله تعالى التوفيق الى ان تكملوا العدة والحذر الحذر من التفريط والاهمال والتكاسل عن صالح الاعمال فهمة الصالحين فيه القيام والصيام والكف عن فضول الكلام والسلامة من جميع الآثام والاشتغال بذكر الملك العلام وهمة الغافلين التلذذ بألوان الطعام وتضييع اوقاته بالغفلة والمنام وسيتبين لكم يوم الفصل الاوضح أى الفريقين أسلم وارجح (الهى) ان قلوبنا موقنة بصدق ماوعدت ونفوسنا طامعة بحسن ماعودت الهمتنا معرفة وجودك وعاملتنا بكرمك وجودك وزينتنا بصدق توحيدك وانطقتنا بتمجيدك وتقديسك وتحميدك واكرمتنا بتصديق محمد خير خلقك صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وجعلت حقه علينا اعظم الحقوق بعد حقك (اللهم) حسن ايماننا بالتوفيق وزين سرائرنا بالتحقيق واحمنا من المخالفة والعصيان وكفنا عن آفات الاعراض والتفريط والنسيان كما حميتنا بكرمك من دواعى الفكر الموبقة ونفحات البدع المحرقة أنت العلى العظيم المتعال الكبير الاكبر المتكبر ذو العز والجلال والكرم والمجد والكمال تحيرت العقول فى وصف جلالك وقصرت الافهام عن الاحاطة بكمالك فانت مع جبروتك وعزتك تجبر الكسير وترحم الفقير برحمتك وتعز الذليل الحقير اذا لاذ بجنابك وتغنى السائل المسكين اذا وقف ببابك فانت الملك الاعظم والمولى الاكرم وها نحن وقفنا ببابك وانت أعلم ليس فى قلوبنا احد نرغب اليه رغبتنا اليك ولا لنا ركن نعتمد عليه اعتمادنا عليك وقد اعترفت نفوسنا بالاساءة وانقطاع الحيل ووثقت قلوبنا بجميل الرجاء وحسن الامل (الهى) تفضل علينا بالقبول والاجابة وارزقنا صدق التوبة وحسن الانابة واجعلنا ممن رجع اليك فاكرمت مآبه يامن امد بعنايته اولياءه واحبابه

## الفصل الخامس عشر فى الاستعانة وذكر رمضان

الحمد لله المنفرد بالقدم والبقاء والعظمة والكبرياء والعز الذى لا يرام الصمد

الذى لا يمثله العقل ولا يحده الفكر ولا تدركه الافهام القدوس الذى تنزه عن اوصاف الحدوث فلا يوصف بعوارض الاجسام الغنى عن جميع المخلوقات فالعلوى والسفلى والانس والجن والعرش والكرسى مفتقر اليه وهو غنى على الدوام سبق الزمان فلا يقال متى كان وخلق المكان فلا يقال اين كان تبارك اسم ربك ذو الجلال والاكرام الحى العليم القدير السميع البصير المدبر الخبير المتكلم بكلام قديم ازلى لا يشبهه كلام صفاته كذاته فلا وجه للجدال والخصام ترك المعطل ماورد به النقل من صفات الكمال فخار على وجهه وهام وجهل المشبه ماشهد به العقل من صفات الجلال فهو يخبط فى الظلام وجمع المحقق بين العقل والنقل فآمن بالله واستقام وشغله عن الفكر فى ذاته الاجلال والاعظام فوجد لذة مناجاة مولاه فهجر لذيذ المنام وصحب رفقة تتجافى جنوبهم عن المضاجع رغبة فى القيام فلو رأيتهم وقد سارت قوافلهم فى حندس الظلام واحد يسأله العفو عن زلته وآخر يسأله التوفيق لطاعته وآخر يستعيذ به من عقوبته وآخر يرجو منه جميل مثوبته وآخر يشكو اليه ما يجد من لوعته وآخر شغله ذكره عن مسئلته فسبحان من أيقظهم والناس نيام (شعر)

لله ما اطيب ذاك السهاد ... وما الذ القرب بعد البعاد
وما اشد الهجر من بعدما ... قد كنت من جملة اهل الوداد
يا ناسيا للعهد عاملتنا ... ثم تعطلت بطيب الرقاد
ثم تشاغلت واين الذى ... حصلت كلا بل حرمت المراد
فاز الذى عاملنا بالرضا ... وحصل الزاد ليوم المعاد
شمر من النوم ودع مامضى ... وكن فقيرا مامضى لا يعاد

فتبارك الذى غفر وعفا وستر وكفى وعلم ماظهر وماخفى واسبغ على الكافة جميل الانعام (احمده) على جميع نعمه الوافرة الجسام واسأله حفظ نعمة الاسلام واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له اله عز من اعتز به فلا يضام وذل من تكبر عن امره وتقى الآثام واشهد ان محمدا عبده ورسوله الذى بين به طريق القوام وانزل عليه تعظيما لحقه وتشريفا وتبيينا لمنته علينا وتعريفا قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام صلى الله عليه وعلى

اله وأصحابه صلاة دائمة الى يوم الدين (فى قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين) استعينوا بقطع مفازة الآخرة والسلامة من شدائدها بالصبر لله على ما تكرهون وحبس نفوسكم عما تشتهون وأكثروا من الصلاة فانها مفتاح باب المناجاة مع المولى الرحيم وفيها راحة القلوب بمخاطبة الملك الكريم قال رسول الله ﷺ جعلت قرة عينى فى الصلاة ويقال استعينوا بالصبر على قطع شدائد الدنيا واستعينوا بالصلاة على قطع شدائد الآخرة وقال ابن عباس استعينوا بالصبر على اداء الفرائض وبالصلاة على تمحيص الذنوب وقال مجاهد الصبر هنا الصوم فمعناه استعينوا بالصوم والصلاة على نيل ما ترجون ودفع ما تخافون (كان) عيسى عليه الصلاة والسلام يقول والله انكم لن تنالوا ما تطلبون الا بترك ما تشتهون ويقال شهوة العاقل وراء فكرته فاذا عرضت له شهوة سبقتها الفكرة فى العواقب وفكرة الاحمق وراء شهوته فهو يبادر الى الشهوات غير مفكر فيما يجده من الآفات فاذا وقف يوم عرض الديوان تبين الربح من الخسران وارباب الغفلة لا فكرة لهم فى الآخرة همهم ما يأكلون وكذا ما يلبسون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون يسيرون بأعمالهم الى جهة جهنم وما ينتبهون حتى تحط الركائب على شفير الوادى أين المتأهب للاهوال أين الاعتداد لعرض الاعمال ياهذا تنظر فى المرآة اذا أردت لقاء الخلق فلم لا تنظر فى مرآة قلبك لالقاء الحق يامغترا بلهب الامل مثل اغترار الفراش أين نظر البصائر ويحك قم لتستريح فى مقعد صدق عند مليك مقتدر اسلك جادة الجد ولا تتبع الهوى فتضل ياقليل الخبرة بالطريق اطلب رفقة استغث يابعيد الدار اندب ياطريد تأسف يامهجور تعاق يامأسور أين انكسار المعتذر أين بكاء المفتقر شعر

يارا قدا فى غفلة ياقاعدا عما أمر
أين الذين استبصروا ساروا الى المولى فسر
قم فى الدجى مستغفرا وابك بدمع منهمر
وانهض الى درك العلا جدا بقلب مصطبر

أين بكاء الحزين أين تعاق المسكين اين تشمير المجتهدين اين الحنين الى احوال

السابقين يامن يحدث نفسه بالتوبة ويتوقف للتأخير آفات (شعر)

هذا زمان الصلح ما أقعدك ... عن باب من بالخير قد عودك
ترجو الرضا من غير ابوابه ... وعن طريق الرشد ما أبعدك
قم فى الدجى مستغفرا باكيا ... واطلب رضا مولاك كى يرشدك
كن راجيا مستبشرا خائفا من ... سطوة المولى تنل مقصدك
فان محوت اليوم ما سطرت ... ايدى خطاياك فما اسعدك

العجب ممن تداولته الدهور كيف لا يعتبر بمن مضى ومن ذهبت أيامه وكثرت آثامه كيف لا يتذكر من كان قبله وانقضى (دخل) قتيبة بن مسلم على الحجاج فقال له ياقتيبة انك فى سنى فانشد يقول (شعر)

اذا كانت الخمسون سنك لم يكن ... لدائك الا ان تموت طبيب
واذا امرأ قد سار سبعين حجة ... الى منهل من ورده لقريب
اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل ... خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا ان ما يخفى عليه يغيب
اذا ما مضى القرن الذى أنت منهم ... وخلفت فى قرن فانت غريب

(وكان) عيسى عليه الصلاة والسلام اذا مر بالشباب يقول يامعشر الشباب كم من زرع هلك قبل ان يدرك الحصاد واذا مر بالشيوخ يقول يامعشر الشيوخ ما ينتظر بالزرع اذا أدرك الحصاد . وقال أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه ما من شىء احب الى الله تعالى من شاب تائب . وقال كعب الاحبار ان الله تعالى يقول ياشاب كسرت شبابك وعفرت وجهك فى التراب من أجلى وعزتى وجلالى لأوتينك ثواب تسعة وتسعين صديقا . وقال يزيد بن ميسرة ان الله تعالى يقول أيها الشاب التارك شهوته المبذل شبابه من اجلى انت عندى كبعض ملائكتى . وقال عمر بن عبد العزيز اذا رأيتم الشاب يلازم المسجد فارجوا خيره . ونظر عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى غلام يتردد فى الاسحار الى المساجد وعليه جبة صوف فقال له ياغلام لقد اسرعت فقال ياامير المؤمنين ليس كل ثمر يدرج النضج (وقال ثابت البنانى) كان شاب على عهد رسول الله ﷺ يلبس ويتزين فلما مات ﷺ اجتهد الشاب وشمر فى

العبادة فقيل له لو فعلت هذا فى عهد رسول الله ﷺ لقرت عيناه بك فقال كان لى اماناان فمضى احدهما ولم يبق الا الآخر قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وقدمات ﷺ ولم يبق الا الاستغفار والاجتهاد (وفى الحديث) اذا بلغ العبد اربعين سنة ولم يغلب خيره على شره فلينح على نفسه اوليتجهز إلى النار (وفى الحديث) ما اكرم شاب شيخا لسنه الاقيض الله له عند سنه من يكرمه (ونظر) بعض الصالحين الى شيخ كبير وهو يسأل الناس فقال هذا شيخ ضيع حق الله فى صغره فضيعه الله تعالى فى كبره ويقال العبادة حسنة وهى فى الشاب احسن والمعاصى قبيحة وهى فى الشيوخ اقبح (شعر)

عصيت هوى نفسى صغيرا فعندما ... اتتنى الليالى بالمشيب وبالكبر

اطعت الهوى عكس القضية ليتنى ... خلقت كبيرا ثم عدت الى الصغر

ويقال الليالى والايام يعملان فى قطع عمرك فاعمل فيهما فان لم يكن لك كبير عمل فاجعل اجتهادك فى ترك المعاصى والحزن على التقصير (شعر)

احزن على انك لاتحزن ... ولا تسىء ان كنت لاتحسن

واضعف على الشر كما تدعى ... ضعفا عنه الخير وقد يمكن

(وكان) زين العابدين يقول لنفسه حتى متى على الدنيا اقبالك وشهواتك اشتغالك وقد وعظك القدير ووافاك النذير وانت عما يوافيك ساهى وبلذة النوم لاهى (شعر)

لرؤية شيبى صمت عن طلب الصبا ... وعيد شبابى لايعود فأفطر

ان الرجال بادروا للآجال لعلمهم ان سير المنية اعجال عرفوا ان الراحة فى المعاد فهجروا طيب الرقاد واشتغلوا بتحصيل الزاد (شعر)

ياغافلا مقبلا على امله ... تسلك سبيل العز فى مهله

كم نظرة لامرىء يسر بها ... فعاقها عنه منتهى اجله

(وفى الحديث) لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن اربع عن عمره فيم افناه وعن شبابه فيم ابلاه وعن علمه فيم عمل فيه وعن ماله فيم اكتسبه وفيم انفقه (وغضب) بعض الملوك على وزيره فاراد ان يصرفه عن خدمته ويبعده

عن حضرته فقال له الوزيران كان ولا بد فرد على ما أنفقته فى خدمتك فقال وما هو قال شبابى رده على فقد انفقته فى خدمتك فاعجب الملك ذلك ورضى عنه (ووقف) بعض الصالحين بعرفة وقال الهى وسيدى الواحد منا اذا كان له عبد وكبر فى خدمته وفى داره لا يبيعه ولا يضربه وقد كبرت فى دارك فاعتق رقبتى بجودك (وفى الحديث) من شاب شيبة فى الاسلام استحى الله أن يعذبه بنار جهنم. يامن كتابه ملآن بالذنوب استدرك امرك من الآن متى تتحدث الجيران بأنه قد تاب فلان أترى تخرج من ذنوبك قبل خروجك أترى يدرج قبيحك بالعفو قبل دروجك

(شعر) قل للزمان صلحا قد عاد ليلى صبحا
وأعذب الشرب الذى كان أجاجا ملحا

يامذنبين هذا وقت الانابه يا غافلين عن الحق وقد فتح بابه تعرضوا للقبول فهذا وقت الاجابه بكى أبوكم آدم على ذنب واحد ثلثمائة سنة فاعتبروا يا أولى الابصار كانت صعداء انفاسه تملأ مزاود المسافرين كان كلما رأى الملائكة تصعد الى السماء قال واشوقاه الى الاوطان (شعر)

لولا تذكر ايام بذى سلم وعندرامة اوطارى واوطانى
لما قدحت بنار الوجد فى كبدى ولا بللت بماء الدمع اجفانى

يا اصحاب الذنوب احذروا زلة يقول الحبيب منها هذا فراق بينى وبينك اكبر البلايا سفر الركب الى بلاد الحبيب عند مسيرهم يودعون الزمن (شعر)

ولم يبق عندى فى الهوى غير اننى اذا الركب مروا بى على الدار اشهق

يامن كان له قلب معافى فرض اذكر خطيئتك ما كان احسن قلبك وما كان اصفى شربك فاكثر على المصاب ندبك لم يبق لك الآن حيلة الا ملازمة باب الطبيب فان لم تقدر على الدواء فابك فالبكاء رأس مال الفقير يامن على ظهره اثقال من قبيح الاعمال بينك وبين العفو ان تضع الوزر عن الازر بكف الندم الشباب قد ولى والضعف قد تولى ومعول الكبير يعرقب حيطان الاجل (شعر)

اذا كنت قوت النفس ثم عجزتها فلم تلبث النفس التى انت قوتها
ستبقى بقاء الضب فى الماء اوكما يعيش ببيداء المفاوز حوتها

ياهذا بادر الزمن قبل الزمن واغتنم الصحة قبل السقم فكأن قد جاء المرتقب . جلس يونس بن عبيد يوما مع اصحابه يتحدثون ثم قام وقال مضى والله من اجلى واجلكم ساعة يامن يعد التوبة ويسوف بادر فقد فتح الباب واعدت ولائم الافراح للاحباب (شعر)

تعال قد امكن المكان واجسر على الوصل ياجبان
عجل فان الزمان غر من قبل ان يفطن الزمان

التوبة الصادقة تقطع آثار الذنب اذا صدق التائب انسى الله تعالى الملائكة ذنوبه وانسى بقاع الارض عيوبه ومحا من ام الكتاب زلاته ولا يحاسبه يوم القيامة عليها . اذا رأيت سعة الدنيا عند العصاة فاعلم انها حظهم والآخرة عند ربك للمتقين . ياغائبا عنا وهو حاضر مالك ناظر ناظر اما ترى الشوق قد قدح زنادا المبادر اما ترى دموع الواجدين تذرف على المحاجر أف لبدوى لا يطربه ذكر حاضر . يامن يطمع ان يلحق بالعاملين وهو راقد فى مهاد الغافلين فارق اوطان غفلتك فانما تصحو من سكرة فترتك تالله لو أردت المسير لما التفت الى الاوطان ولو ذقت حلاوة الخلوة بالمولى لما سكنت الى مؤانسة الخلان (عباد الله) هذا شهر رمضان الذى كتب الله عليكم صيامه وأوجب عليكم تعظيمه واحترامه واجزل الثواب لمن احيى ليله وقامه قال الله عزوجل ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون معناه لم فرض عليكم الصيام كما فرض على الامم قبلكم الصيام وقيل معناه كان رمضان فرضا على اهل الكتاب فغيروه وقوله لعلكم تتقون لعلكم تتحرزون عن العقوبة بفعل ما امرتم به قال الله تعالى قوا أنفسكم واهليكم نارا فمن عمل بطاعة الله وفى نفسه من عقوبة الله تعالى وفيه اشارة الى ان الصوم عون على التقوى فان فيه حبس النفس عما تهوى ويقال خاطبنا الله تعالى فى أول الآية باسم الايمان تعريفا بالمنة فى نعمة الاسلام وتخفيفا لما تجد النفس من ثقل الصيام وقال كتب عليكم الصيام وقال سبحانه وتعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة فاذا وفيت بما عليك وانت بالغدر معروف فكيف لا يوفى بما عنيه سبحانه وتعالى بما كتب على نفسه وهو بالكرم موصوف انت اذا وفيت بما عليك يلحقك التعب والرب سبحانه وتعالى اذا

وفى بما عليه لا يلحقه النصب ومن أوفى بعهده من الله ولا يخسر أحد على الله (روى) أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه (وروى) عن رسول الله ﷺ انه قال من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر (وفى صحيح مسلم) عن رسول الله ﷺ انه قال قال الله عز وجل كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى وانا اجزى به والصيام جنة فاذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث يومئذ ولا يسخب فان سابه احد او قاتله فليقل انى امرؤ صائم انى امرؤ صائم والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك وللصائم فرحتان يفرحهما اذا افطر فرح بفطره واذا لقى ربه فرح بصومه (قوله) الا الصيام فانه لى قيل خص الصيام بالاضافة للتشريف والاعمال كلها لله تعالى كقوله تعالى ناقة الله والابل كلها لله وان المساجد لله والبقاع كلها لله وقيل خصه لانه سر بين العبد وربه وقيل خصه بالاضافة لانه لم يتقرب به لغير الله تعالى من صنم ولا غيره وقيل فيه اشارة الى انه سبحانه وتعالى صمد لا يطعم وقيل خصه لانه لم يطلع احد على مقدار ثوابه (وفى الصحيح) عن رسول الله ﷺ انه قال اذا جاء رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار وصفدت الشياطين ومناديناد فى كل ليلة يا طالب الخير هلم ويا طالب الشر امسك (روى) عن رسول الله ﷺ انه قال من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فى الصوم فليس لله حاجة فى ترك طعامه وشرابه (وروى) كعب الاحبار ان الله تعالى قال لموسى عليه الصلاة والسلام انى آليت على نفسى ان لا ارد دعوة صائمى شهر رمضان يا موسى ألهم فى رمضان السموات والارض والجبال والطير والدواب ان يستغفروا لصائمى شهر رمضان (يا شهر رمضان) اين ارباب القيام اين المجتهدون فى جنح الظلام اين الذين كانوا يهجرون المنام ويتمنون لو كان رمضان على الدوام ذهبوا الا قليل منهم فعليهم السلام كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون قال السائب بن يزيد لما جمع عمر بن الخطاب الناس لقيام رمضان قدم أبى بن كعب وتميما الدارى يصليان بالناس فكان القارئ يقرأ بالمائتين وكنا نعتمد على العصى من طول القيام وما ننصرف

الا فى فروغ الفجر وقال عبد الرحمن بن هرمز كان القارىء يقرأ بالبقرة فى ثمان ركعات (وروى) عبدالله بن ابى بكر عن ابيه قال كنا ننصرف من قيام رمضان فنستعجل الخدم بالطعام مخافة ان يطلع الفجر (وكان) الشافعى رضى الله تعالى عنه يختم فى رمضان ستين ختمة . تعبوا والله قليلا واستراحوا كثيرا وتبوؤا من رياض الرضا مقيلا والبائس المسكين من لم يجد الى لحاقهم سبيلا والمغبون من رضى بحظه العاجل بديلا الهى انت الملك الكريم وكل معبود سواك باطل اليك رغب القاصدون وابتغوا اليك الوسائل مولاى تعطف هاعبدك خاضع وسائل احسانك واسع عميم لاينقص جودك المسائل فيك تولة القاصدون فالمسان كليل والعقل داهش ذاهل ماأسعد من قطعته عنه اليك ما طيب من خلوته بين يديك مولاى سرائرى وشكواى لديك فاعطف كرما فقد توكلت عليك انت الملك المالك تعطى وتمنع وتضر وتنفع وتخفض وترفع وتعز وتذل وتهدى وتضل وتولى وتعزل وتكشف وتسبل اذا مس العباد ضر فزعوا الى بابك وتوسلوا اليك بأحبابك وهانحن بالباب واقفون وبكرم جودك عارفون نشكو اليك مرض القلوب فأنت ممرضها ومعافيها ونسألك دواء الغفلة فقد تعافيها ونستعينك على اصلاح النفوس فقد طال تجافيها ونلتجىء اليك فى دفع شرها فاليك يلتجأ فيها كان لى وقت فعدم سافر عنى فاقدم (شعر)

وكيف التذاذى بالاصائل والضحى ... اذا لم يعد ذاك النسيم الذى هبا
ذكرت به وصلا كأن لم افز به ... وعيشا كأنى كنت اقطعه وثبا

أترى يجمع الله الشمل بعد الشتات او ترى يرجع ماقد ذهب وفات (شعر)

لاتخيب قصد من جاءك يسعى ... مالنا غيرك من يرجى ويدعى
ياغياث المستغيثين ومن يملك فى الحالين اعطاء ومنعا
عبدك المسكين اضحى سائلا واقفا على الباب يبتغى منك رجعى

(اللهم) عاف عيون افهامنا من رمد الغفلة واسلك بنا الى مرضاتك طريقا سهلة ولاتجعلنا ممن جعلت حظ العاجلة شغله يارحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## الفصل السادس عشر في الاجتهاد وذكر ليلة القدر

الحمد لله الذي زحزح هم الاولياء عن السكون الى العاجلة وشرح صدور السعداء لايثار الآجلة المنفرد بالكمال والكبرياء والجلال والبقاء والعز الذي لا نفاد له استوى على العرش من غير تكييف على عظمة وقهر وكيف يحمل العرش حامله القلوب تعرفه بصنعته والرقاب خاضعة لعزته والعقول في تعظيمه حائرة ذاهلة صفاته قديمة وتخيلات المشبهين والمعطلين باطله الحي العليم القدير السميع البصير المدبر الخبير المتكلم بكلام قديم أزلي جل عن المشابهة والمماثلة الملك الكريم الذي يغفر لمن استغفره ويقيل من استقاله ويجيب سائله اللطيف الذي جعل خواطر الالهام الى القلوب رسائله الجليل الذي غمر العباد ببره وبحار عطائه سائلة الغفور الذي يستر زلات عباده عند المساء له القريب الذي قرب احبابه فوجدوا لذة المعاملة فقلوبهم بذكره حاضرة وعيونهم في خدمته ساهرة وابدانهم من مخافته ناحلة العزيز الذي قطع المبعدين عن بابه واذلهم بأليم حجابه فهمهم عن النهوض في الخيرات متثاقلة اسكرهم الهوى فلم يجدوا لذة خطابه واصم اسماع اسرارهم فلم يزعجهم قوارع عتابه فقلوبهم بحظوظ نفوسهم متشاغلة السعيد من قربه المولى الكريم والطريد من ابعده الملك الحكيم والقلوب بسر تدبيره جاهله لا يرد على افعاله لم ولا كيف ولا ينسب في احكامه الى حيف فاقطع لسان الاعتراض وكف كف المجادله فكل ما تصوره وهمك فهو حادث مخلوق وكيف يشبه المفعول فاعله (احمده) على ما اسبغ علينا من نعمه الكاملة واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ضمن الربح الجزيل لمن عامله واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله الى امة غافلة فاستخلص من شرح للاسلام صدره بالمسالمة والمساهلة ودمر حزب الشيطان بالمكافحة والمناضلة واوضح كل مشكلة وبين حكم كل نازله واضحت شمس الايمان مشرقة ونجوم البهتان آفلة صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه صلاة دائمة متواصلة (في قول الله عز وجل يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء) الآية . انما يتبين ربح العاملين يوم المعاد وفيه تظهر آثار القرب والبعاد فمن عمل خيرا وجد جزاءه محضرا ومن عمل سوأ لقيه في كتابه مسطرا هذا الذي ازعج قلوب الخائفين واسهر عيون

العابدين الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون يعنى يعملون بالطاعات مايعملون وهم مع ذلك وجلون يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا (كان) رسول الله ﷺ يصلى بالليل حتى تورمت قدماه (وكان) يقرأ فى ورده ودموعه تقع على الارض كوكف المطر (وكان) ابراهيم عليه الصلاة والسلام يسمع لقلبه خفقان وغليان فى الصلاة هذا خوف الحبيب والخليل مع ما اعطيا من شرف المقام فالعجب كيف يطمئن قلب من اثقلت الآثام ظهره (قال) كعب الاحبار لو أن رجلا عمل عمل سبعين نبيا لاستقله يوم القيامة لما يرى من أهوال ذلك اليوم (وعوتب) بعض الصالحين فى كثرة بكائه واجتهاده فقال وما هذا فى جنب ما يلقاه الخلق من ملاقاة الاهوال وهم غافلون قد اشتغلوا بحظوظ نفوسهم ونسوا حظهم الاكبر من ربهم (وكان) بعضهم يصلى حتى اقعد وكان يصلى قاعدا ويقول عجبت للخليقة كيف ارادت بك بدلا بل عجبت للخليقة كيف استأنست بسواك وقيل لداود الطائى الا تسرح لحيتك قال انى اذا الفارغ (وكان) يشرب الفتيت وقت افطاره فسئل عن ذلك فقال بين شرب الفتيت والمضغ قراءة خمسين آية (وحج) مسروق فما نام قط الا ساجدا (وكان) السلف الصالحون اذا بلغ احدهم اربعين سنة طوى فراشه (ولما) رأت أم الربيع بن خيثم كثرة بكائه واجتهاده قالت يا بنى لعلك قتلت قتيلا فأنت خائف من ذنوبه قال نعم يا أماه قالت فقل لنا من هو لعلنا نطلب من أهله ان يسامحوك فوالله لو رأوا ما تصنع بنفسك لرحموك قال يا اماه انما هى نفسى قتلتها بتقصيرى فى حقوق الله تعالى (وصلى) على بن أبى طالب رحمه الله صلاة الصبح فلما سلم انفتل عن يمينه وعليه كآبة فمكث حتى طلعت الشمس ثم قلب يديه وقال والله لقد رأيت اصحاب رسول الله ﷺ وما أرى اليوم احدا يشبههم كانوا يصبحون شعثا غبرا صفرا قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله تعالى يراوحون بين أقدامهم وجباههم وكانوا اذا ذكروا الله عز وجل مادوا كما تميد الشجرة فى يوم ريح وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم ثم نظر الى الذين حوله وقال كأن هؤلاء باتوا غافلين (وكان) ابو مسلم الخولانى يعلق فى البيت سوطا بالليل ويقف للصلاة كلما فتر ضرب نفسه ويقول انت احق بالضرب من دابتى (وقال) ابو حازم أدركت اقواما ما كان رمضان يزيد فى اجتهادهم

شيأ ولاينقص خروجه من اجتهادهم شيأ (قال) بعض الصالحين بينما انا سائر فى بعض جبال بيت المقدس اذ هبطت واديا واذا برجل قائم بين شجرتين يردد هذه الآية يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الآية فلم يزل يرددها حتى صاح ووقع مغشيا عليه ثم افاق بعد ساعة وهو يقول اعوذ بك من مقام الكذابين اعوذ بك من اعمال البطالين اعوذ بك من اعراض الغافلين خشعت لك قلوب الخائفين واليك رفعت اعمال المقصرين ولعظمتك ذلت رقاب العارفين ثم نفض يديه وقال مالى وللدنيا عليك يادنيا يابناء جنسك واللاهين فى نعمتك الى محبيك اذهبى واياهم فاخدعى قال فناديته ياعبدالله انا منذ اليوم منتظر ان تتفرغ لى فقال كيف يتفرغ من يبادر الاوقات وتبادره ويخاف سبقها بالموت على نفسه أم كيف يتفرغ من ذهبت ايامه وبقيت اثامه ثم قرأ وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون ثم صاح صيحة اشد من الاولى وخر مغشيا عليه فقلت قد خرجت روحه فدنوت منه فاذا هو يضطرب ثم افاق وهو يقول من انا وما خطرى هب لى اساءتى بفضلك وجلانى بسترك واعف عن ذنوبى بكرم وجهك فقلت له بالذى ترجوه الا ما كلمتنى فقال عليك بكلام من ينفعك كلامه ودع كلام من اوثقته آثامه انى فى هذا الموضع ماشاء الله كانى اجاهد ابليس ويجاهدنى فلم يجدعونا على ليخرجنى مما انا فيه الا بك اليك عنى فقد شغلتنى ومالت الى حديثك شعبة من قلبى قال فانصرفت وتركته (وقال) بعضهم بينما انا فى بعض اسفارى اذ ملت الى شجرة لاستريح تحتها فاذا انا بشيخ قد اشرف على وقال ياهذا قم فان الموت لم يمت ثم هام على وجهه فسمعته يقرأ كل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون ثم قال يامن لوجهه عنت الوجوه بيض وجهى بالنظر اليك واملأ قلبى بمحبتك فقد آن لى الحياء منك وحان لى الرجوع عن الاعراض عنك ولولا حلمك لم يسعنى اجلى ولولا عفوك لم ينبسط املى شمروا والله حتى وصلوا ووقفوا بالباب حتى قبلوا فطوبى لهم اذا وجدوا ما عملوا ما اقل ما تعبوا وما ايسر ما نصبوا وما كان الا القليل حتى نالوا ما طلبوا (وكان) عمر وعائشة رضى الله عنهما يسردان الصوم وصام أبو طلحة أربعين سنة (وكان) عمر بن الخطاب رضى الله عنه لايفطر فى الحضر وصام منصور بن المتعمر اربعين سنة وقام ليلها لاحت لهم راية السعادة فجدوا

وعظوا بعد السفر فاعدوا فلامهم على الجد من لا يعلم وعاتبهم على الاجتهاد من لا يفهم قيل لميسرة القيسى ارفق بنفسك قال من الرفق اتيت وقيل للاسود بن يزيد ارفق بنفسك فقال الرفق اردت (شعر)

جد الزمان وانت تلعب والعمر فى الاشياء يذهب
كم كم تقول غدا اتوب والله ان الموت اقرب

(وكانت) حبيبة العدوية اذا صلت العشاء قالت الهى قد وقفت الملوك ابوابها وحجبتها حجابها وكل حبيب خلا بحبيبه وهذا مقامى بين يديك ثم تصلى حتى يطلع الفجر وقالت امرأة من المتعبدات رأيت كانى دخلت الجنة فى المنام فاذا اهل الجنان وقوف على أبوابهم ينتظرون فقلت ما بالكم قالوا ان الجنة قد زخرفت لقدوم شعوانة فقلت لهم هى اختى والله بينما نحن كذلك اذ اقبلت على نجيب لها يطير بها فى الهواء فلما رأيتها قلت يا اختى اما ترين مكانى فاسألى ربك ان يلحقنى بك فتبسمت وقالت لم يأن قدومك ولكن احفظى عنى اثنين أرمى الحزن قلبك وقدمى محبة الله على هواك ولا يضرك متى مت (وكانت) معاذة تحيى الليل كله فاذا غلبها النوم تقول يا نفس امامك ولو متى لطالت رقدتك على حسرة او سرور (وكان) لابن سيرين ابنة تعبدت فاقامت فى مصلاها خمس عشرة سنة لا تخرج الا للوضوء (وكانت) عجوز تحيى الليل كله وكانت مكفوفة النظر فاذا كان وقت السحر نادت بصوت محزون اليك قطع العابدون دجا الليالى يستبقون الى فضل مغفرتك والى رحمتك فيك يا الهى اسألك لا بغيرك أن تجعلنى فى زمرة السابقين وان ترفعنى فى درجة المقربين وان تلحقنى بعبادك الصالحين فأنت ارحم الرحماء واعظم العظماء واكرم الكرماء يا كريم ثم تخر ساجدة فيسمع لها وجد ثم لا تزال تبكى وتدعو حتى يطلع الفجر (وقال) يحيى بن بسطام دخلنا على شعوانة نأمرها ان ترفق بنفسها ونلومها فى كثرة بكائها فبكت ثم قالت والله لوددت انى ابكى حتى ينفد دمعى ثم ابكى دما حتى لم يبق قطرة دم فى جارحة من جوارحى وانى لى بالبكاء فلم تزل تقول وانى لى بالبكاء حتى غشى عليها (وقال) عبد الرحمن بن الحسن كان لى جارية رومية وكنت احبها فكانت ليلة نائمة الى جنبى فانتبهت فلم اجدها فطلبتها فاذا هى ساجدة وهى تقول اللهم بحبك

لى فاغفر لى ذنوبى فقلت لها كيف تقولى بحبك لى فقالت يامولاى بحبه لى اخرجنى من الشرك الى الاسلام وبحبه لى ايقظنى وكثير من خلقه نيام (وقال) أحمد بن على استأذنا على عفيرة فحجبتنا فلازمنا الباب فلما علمت ذلك قامت وهى تقول اللهم انى اعوذ بك ممن جاء يشاغلنى عن ذكرك ثم فتحت لنا الباب فدخلنا وسألناها الدعاء فقالت جعل الله قراكم المغفرة ثم قالت مكث عطاء السلمى اربعين سنة لا يرفع بصره الى السماء فحانت منه يوما نظرة فخر مغشيا عليه فيا ليت عفيرة اذا رفعت طرفها الى السماء لم تعص الله ويا ليتها اذا عصت الله لم تعد (وقال) بعضهم كانت لى جارية حبشية فمضت معى الى السوق فى حاجة فاقعدتها فى مكان وقلت لها اقعدى حتى آتيك ومضيت فقضيت اربى ثم اتيت المكان فلم أجدها فأتيت الى منزلى مغضبا فلما رأتنى قالت ياسيدى لا تغضب انك تركتنى فى مكان لم أجد من يذكر الله تعالى فيه فخفت أن يخسف الله تعالى بهم ويخسف بى معهم فقلت لها ان هذه الامة قد أمنها الله تعالى من الخسف فقالت ياسيدى انما خفت ان يخسف بالقلوب فنزل من الاستقامة فقلت لها اذهبى فأنت حرة لوجه الله تعالى قالت ياسيدى حررتنى من خير كثير كنت أعبد ربى واخدمك فيكون لى اجران (وقال) العلاء السعدى كانت لى بنت عم تسمى بريرة تعبدت وكانت تكثر القراءة فى المصحف وتبكى حتى ذهب نظرها فدخل بنو عمها عليها فقالوا لها كيف اصبحت يا بريرة فقالت اصبحنا اضيافا مقيمين فى ارض غربة ننتظر متى ندعى فنجيب فقلنا لها كم هذا البكاء قد ذهبت عيناك منه فقالت ان يكن لعينى خير عند الله ثم يضرهما ما ذهب منهما فى الدنيا وان كان لهما عند الله شر فسيزيدهما بكاء اطول من هذا فقال القوم قوموا بنا فهى والله فى شئ غير الذى نحن فيه (وكانت) معاذة اذا جاءها النهار تقول هذا اليوم الذى اموت فيه فتصوم فاذا جاء الليل تقول هذا ليلى الذى اموت فيه فلا تزال تصلى الى الصبح فكانت لا تزال صائمة قائمة (وكانت) رابعة تقوم الليل كله ثم تقول ان شكر قيام هذه الليلة ان اصوم غدا وصامت زحلة حتى انقلب لونها وصات حتى اقعدت وبكت حتى ذهب بصرها وكانت تبكى وتقول ياليتنى لم اكن شيأ مذكورا (وكانت) شعوانة تقول الهى ما اشوقنى الى لقائك واعظم رجائى لجزائك وانت الكريم الذى لا يخيب لديك امل الآملين ولا يبطل عندك شوق المشتاقين الهى ان كان قد

دنا اجلى ولم يقربنى عملى فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسائل علالى فان غفرت فمن اولى منك بذلك وان عذبت فمن اعدل منك هنالك الهى قد جرت على نفسى فى النظر لها وبقى لها حسن نظرك فالويل لها ان لم يسعدها حسن نظرك الهى انك لم تزل بى برا ايام حياتى فلا تقطع عنى برك بعد وفاتى ولقد رجوت من تولانى فى حياتى باحسانه ان يسعفنى عند مماتى بغفرانه الهى ان كانت ذنوبى قد اخافتنى فان محبتك لى قد اجارتنى فتول من امرى ما انت اهله وعد بفضلك على من غره جهله الهى لو اردت اهانتى لم تهدنى ولو اردت فضيحتى لم تسترنى فتعنى بماله اهديتنى وادم لى ما به سترتنى الهى ما اظنك تردنى فى حاجة افنيت فيها عمرى الهى لولا ذنوبى ما خفت عقابك ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك ثم لا تزال تبكى حتى يطلع الفجر. واحسرتا اشخاص النساء حوت هممهم الابطال ونحن رجال فاين عزم الرجال كأنا تقاسمنا الذكورية فلهن المعانى ولنا الصور ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم واقوالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم فيا ليتنا حيث قصرنا عن اعمال الابرار سلمنا من كسب الآثام والاوزار (قال) رجل لبعض الصالحين انى عاجز عن قيام الليل فقال يا اخى لا تعص الله بالنهار وقال الفضيل اذا لم تقدر على الصيام والقيام فاعلم انك محروم بذنوبك فالجاهل يظن ان هؤلاء عبدوا الله بصحة الاجسام وقوة الاركان لا والله ولكن عبدوا الله بصحة القلوب وقوة الايمان اكلهم اكل المرضى ونومهم نوم الغرقى وكلامهم كلام الخائف بين يدى ملك جبار وعزمهم عزم الهارب من سيل مغرق او نار محرق (وكان) عمر ان بن عبيد يأتى القبور ويقول يا اهل القبور طويت صفحكم ورفعت اعمالكم ويقف يصلى حتى يطلع الفجر ويرجع فيصلى الصبح فى جماعة (وكان) ابو حنيفة ليس له فراش للنوم (وكان) العلاء بن زياد يختم كل ليلة ختمة فنام ليلة فرأى شخصا فى المنام اخذ بمقدم رأسه وهو يقول قم يا ابن زياد فاذكر الله يذكرك فما زالت تلك الشعرات قائمة حتى لقى الله ونام (بعض الصالحين) على فراش لين فنام عن ورده فحلف ان لا ينام على فراش ابدا هذه اوصاف السادة الاتقياء هذه احوال الفائزين السعداء فانك لا تحن الى احوالهم ولا تحرك غصن همتك رياح اقوالهم فقل قلبك رومى عسر الفتح يا عجبا قلبك

فى الخبر أضعف من بعوضة وعند الوعظ أقسى من الصخر وحرصك أحر من الجمر وهمتك أبرد من الثلج فما الذى انتفعت بموهبة العقل

(شعر)

وأنت كدود القز ينسج دائما ويهلك غما وسط ما هو ناسجه

(عباد الله) ان شهر رمضان مضمار السابقين وغنيمة الصادقين فيه تضاعف الاعمال وتحط الاوزار الثقال وفيه يجاب السؤال ويغفر للمستغفر ويقال وفضائله فوق ما يقال فهو غرة الدهور ومصباح الشهور ثم فيه ليلة القدر التى جعل الله عبادتها خيرا من عبادة الف شهر (روى) فى الصحيح أن رسول الله ﷺ اراه الله تعالى اعمار الناس قبله فكانه تقاصر اعمار امته ان لا يبلغوا من العمل مثل الذى بلغ غيرهم فى طول العمر فأعطاه الله تعالى ليلة القدر خير من الف شهر والف شهر ثلاث وثمانون سنة وثلث قال الله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر يعنى القرآن انزل من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا فى ليلة القدر ثم نزل مفرقا على النبى ﷺ فى عشرين سنة قاله ابن عباس وهو معنى قوله تعالى انا انزلناه فى ليلة مباركة هى ليلة القدر على الصحيح وهو معنى قوله تعالى شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن ومجموع هذه الآيات يدل على ان ليلة القدر فى رمضان خلافا لمن قال هى فى سائر السنة (وروى) ان صحف ابراهيم عليه الصلاة والسلام انزلت اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة بعدست من رمضان وانزل الانجيل بعد ثلاث عشرة من رمضان وانزل الزبور بعد ثمان عشرة وانزل القرآن بعد اربعة وعشرين من رمضان وقوله تنزل الملائكة والروح فيها الروح هنا جبريل عليه الصلاة والسلام قال ابن عباس رضى الله عنهما اذا كانت ليلة القدر امر الله تعالى جبريل عليه الصلاة والسلام ان ينزل الى الارض فينزل ومعه سبعون الف ملك سكان سدرة المنتهى ومعهم الوية من النور فيركزون الويتهم فى المسجد الحرام ومسجد النبى ﷺ وبيت المقدس وطور سيناء ويركز جبرائيل عليه الصلاة والسلام لواءا خضر على ظهر الكعبة ثم تتفرق الملائكة فى اقطار الارض فيدخلون على كل مؤمن يجدونه فى صلاة او ذكر ويسلمون عليه ويصافحونه ويؤمنون على دعائه ويستغفرون لجميع امة محمد ﷺ ويدعون لهم حتى يطلع الفجر فهو قوله تعالى

تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر اى بكل امر قدره الله تعالى فى تلك السنة الى مثل تلك الليلة ولذلك سميت ليلة القدر وقيل سميت بذلك لعظم قدرها سلام من الملائكة على المؤمنين هى الى طلوع الفجر وقيل سلام اى سلامة وبركة للمؤمنين قال مجاهد عبادتها خير من عبادة الف شهر صيام وقيام اذا لم يقم صاحبها ليلة القدر ثم ان الله تعالى اخفى ليلة القدر فى رمضان ليجتهد المؤمنون فى سائر الشهر كما اخفى الولى بين المؤمنين ليحترم الجميع واخفى الساعة فى يوم الجمعة ونحو ذلك ويقال هى فى النصف الآخر وقيل فى العشر الآخر وقيل هى تدور فيه (وفى الصحيح) عن أبى سعيد الخدرى ان رسول الله ﷺ قال اريت هذه الليلة ثم انسيتها وقد رأيتنى اسجد من صبيحتها فى ماء وطين فالتمسوها فى الاواخر والتمسوها فى كل وتر قال ابو سعيد فامطرت السماء فابصرت عيناى رسول الله ﷺ انصرف وعلى جبهته وانفه اثر الماء والطين من صبح ليلة احدى وعشرين (وروى) ابن عمر عن رسول الله ﷺ انه قال تحروا ليلة القدر فى السبع الاواخر (وفى الصحيح) التمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة ومعنى التماسها طلب بركتها بالقيام فيها التماسا لتضعيف اجرها واجابة الدعاء فيها فمن قام رمضان كله فقد وجدها وليس المراد رؤية شئ من خوارق العادة فيها (وقيل) لابى بن كعب ان اخاك ابن مسعود يقول من يقم الحول يصب ليلة القدر فقال رحمه الله تعالى اراد أن لا يتكل الناس اما انه قد علم انها فى رمضان وانها فى العشر الاواخر وأنها ليلة سبع وعشرين ثم حلف انه لا يستثنى انها ليلة سبع وعشرين وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله ﷺ اذا دخل العشر الاواخر احيا الليل وأيقظ اهله وجد وشد المئزر (اللهم) اجعلنا بطاعتك عاملين وعلى ما يرضيك مقبلين والبسنا ملابس الصادقين ولا تحرمنا بذنوبنا خير ما عندك يا ارحم الراحمين

## الفصل السابع عشر فى الفرح ووداع رمضان والعيد

الحمد لله العليم الحليم الغفار العظيم القهار الذى لا تخفى معرفته على من نظر فى بدائع مملكته بعين الاعتبار القدوس الصمد المتعالى عن مشابهة الاغيار الغنى عن جميع الموجودات فلا تحويه الجهات والاقطار الكبير الذى تحيرت العقول فى وصف كبريائه فلا تحيط به الافكار الواحد الاحد المنفرد بالخلق والاختيار

الحى العليم الذى تساوى فى علمه الجهر والاسرار القادر الذى أوجد بقدرته جميع الاعيان والآثار المقدم المؤخر فبمشيئته تصاريف الاقدار السميع البصير الذى لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار المتكلم بكلام قديم أزلى لانفاد له ولو ان الشجر أقلام والمداد البحار الملك الذى يولى ويعزل ويأخذ ويمهل ويكشف ويسبل وربك يخلق مايشاء ويختار الذى زين قلوب العارفين بودائع الاسرار وأوضح لهم السبيل بما لاح لهم من الانوار واستنهض عزائمهم الى المسارعة والبدار فوقفوا على أقدام الجد بوصف الاقتدار وتذللوا بين يدى مولاهم بألسنة الاعتذار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار أيطمع الغافل المسىء ان يلحق بالمتقين الابرار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار من اقصاه ما لكه كيف ينجيه الحذار من طرده مولاه كيف يلذله القرار ومن أغلق دونه الباب كيف يمكنه الاصطبار كيف لايتأسف الملهوف ويسبل الدموع الغزار ويعفره خده فى الثرى ويستقبل الجدار ويندب زمانه الماضى ويتلمح الآثار ويتقطع أسفا على تخلفه عن رفقته السابقين وهو يتململ باطلال الديار فعسى ان يجيره المولى بلطفه فهو مقيل العثار هو الله الذى لااله الاهو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار (أحمده) حمد معترف بتقصيره بذل وانكسار واشهد ان لااله الا الله وحده لاشريك له شهادة من شهد بها يفوز فى دار القرار واشهد ان محمدا عبده ورسوله الذى اصطفاه واجتباه من صميم مضر بن نزار وابتعثه وقد سطع من غى الكفر غبار ولمع من نيران الشرك شرار فاخمد لهب البهتان بغيثه المدرار واوضح ببيناته معالم الايمان وانار صلى الله عليه وعلى اله واصحابه الطاهرين الاخيار الذين اثنى الله تعالى عليهم بقوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجرى من تحتها الانهار (فى قول الله تعالى ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم) الآيات. جعل الله تعالى فى قارون عبرة لمن اعتبر بالدنيا وموعظة لمن تأمل فى الدنيا فلا يشتغل بالنعيم عن المولى (كان) قارون مؤمنا بموسى عليه الصلاة

والسلام فلما كثر ماله واتسع حاله كفر وطغى وتفرعن وبغى (وكان) قد آتاه الله تعالى اموالا كثيرة ومنع حق الله تعالى فيها وكل مالم يؤد فيه حق الله تعالى فهو كنز قال الله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله الآيات (وكانت) مفاتيح خزائن قارون من جلود (وكانت) تثقل على عدد كثير من الرجال فلا يقدرون على حملها ومعنى تنوء تثقل والعصبة ستون رجلا وقيل أربعون وقيل فوق العشرة (اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين) أى لا تفرح بالدنيا وزهرتها فرحا يلهيك عن طاعة الله ان الله لا يحب من شغله الفرح عن اوامر الله قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون معناه افرحوا بما آتاكم الله تعالى من الايمان والاسلام والقرآن والتوفيق والاحسان وبما وعدكم به من الفوز والامان والنعيم والرضوان فهو خير مما تجمعون من حطام هذه الدار وتكنزون من اموال فاقيتها البوار (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) اطلب بما أعطاك الله تعالى من النعيم ثواب الآخرة فاستعن بنعم الله تعالى على طاعة الله عز وجل ولا تمنع حق الله عز وجل ولا تنس شكر منة الله عز وجل ولا تنس نصيبك من الدنيا) أى لا تترك العمل الصالح فيفوتك حظك من دنياك فخر وجك منها بغير زاد فحظ العبد من الدنيا ما اقتنى من عمل صالح قاله ابن عباس ومجاهد وابن زيد وقيل معناه تنعم من دنياك بالحلال من مالك فهو حظك العاجل الذى لا وزر عليك فيه قاله الحسن وقتادة ومالك بن أنس (واحسن كما احسن الله اليك) احسن الى نفسك بأن تستعملها بطاعة الله تعالى فيحصل لها ما يبقى واحسن الى الناس بالبر والصدقة فتكبر قارون فظن انه مستحق لما اعطى بفضل علمه بالتوراة وهو قوله انما اوتيته على علم عندى وهذا وصف المغرور الذى يمن على الله بعمله او بعلمه قال الله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين فخرج على قومه فى زينته فازداد الراغبون فتنة وتمنوا مثل ماله ولم يغتر الزاهدون بكثرة ماله نظرا الى مآله وقالوا ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وهكذا من تذكر المآل مال عن حب المال (قال) معروف الكرخى عند موته تصدقوا بقميصى لاخرج من الدنيا كما دخلتها وكان لا يملك غير قميصه

(كانت) الدنيا اذا قدمت الى الصالحين قدموها الى الآخرة نظروا فى ربع الزرع فبذروا حب القوت (بعث) عمر بن الخطاب الى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنهما بأربعمائة دينار ففرقها فى وقتها (وبعث) مثلها الى معاذ ففرقها فقالت له زوجته نحن والله مساكين فاعطنا وكان قد بقى دينار ان فرمى بهما اليها وتصدق أبو بكر رضى الله تعالى عنه بماله كله وعمر بنصف ماله (كان) القوم يبيعون الفانى بالباقى وانتم بالعكس هيهات هيهات كيف تطلب الشجاعة من جبان (شعر)

واذا بعثت الى السباخ برائد تبغى الرياض فقد ظلمت الرائدا

هيهات لم يرد المطالب نائم عنها ولا تصل الكواكب راقدا

تصوم وتصلى بلا قلب ان الله لا ينظر الى صوركم : تحر فى الظلام وقت خلوة وقل بلسان الافلاس والذلة يا أيها العزيز مسنا واهلنا الضر . من لم يقدر على قيام الليل فليبك على نفسه بالنهار لابد من بكاء وحرقة اما فى زاوية العبادة واما فى هاوية الطرد اما ان يحرق قلبه بنار الندم والاسف او بنار الشوق والشغف والا فنار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون . يا مولا بالقيام مستلذا بالمنام قم فقد فاتك يا مغبون ارباح الكرام وخلوا دونك بالمولى وفازوا بالمرام وكذا يسبقك القوم الى دار السلام (روى) ان الرجل اذا قام الى الصلاة يقول الله تعالى للملائكة ما حمل عبدى على ان قام يصلى من بين اهل داره فيقولون يا ربنا خوفته امرا نخافه ورجيته امرا فرجاه فيقول الله تعالى اشهدوا انى قد امنته مما يخاف واعطيته ما يرجوا وقال ثابت البنانى اذا نمت ثم استيقظت ثم ذهبت لانام فلا نامت عيناى ابدا (وكان) السلف الصالحون يسمع فى بيوتهم بالليل دوى كدوى النحل (ومكث) سرى السقطى تسعين سنة ما وضع جنبه على الارض لوذاق الغافل السهر فى الظلام او سمع الجاهل حس الصالحين عند القيام وقد نصبوا الاقدام وهممهم تجرى الى القيام وتلذذوا باشرف الذكر واحلى الكلام وضربوا على شاطىء انهار الصدق الخيام وجهزوا مطايا الشوق الى دار السلام وسرت قوافلهم واهل الغفلة نيام وشكوا الى محبوبهم ما يلقون من الغرام ووجدوا من لذة الانس ما لم يخطر على الاوهام فاذا اصبحوا البسوا اجلباب الصيام وصاروا الهواجر بهجر الشراب

وترك الطعام وتدرعوا بدروع التقوى حذرا من الآثام فلاجلهم تسقى الارض الغيث وبدعائهم تجرى الغمام وبهم يسامح العصاة ويصفح عن الاجرام فاذا جاءهم الموت طاب لهم كأس الحمام واذا دفنوا فى بقعة افتخرت بتلك العظام فعلى الدنيا من بعدهم السلام فسبحان من طهرهم من الادناس واصطفاهم لخدمته من بين الناس وسقاهم من شراب حبه اطيب كاس ماشربها صادق حتى كاس نزع من قلوبهم الغل وآواهم فى ميدان الصدق فى اوسع ظل وحماهم من العدو اذا ضجى يستزل . منعك والله قيد الهوى حتى سار القوم وحبسك عن لحوقهم لذيذ النوم وقطعك فانى الشهوات عن ثواب الصوم والصلاة عندك أثقل من الصخر على الصدر والزكاة عندك أثقل من جبل احد وصدرك فى حديث الدنيا أوسع من البحر وفى العبادة أضيق من تسعين عقدة . انت فى شهواتك اجرى من جواد وفى العبادة ابطأ من اعرج . يامن هو على نجاته أقوم من فهد ضيعت وقتا انفس من الدر اذا عرضت لك خطيئة وثبت كالنمر واذا لاحت لك طاعة زغت كالثعلب تستعمل فى معاملتك غدر الذئب وتقدم على حظك اقدام الاسد وتخطف الامانة اختطاف الحدأة وما هذا وصف الصالحين (قال) سلمان الفارسى كل ماشغلك عن الله تعالى من أهل اومال فهو عليك مشؤم قال بعضهم رأيت شابا جميل الصورة عليه عباءة خشنة فقلت ما هذا اللباس قال ياأخى انما انا عبد البس كما يلبس العبيد فان اعتقنى سيدى لبست ماشئت (وقال) عيسى عليه الصلاة والسلام لاصحابه الحق اقول لكم انه من طلب منكم الفردوس فلا كل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب كثير فى حقه (ودخل) رجل على ابى ذر فوجد بيته فارغا فكلمه فى ذلك فقال ان لنا بيتا الصالح من هذا فما كان عندنا من صالح متاعنا وجهناه الى ذلك البيت فقال الرجل لابد لكم فى هذا البيت من شىء فقال ان صاحب هذا البيت لايدعنا فيه (وروى) ان جبريل عليه الصلاة والسلام أتى النبى ﷺ فقال ان ربك يقول لك ان احببت ان اجعل لك هذه الجبال ذهبا تكون معك حيثما كنت فقال النبى ﷺ ياجبريل ان الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له ولها يجمع من لاعقل له فقال يامحمد ثبتك الله بالقول الثابت (وقيل) لمحمد بن واسع لم لاتدخل على السلطان فقال لان اتقى الله مؤمنا

مهز ولاخير من أن القاه منافقا سمينا (وفى) صحف ابراهيم عليه الصلاة والسلام يادنيا ماأهونك على الابرار الذين تصنعت لهم وتزينت انى قذفت فى قلوبهم بغضك والصدود عنك ماخلقت خلقا اهون على منك كل شأنك صغير والى الفناء يصير انى قضيت عليك يوم خلقتك ان لاتدومى لاحد ولا يدوم لك احد وان بخل بك صاحبك وشح عليك طوبى للابرار الذين أطاعونى من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم ماهم عندى من الجزاء اذا وفدوا الى من قبورهم النور يسعى امامهم والملائكة حافون بهم حتى ابلغهم مايرجون من رحمتى (قال) لقمان لابنه يابنى ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيه ناس كثير فلتكن فيه سفينتك تقوى الله تعالى وحشوها الايمان بالله وشراعها التوكل على الله لعلك ناج ولا اراك ناجيا (وقال) الامام مالك بن أنس رضى الله عنه حب الدنيا يخرج حلاوة الايمان من القلب قيل لبعضهم ان فلانا كان عابدا زاهدا ثم رجع الى الدنيا فقال لاتعجب ممن رجع واعجب ممن يستقيم وقال حاتم الاصم الدنيا مثل ظلك ان تركته تراجع وان تبعته تباعد (وكان) العلماء بعضهم يكتب لبعض من عمل لآخرته كفاه الله امر دنياه ومن اصلح سريرته اصلح الله علانيته ومن اصلح مابينه وبين الله تعالى اصلح الله مابينه وبين الناس وقال عمر بن عبد العزيز الدنيا عدوة اولياء الله وعدوة اعداء الله اما اولياء الله تعالى فغمتهم واما اعداء الله تعالى فغرتهم (عباد الله) من رأى تصرف الدهر انتبه أما فى القبر عبر واعجبا لمن اشفق ان ينفق ماله وقد ضاق عمره (وكان) رجل يبيع الثلج فبقى عنده شىء كاسد فجعل ينادى ويقول ارحموا من يذوب رأس ماله . يامضيعا اوقاته بالكسل متى كان الفقير كسلان فلا وجه للغنى . ياهذا تبيع قيام الليل بزيادة لقمة شربت كاس النعاس ففاتك رفقة تتجافى جنوبهم عن المضاجع فخرج على توقيع قصتك عند السحر رضوا بان يكونوا مع الخوالف والله لو بعت لحظة فى خلوة بما يملك قارون فى عمر نوح لكنت مغبونا خسرانا . يامن اختار علينا ما لا قدر له عندنا . ياليتك بعتنا بشىء اقبل فانى مقبل عليك ان رمت طلبى فاطلبنى عندك ويسعنى قلب عبدى المؤمن . ياهذا الاضرر يلحقنا فى معاصيك انما المطلوب سلامتك ولا نفع لنا من طاعتك انما المقصود كرامتك من محبتنا

لك أزمنا الفرائض ومن غيرتنا عليك حرمنا عليك الفواحش كم ندعوك وتأبى الا الهجر ونحن نحسن اليك وتأبى الا الغدر فلا العهد رعيت ولا بالتقويم استويت . ياهذا تهيأ لسماع المواعظ بحضور قلبك ينفعك ما تسمع اذا فاض النهر ولم تحفر ساقية الى زرعك لم يصل الماء اليه يا نائما طول الليل اذا أصبحت فزر أهل السهر واسئلهم عما جرى لهم في وقت السحر فاذا املوا عليك ما كان فاكتبه في صحيفة خدك بمداد دمعك . ياسوق الاكل أين ارباب الصيام يافراش النوم أين حراس الظلام درست المعالم وقوضت الخيام فعلى اطلالهم مني السلام يانائما في سفينة الامن لا تنظر الى سكونك فانما يسار بك وانت لا تشعر (كتب) الاوزاعي الى بعض اخوانه اعلم ياأخي انه قد احيط بك من كل جانب وانت يسار بك في كل يوم وليلة مرحلتين فاحذر الله والسلام (ذكر الفرح) عباد الله ان الفرح بفضل الله ورحمته هو السرور وان الفرح بالحظوظ العاجلة هو الغرور فاشكروا نعمة الله تعالى على ما يسر لكم من صيام رمضان واعطاكم من نعمة الايمان فقد امركم بذلك من ينوره يهتدي المهتدون فقال تعالى ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون (وودعوا) شهر رمضان بكثرة الاستغفار من التقصير والعزم على دوام الجد والتشمير ألا وان من كان يعبد محمدا فمحمد قد مات ومن كان يعبد رب محمد فان رب محمد حي لا يموت فان رمضان قد تهيأ للرحيل ولم يبق منه الا القليل بل بقي منه سبع ليال وقد فاز المجتهدون بالنوال وقد بقي منه ليلة أو ليلتين وقد صار أثرا بعد عين بقيت منه ليلة واحدة وقد اقتسم العاملون فوائده بقي منه بقية هذا اليوم وكأنه طيف زار في النوم فلقد كان للمتقين روضة وأنسا وللغافلين قيدا وحبسا كان نزهة للابرار وقيدا للاشرار فطوبى لمن حل فيه عقدة الاصرار وحل في روضة التقوى في منزل الافتقار

أي شهر قد تولى ياعباد الله عنا
حق ان نبكي عليه بدماء لو عقلنا
كيف لا نبكي لشهر مر بالغفلة عنا
ثم لا نعلم انا قد قبلنا أو طردنا
ليت شعري من هو المحروم والمطرود منا

ومن المقبول ممن صام منا فيهنا
كان هذا الشهر نورا بيننا يزهر حسنا
فاجعل اللهم عقبا لنا نورا وحسنا

يا اخوان شهر رمضان عليكم بالاجتهاد فى باقيه وتلافوا تفريطكم ما أمكن تلافيه فكم متأهب ليوم فطره فيصبح يوم العيد فى قبره قد فارق الاخوان وعدم الخلان أين الذين كانوا معكم فى عيدكم الماضى فذهبوا وأين الذين كانوا فى مثل هذا العيد قد فرحوا وطربوا أملوا أملا شديدا وتوهموا البقاء فبنوا مشيداً فاختطفهم ريب المنون فأبلى منهم ما كان جديدا وسيعاينون لفراقه كأساً من المذاق فكم بين من يرعى رمضان كأنه حبيب زار بعد طول بعاد وطيف خيال ألم فى طيب سهاد فقد شغله أنسه بحبيبه عن الانام فهو يتمنى لو كان على الدوام قد هجر فيه لذيذ المنام ولزم الوقوف فى حندس الظلام وآخر يرى رمضان موسما لنيل الشهوات وبعد أيامه استعجالا لأوقات البطالات وآخر قد فرط فى الانابة والتوبة وقصر عن الاجابة والاوبة فازداد برمضان وزرا على وزره واكتسب بأيامه خسرا على خسره ولم يتزود منه ليوم حشره ورضى بابعاده وهجره والسعيد فى يوم العيد يتذكر الوعد والوعيد ويطلب من مولاه المزيد فهو يوم يتفضل فيه الملك المجيد بعتق الاماء والعبيد (وروى) ان الله تعالى يقول للملائكة اذا اجتمعوا لصلاة العيد يا ملائكتى ما جزاء من وفى عمله فيقولون ربنا يوفى اجرته فيقول أشهدكم يا ملائكتى انى قد غفرت لهم (قال) الفراء انما سمى العيد عيداً لعود السرور فيه لكن شتان ما بين سرور وسرور (قوم) سرورهم بمولاهم ونعيمهم وقوفهم على بساط نجواهم قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون (وقوم) سرورهم بدنياهم الباطلة ونعيمهم بحظوظهم الزائلة كلا بل تحبون العاجلة فاذا رأيت يوم العيد خروج الناس من الدور فاذكر خروج الاموات من الاجداث يوم النشور وآخر يتزين بأفخر ثيابه وآخر حزين لأجل مصابه وآخر يتعطر بأطيب الروائح وآخر يسمع فى داره النوائح وهم ما بين ماش وراكب ومصحوب وصاحب ومطلوب وطالب وكذلك يخرجون يوم القيامة واحدا يأتى فرحا مسرورا وآخر يدعو ويلا وثبورا ويوم نحشر المتقين

الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا واذا رأيت أنواع الخلائق الى الفضاء قد برزت فاذكر نشر الاعلام للسعداء اذا سارروا الى دار السلام واذا رأيت الخلائق قد اجتمعت وللأذان قد استمعت فاذكر وقت الوقوف بين يدى المنتقم الديان اذا شخصت الابصار وصغت الآذان وخشعت الاصوات للرحمن واذا رأيت تفرق الناس من المصلى كل يذهب الى منزله ومأواه فاذكر يوم يصدر الناس اشتاتا عن مورد القيامة كل الى محله ومثواه ليس الطيب فى العيدين تطيبا بريح العود وانما الطيب ان تتوب فلا تعود وتتعرى من لباس السمعة والرياء وتلبس ثياب الورع والحياء وتتطيب بطيب الصدق والوفاء وتركب مركب الود والصفاء وتتحلى بالعبادة وترتدى بالزهادة وتتمنطق بالصيانة وتتختم بالامانة وتخرج الى المصلى خروج وجل من الرد وتمشى مشى خجل من الصد وتخاف ان تكون اعمالك مردودة معلولة وطاعاتك غير مقبولة وتكبر تكبير من عظم ربه وتصاغرت عنده نفسه وتذكر ذنبه وتقف فى الصلاة وقوف خاشع وتركع ركوع خاضع وتسجد سجود طامع وتجلس لسماع الخطبة كمن أخضر للحساب وهو ينتظر ما يرد عليه من الخطاب والا فما ينفع التزين باللباس البيض والقلب فى هم الدنيا مريض وما يفيد التزين باللباس ولم تنزع رداء الالباس (ومر بعض الصالحين) على شباب يلعبون يوم الفطر فقال ياهؤلاء ان كان صومكم قد قبل فماهذا فعل الشاكرين وان كان صومكم لم يقبل فماهذا فعل المحزونين فوقع كلامه فى قلوبهم وتركوا لهوهم (ودخل) رجل على على بن أبى طالب رضى الله عنه يوم عيد فوجده يأكل خبزا خشنا فقال ياأمير المؤمنين يوم العيد تأكل خبزا خشنا فقال اليوم عيد من قبل صومه وشكر سعيه وغفر ذنبه ثم قال اليوم لنا عيد وغدا لنا عيد وكل يوم لا نعصى الله تعالى فيه فهو لنا عيد (شعر)

قالوا غدا العيد ماذا أنت لابسه ... فقلت خلعة ساق حبه جرعا
فقر وصبرهما ثوبان تحتهما ... قلب يرى الفة الاعياد والجمعا
أولى الملابس ان تلقى الحبيب به ... يوم الزيارة فى الثوب الذى خلعا
الدهر ماتم لى ان غبت ياأملى ... والعيد ما كنت لى مرأى ومستمعا
لا كنت ان كان لى قلب يحن الى ... خل سواك ولو قطعتنى قطعا

(وقف) عمر بن عبد العزيز بعد الصلاة يوم العيد فقال اللهم انك قلت وقولك الحق ان رحمت الله قريب من المحسنين فان كنت من المحسنين فارحمني وان لم أكن من المحسنين فقد قلت وكان بالمؤمنين رحيما فارحمني وان لم أكن من المؤمنين فأنت اهل التقوى واهل المغفرة فاغفر لي وان لم أكن مستحقا لشيء من ذلك فأنا صاحب مصيبة وقد قلت الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون اللهم فارحمني (وقعد) بشر الحافي يوم العيد في طرف الناس فقيل له لم لا تتوسط الناس في الصفوف فقال هذا موضع السائل الضعيف فلما انصرف الناس صاح إلهي جئنا نرضيك فيا ليتنا لا نعصيك (اللهم) اصلح لنا ضمائرنا ونزه عن التعلق بغيرك خواطرنا واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين آمين آمين

## الفصل الثامن عشر في العبودية وذكر العشر

الحمد لله الذي تفرد بأوصاف عظمته وكماله وتقدس بعز كبريائه وجلاله وتوحد بالخلق والابداع فلا شريك له في أفعاله وعم كل مخلوق بجزيل افضاله ونواله وخص المؤمنين بتوحيده فضلا وانعاما أدلة وجوده وآثار جوده للعقول ظاهرة والافهام عن ادراك ذاته والاحاطة بصفاته قاصرة والابصار في تعظيمه داهشة حائرة والافكار اذا نظرت في عجائب صنعته قصرت عن ادراك حكمته ورجعت خاسرة والارواح اذا هب عليها نسيم اسعاده رتعت في رياض وداده تيها وهياما هو الاول والآخر بالقدم والبقاء الظاهر والباطن بالقهر والكبرياء القدوس الصمد الغني عن جميع الاشياء الواحد الاحد المنزه عن جميع الاشباه والشركاء العزيز الذي يعز من والاه ويذل من ناواه قهرا وارغاما الحي العليم فلا يخفى عليه خافية السميع البصير سواء عنده السر والعلانية المريد القدير وشواهد قدرته واضحة كافية المتكلم بكلام قديم أزلي وصلت بركاته الى القلوب الصافية صفاته ثابتة بالادلة فلا يجحدها الا من عمي أو تعامى عظم ربك بنفي التشبيه مع اثبات صفات الكمال ولا تركن إلى جمود المشبهين فانما تعلقوا بالوهم والخيال ولا تصغ الى شبه المعطلين فما ضل قوم الا اتوا الجدال وكن من الذين مدحهم الله تعالى بقوله وله العز والجلال

وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما تبتل بذكره وتمسك بكتابه وتنعم بمناجاته فكفاك ان يراك من الوافقين ببابه ألم تسمع قوله تعالى مبشرا الاحبابه أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما مولى ان أطعته أدناك وان اكتفيت به أغناك وان دعوته لباك وان ادبرت عنه ناداك فكم غمر ببره وستر بستره عصيانا واجراما (احمده) على ما أسبغ من جزيل العطاء واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له رب الارض والسماء وأشهد ان محمدا عبده ورسوله خاتم الرسل والانبياء ﷺ وعلى آله واصحابه الائمة الاتقياء صلاة يزيدهم بها شرفا وعزاً وتقريبا واكراما ما انطرد الظلام وانتظم الكلام وغرد الحمام وبكى الغمام فضحكت الرياض ابتساما (في قول الله عز وجل وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الآيات) وقوله تعالى ان كل من في السموات والارض الا آت الرحمن عبدا وانما هؤلاء خواص العباد والمخصوصون بالقرب والوداد مدحهم الله تعالى في هذه الآيات بأوصاف العبودية ومعنى الآية وخواص عباد الرحمن هم الذين يمشون على الارض هونا والذين لهم هذه الاوصاف هم الذين يجزون الغرفة بما صبروا يعني الجنة ويلقون فيها تحية وسلاما يسلم الله عليهم فيسمعون كلامه القديم سلام قولا من رب رحيم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم الذين يمشون على الارض هونا برفق وتواضع من غير طيش ولا كبر ولا مرح قال الله تعالى ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا معناه أنت أقل وأضعف فانك لن تقدر أن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال بتعاظمك وتكبرك قال رسول الله ﷺ لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر وقال ﷺ لا ينظر الله الى من يجر ثوبه خيلاء وفي الحديث طوبى لمن تواضع من غير منقصة وذل نفسه من غير مسكنة وأنفق مالا جمعه من غير معصية ورحم اهل الذل والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة (شعر)

ولا تمش فوق الارض الا تواضعا ... فكم تحتها قوم هم منك ارفع
فان كنت في عز وجاه ومنعة ... فكم مات من قوم هم منك أمنع

قال الله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما أى قالوا قولا فيه السلامة من الاثم من غير مقابلة ولا أذى وهذا من محاسن الاخلاق وقد أرشد اليه العليم الحكيم بقوله تعالى ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم معناه ادفع اساءة من أساء عليك باحسانك اليه تنقلب عداوته مودة قال رسول الله ﷺ ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه أول فائدة الحليم ان الناس كلهم أنصاره قال (شعر)

واذا المسىء جنى عليك جناية فاقتله بالمعروف لا بالمنكر
أحسن اليه اذا أساء فانه من ذى الجلال بمسمع وبمنظر

(روى) عن رسول الله ﷺ أنه قال أمرت بمداراة الناس ويقال فى المداراة سلامة الدنيا والدين وفى المقابلة تعريضهما للخطر (شعر)

مادمت حيا فدار الناس كلهم فانما أنت فى دار المدارات
من يدر دارى ومن لم يدر سوف يرى عما قليل نديما للندامات

ومن دارى الناس واحتمل اذاهم طلبا للسلامة لدينه فقد وافق الحكمة فان من رأى الافعال من الله تعالى لم يعتب على أحد من الخلق فهذا صاحب توحيد ومعرفة ومنهم من يحتمل الاذى ويراه جزاء لذنوبه فيشتغل بلومه لنفسه وآخر يحتمل الاذى امتثالا لربه وطلبا للثواب فى الآخرة (وروى) عن رسول الله ﷺ انه قال مامن شىء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن (وفى الحديث) ان الرجل ليبلغ بحسن الخلق درجة القائم بالليل الظامىء بالهواجر (ولقى) الاحنف بن قيس شخصا يمنى فزاحمه فشتمه ولم يعرف انه الاحنف فلم يزل يسبه حتى وصل إلى عرفة فأمسك الاحنف زمام ناقته ووقف وقال ياهذا قل كل ما فى نفسك لئلا يسمعك أحد من قومى فيؤذيك فعرف حينئذ أنه الاحنف فاعتذر له واستحى (وقال) له رجل يوما والله ياأحنف لئن كلمتنى كلمة لاكلمنك عشرا فقال له الاحنف لكن أنا لو كلمتنى عشرا ما كلمتك واحدة (وقالت) امرأة لمالك بن دينار يامرائى فقال هذه المرأة قد أصابت اسمى الذى أضله اهل البصرة (وقال تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) هؤلاء بالليل احياء والناس بالنهار موتى قال تعالى كانوا قليلا من

الليل ما يهجعون أى كان نومهم بالليل قليلا ولم يزل الصالحون أصحاب قيام وصيام لا أصحاب دعاوى وكلام ولذلك كانت رؤيتهم موعظة قبل روايتهم فأما من وعظك بغير حاله فهو كمن اعطاك من غير ماله ويقال من ادعى غير حاله فهو كالمفتخر بغير ماله ويقال عمل رجل فى ألف رجل أنفع من كلام رجل فى رجل (وعن) رسول الله ﷺ انه قال مازال جبريل يوصينى بقيام الليل حتى ظننت ان خيار امتى لاينامون (وقال) عيسى عليه الصلاة والسلام لاتأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فتناموا كثيرا فيفوتكم خير كثير كثرة النوم نقصان فى العمر وخسران فى الحشر (شعر)

تعود من قيام الليل ان النوم خسران
ولا تركن الى ذنب فعتبى الذنب نيران
وقم للواحد المعبود فللقرآن خلان
اذا ماجنهم ليل فهم فى الليل رهبان
ينام الغافل الساهى وما فى القوم وسنان
ويلهو المعرض اللاهى وعند القوم احزان
فما يلهيهم ربح ولا أهل واخوان
هم والله فتيان اذا ماقيل فتيان

الناس نيام وهم قيام الناس هجوع وهم ركوع الناس رقود وهم سجود الناس مع الخلق وهم مع الحق شتان ما بين من انيسه المولى القريب وخلواته مع الحبيب من غير رقيب وبين من أوقاته تمر فى غير طائل وسروره بغرور زائل ومسامرته فى لهو وباطل قال القائل (شعر)

لله قوم اخلصوا فى حبه فاختارهم ورضى بهم خداما
قوم اذا جن الظلام عليهم ابصرت قوما سجدا وقياما
يتلذذون بذكره فى ليلهم ويكابدون لدى النهار صياما
فسيغنمون عرائسا بعرائس ويتبوؤون من الجنان خياما
وتقر أعينهم بما اخفى لهم وسيسمعون من الجليل سلاما

ويقال الليل للمحبين سهر على كل حال فمن كان وقته وقت فراق وهجر فهو يقول (٣) « شعر »

كم ليلة قضيتها ساهرا لما تولى هجركم معرضا
أطوف فى ظلمائها مبصرا وليس ضوء مثل ضوء الرضا

فاذا كان يوم القيامة يكون الناس على جمر الغضا وعباد الرحمن على بساط الرضا الناس فى الكرب والشقاء وعباد الرحمن فى القرب واللقاء جزاء السهر النظر وجزاء الفنا نيل المنى « شعر »

حجبت عينى عن رؤياك يا أملى فلو منحت على عينى بالنظر
حتى اقول لعينى عند رؤيتها هذا جزاء لطول الدمع والسهر

ياهذا سفر الليل لا يطيقه الا مضمر المجامعة تجتمع جنود الكسل فتتعلق بذيل التوانى وتزين حب النوم وتزخرف طيب الفراش وتخوف برد الماء فاذا نارت شعلة من نار العزم اضاءت بها طريق القصد فسمعت اذن اليقين نداء هل من سائل هل من مستغفر هل من تائب (شعر)

فقمت افرش خدى فى التراب له ذلا واسحب أجفانى على الاثر

رياح السحر اقوات الارواح عبارة النسيم لا يفهمها الا المشتاق حديث البرق لا يروق الا للاحباب خلوا بالحبيب على بساط المناجاة فكساهم ثياب الوصلة وضمخهم بطيب المعاملة وغالية السحر يصبحون وعليهم سيما القرب تفوح أرواح نجد من ثيابهم تأسف يا جيفة النوم ابك يا عريان الغفلة ويحك أتدرى كيف مر عليهم الليل الك علم بما جرى للقوم اتعلم حال كيف بات المتيم رحلت رفقة نتجافى جنوبهم عن المضاجع قبل السحر ومطرود النوم فى حبس الرقاد فافك عنه السجان قيد الكرى حتى استقر القوم بالمنزل فقام يتلمح الآثار (شعر)

حمدا لمدلجون غب سراهم وكفى من تأخر الابطاء

« آخر »

---

« ٣ » قوله فمن كان وقته الخ لعل الصواب فمن كان وقته وقت وصال كما يدل عليه الشعر ويكون المقابل ساقطا

حدث فقد ناب سمعي اليوم عن بصري  قنعت في الحب بعد العين بالاثر
بالله قل لي احاديث الذين مضوا  ان كنت مطلعا منهم على خبر

مالت بالقوم الاشواق ميل الريح بالاغصان هز الخوف افنان القلوب فانتثرت الافنان فاللسان يضرع والعين تدمع والوقت بستان أخذوا من الدنيا الكفاف وقالوا نحن ضيفان باعوا الحرص بالقناعة بما ملك أنوشروان اين انت منهم ما نائم كيقظان كم بينك وبينهم أين الشجاع من الجبان شغلتهم الخلوة بالحبيب عن نعم ونعمان اشتاقوا الى لقاء مولاهم والمحب ظمآن فاذا وردوا القيامة تلقاهم بشير لولاهم ماطابت الجنان يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان . قال الجنيد رأيت في المنام ملكا من الملائكة فقال لي اقرب ما يتقرب به المتقربون ماذا قلت عملي خفي بميزان وفي فانصرف الملك وهو يقول كلام موفق والله (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم) هؤلاء مع الطاعات والاجتهاد خائفون وعلى باب الذل والافتقار واقفون وبين يدي مولاهم باسرارهم عاكفون يسألون مولاهم صرف العذاب ويخافون من اقامة العدل والتوبيخ والعتاب ويخشون سطوة القهر وصولة العز والمنع والحجاب والغافل مع تفريطه واهماله وتقصيره في اعماله قليل الفكرة في حاله وما آله فشتان ما بين الفريقين وما ابعدها تين الطريقين (وروى) عن رسول الله ﷺ انه قال لاسامة ابن زيد يا اسامة اياك ودعاء عباد الله الذين اذا بوا اللحوم واحرقوا الجلود وغشيتهم (٣) ابصارهم فان الله اذا نظر اليهم باهى بهم ملائكته بهم يصرف الله تعالى الزلازل والفتن «والذين اذا انفقوا لم يسرفوا» بانفاق اموالهم في المعاصي واللهو والعبث وما لا فائدة فيه «ولم يقتروا» لم يمنعوا حق الله تعالى من اموالهم ولم يبخلوا بما امروا بالانفاق فيه من مصالح نفوسهم وعيالهم «وكان بين ذلك قواما» اي وسطا اي ينفقون في الطاعات وفيما يحتاجون اليه من المباحات «والذين لا يدعون مع الله الها اخر» اي يوحدون الله تعالى ويحفظون السنتهم وايديهم عن دماء الناس واموالهم واعراضهم ويحفظون فروجهم عما حرم الله تعالى «ولا يقتلون النفس التي حرم الله» قتلها «الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك» اي واحدا من الثلاثة

(٣) قوله وغشيتهم ابصارهم هكذا بالاصل ولعله وغشيت ابصارهم وليحرر الحديث

(يلق أثاما) اى عقوبة يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا) منهم فأولئك يبدل الله سيآتهم المذكورة (حسنات) فى الآخرة (وكان الله غفورا رحيما) اى لم يزل متصفا بذلك ومن تاب من ذنوبه غير من ذكر وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا اى يرجع اليها رجوعا فيجازيه خيرا والذين لا يشهدون الزور اى لا يشهدون شهادة الزور ولا يحضرون مواضع الباطل ومجالس الفسق واذا مروا باللغو اى بمواضع الباطل مروا كراما يكرمون انفسهم بصونها عن الاشتغال بالباطل والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا اى لم يتصاموا عن سماعها ولم يتعاموا عن تدبرها والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما اى يسئلون الله تعالى ان يجعلهم من الصادقين ليهتدى بهم من يحتاج الى معرفة طريق المتقين سئل الجنيد رضى الله عنه عن عباد الرحمن من هم فقال هم الذين طاعة الله حلاوتهم والفقر كرامتهم وترك الدنيا لذتهم والى الله حاجتهم والتقوى زادهم ومع الله تعالى تجارتهم وعليه اعتمادهم وبه انسهم وعليه توكلهم والجوع طعامهم وحسن الخلق لباسهم والسخاء حرفتهم والعلم قائدهم والصبر سائقهم والهدى مركبهم والقرآن حديثهم والشكر زينتهم والذكر همتهم والرضا راحتهم والقناعة مالهم والعبادة كسبهم والحياة قميصهم والخوف سجينهم والنهار عبرتهم والليل فكرتهم والحكمة سيفهم والحق حارسهم والحياة مرحلتهم والموت منزلتهم والنظر الى الله تعالى منيتهم فهؤلاء عباد الرحمن. ويقال للعبودية أربعة أركان صحة العقد وصدق القصد والوفاء بالعهد وحفظ الحد فصحة العقد الايمان بالله تعالى وصحة الاعتقاد من غير تشبيه ولا تعطيل وصدق القصد الاخلاص لله تعالى والوفاء بالعهد امتثال الاوامر وحفظ الحد اجتناب النواهى. ويقال العبودية ان تكون عبد الله على كل حال كما انه ربك: وقال سهل بن عبد الله أجل مقام فى العبودية ترك التدبير والاختيار ويقال العبودية ان تسلم اليه كلك وتحمل عليه كلك. وقال رجل لبعض الصالحين ضاقت بى الحيلة فما الحيلة قال قصر اليد وتعفير الخد وخوف الصد

## ذكر فضيلة العمل فى عشر ذى الحجة

عباد الله هذه ليالى العشر التى اقسم الله بها فى سورة الفجر فقال تعالى

(والفجر) أى اقسم بالفجر وهو كل فجر وقيل فجر يوم النحر لانه آخر وقت الوقوف بعرفة وقيل فجر اول يوم المحرم وقيل عنى به صلاة الصبح (وليال عشر) هى عشر ذى الحجة عند اكثر المفسرين رواه جابر عن رسول الله ﷺ وقيل هى العشر الاواخر من رمضان وقيل الاول من المحرم قال مجاهد ليس عمل فى ليالى السنة أفضل منه فى ليالى العشر وهى عشر موسى التى اتمها الله تعالى له (روى) الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ انه قال مامن أيام أحب الى الله تعالى ان يتعبد له فيها من عشر ذى الحجة صيام كل يوم منها بصيام سنة وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر (وروى) مالك رضى الله تعالى عنه فى موطئه ان رسول الله ﷺ قال ما رؤى الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا ادحر ولا أحقر ولا أغيظ منه فى يوم عرفة وما ذاك الا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله تعالى عن الذنوب العظام الا ما رؤى يوم بدر قيل وما رؤى يوم بدر يا رسول الله قال اما انه قد رأى جبريل يزع الملائكة وفى الصحيح عن رسول الله ﷺ قال افضل الدعاء دعاء يوم عرفة وافضل ما قلت انا والنبيون من قبلى لا اله الا الله وحده لا شريك له وروى مسلم عن ابى قتادة ان رجلا اتى الى النبى صلى الله عليه وسلم قال كيف تصوم فغضب رسول الله ﷺ من قوله فلما رأى عمر غضبه قال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله ﷺ فجعل يردد هذا الكلام حتى سكن غضبه فقال عمر يا رسول الله كيف بمن يصوم الدهر كله قال لا صام ولا افطر او قال لم يصم ولم يفطر قال كيف من يصوم يومين وينفطر يوما قال ويطيق ذلك أحد قال كيف من يصوم يوما وينفطر يوما قال ذاك صوم داود عليه الصلاة والسلام قال كيف من يصوم يوما وينفطر يومين قال وددت انى طوقت ذلك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة من كل شهر ورمضان الى رمضان فهذا صيام الدهر كله صيام يوم عرفة أحتسب على الله ان يكفر السنة التى قبله والسنة التى بعده وصيام يوم عاشوراء احتسب على الله ان يكفر السنة التى قبله والسنة التى بعده وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله ان يكفر السنة التى قبله . فينبغى للمؤمن ان يقبل فى العشر على العبادة جهده ويعظم ماعظم

الله تعالى من حرمته واشرف ايام العشر يوم عرفة فيه اكمل الله تعالى شرائع الاسلام وذلك ان الله تعالى فرض على هذه الامة شهادة التوحيد وتصديق الرسل وركعتين أول النهار وركعتين آخره ثم فرض الصلوات الخمس ليلة المعراج قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا ثم فرض الزكاة وصيام رمضان بالمدينة بعد الهجرة بسنة ثم فرض الحج سنة تسع من الهجرة فحج المسلمون من المدينة وامر النبي صلى الله عليه وسلم عليهم أبا بكر رضي الله عنه ثم نزل اول براءة فاقرأها النبي صلى الله عليه وسلم لعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه وبعثه فلحق الحاج فقرأها على الحاج بعرفة وامر مناديا ينادي ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ثم حج النبي ﷺ حجة الوداع سنة عشر فانزل الله تعالى عليه يوم عرفة وكان يوم الجمعة يوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ومعناه ان المشركين كانوا يطمعون ان يقهروا المسلمين ويظهروا عليهم فيبطلوا الاسلام ويذهبوه فلما فتح المسلمون مكة ودخلوها ظاهرين وحجوا حجة الوداع ومنعوا المشركين انقطع اطماع الكفار فتقديره اليوم يئس الذين كفروا من دينكم اليوم اكملت شرائع دينكم وخصصتم بالحج دون سائر الملل وجعلت الحج في وقت معلوم وكانت الجاهلية يحجون كل سنة في شهر حتى اختلطت اشهر الحج وخفيت فيوم عرفة يوما كمال الدين واتمام النعم قال ابن مسعود ما من عبد يدعو الله تعالى بهذه الدعوات ثم يسأل الله تعالى شيأ الا أعطاه سبحان الذي في السماء عرشه سبحان الذي في الارض حكمه سبحان الذي في القبر قضاؤه سبحان الذي في البحر سبيله سبحان الذي في النار سلطانه سبحان الذي في الجنة رحمته سبحان الذي في القيامة عدله سبحان الذي رفع السماء سبحان من بسط الارض سبحان الذي لا ملجأ ولا منجى منه الا اليه والايام المعلومات أيام النحر وقد امر الله تعالى بالذكر فيها وروى في الصحيح عن رسول الله ﷺ انه قال أيام التشريق أيام اكل وشرب وذكر الله تعالى وروى ان النبي ﷺ قال انها الايام المعدودات والله تعالى أعلم والايام المعلومات لا يكف فيها رجل بصره عما لا يحل له الا كتب الله تعالى له مثل اجر من يحج وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## الفصل التاسع عشر فى القلوب

الحمد لله العليم الخبير الحى السميع البصير المجيب المجيد العلى الكبير الخالق البديع القدير هو الاول والآخر والظاهر والباطن الملك الواحد الاحد الذى رفع السماء بغير عمد ودحا الارض على الماء ومهدها المنزه عن الصاحبة والوالد والولد الغنى عن الادوات والجهات والاماكن زين السماء بزينة الكواكب وقابل بحكمته بين المشارق والمغارب فالعاصى مدبر كالهزيم الهارب والطائع مقبل كالخصيم الطالب فانظر الى حركات عساكرها فى الليل الساكن ينزل الماء من السماء فيمتد وجه الارض بعد سكونه ويجريه بقدرته منقسما بين انهاره وعيونه وينبت به الزرع والحب والفاكهة والاب ويظهر من الروض انواع رياحينه هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ادلة التوحيد ظاهرة ولكن عقل الغافل المنافق واهن تأمل عجائب بدائع مصنوعاته وتدبر صفحات واضحات آياته وكف فكرك عن الجولان فى صفاته فغاية العقل من الادراكات العجز عن الاحاطة بعد اثباته لاغاية لجلاله ولا نهاية لكماله من شبه فهو ملحد ومن عطل فهو جاحد ما أن المشبه متعلق بالحس والخيال والمعطل تائه فى بيداء الضلال والمحقق مصدق بصفات الكمال معترف بالعجز عن ادراك الجلال فسبحان ذى العزة والعظمة والكبرياء والجلال والاكرام والمحاسن الذى أيقظ قلوب السعداء من سنة الرقاد وسلمها بعنايته من الشقاء والعناد وطهرها بمنته من دنس البعاد وانزل عليها من بحار رحمته مطر الوداد فذاقوا حلاوة الموعود بقوله سبحانه وتعالى فيها أنهار من ماء غير آسن فاسرارهم بهجة بطيب ولائه وألسنتهم لهجة بحسن ثنائه وقلوبهم مشرقة بتعظيمه وكبريائه وحرقتهم لاتسكن الا بلقائه فحينئذ يأمن الخائف ويخاف الآمن هنالك ينتبه من كان اليوم فى نوم غفلته وينقطع قلب المفرط بما يتجرع من حسرته ويندم على ماضيعه من سالف مدته ويتضاعف ألمه اذا نوقش على قبيح زلته فياحسرة على من حمل الامانة ثم كشف ديوانه فاذا هو خائن فسبحان من قدر وقسم وابرم وحكم وخلق الانوار والظلم وجعل توبة عباده الندم وعلم ما كان وما هو كائن (احمده) على جميع افضاله واشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له فى صفاته ولاشريك له فى افعاله وأشهد أن محمدا

عبده ورسوله الذى اثلج حرارة الصدور ببارد زلاله ﷺ وعلى جميع عترته واصحابه واله صلاة دائمة ماحرك ساكن الاشواق ذكر المواطن فى قول الله عز وجل ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) الآية قال ابن مسعود عاتبنا الله تعالى بهذه الآية بعد اسلامنا بسبع سنين (وروى) ان بعض الناس أصابتهم فترة فى قلوبهم فأنزل الله تعالى هذه الآية قال بعض أهل المعانى هذا الكلام يشبه الاستبطاء ومعناه اما حان وقت الخشوع اما حان اوان الرجوع اما حق على التفريط اسبال الدموع اما هذا وقت التذلل والخضوع وفى ذكر الايمان فى اول الآية تعريف بالمنة واشارة الى استبطاء ثمرته هذا الايمان وثمرته ان تخشع قلوبكم هذا الايمان وثمرته أن تبكوا على ماسلف من ذنوبكم ألم يأن للمؤمن أن يخشع ويتوب وينيب ألم يأن للغافل أن يتنبه ويجيب ألم يأن للمذنب أن يرجع من قريب ألم يأن للمريض ان يقف على باب الطبيب (وقوله ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) يعنى القرآن فمن حضر قلبه لذكر الله واصغى بسمع سره لكتاب الله تعالى خشع قلبه قال تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أى عقل وقلب حى بنور الموافقة حاضر على بساط المراقبة صاح عن سكر الغفلة غير معرض عن الاعتبار ولا مشغول بحديث الاغيار او ألقى السمع وهو شهيد أى اصغى بسمعه وهو حاضر بسره قال ﷺ ان لله اوانى الا وهى القلوب فأقربها الى الله ما رق وصفا وصلب قال أبو عبد الله الترمذى الرقة خشية الله تعالى والصفاء للاخوان فى الله والصلابة فى دين الله تعالى ويقال شبهت القلوب بالآنية فقلب الكافر اناء منكوس لا يدخله شىء من الخير وقلب المنافق اناء مكسور ما ألقى فيه من اعلاه نزل من اسفله وقلب المؤمن اناء صحيح معتدل باق فيه الخير فيصل لكن قلوب قوم طاهرة من دنس الغفلات والزلات فما القى فيها بقى طاهرا وقلوب قوم فيها دنس قليل يغلب عليه ما يلقى فيها من الطهور وقلوب قوم كثيرة الادناس يغلب دنسها على ما يلقى فيها من الخير وربما امتلأت من الادناس فلا تسع شيئا قال الله تعالى فى حق المتطهرين وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ذكر العاصين عقوبتى ليرجعوا عن مخالفتى وذكر المطيعين ثواب طاعتى ليزدادوا من خدمتى وذكر

عبادى ماصرفت عنهم من بلائى ومنحتهم من عطائى واعددت لهم من لقائى ليستغرقوا أوقاتهم من ثنائى وقوله تعالى ولا تكونوا كالذين اتوا الكتاب من قبل وهم اليهود فطال عليهم الامد بعد موت موسى ثم وقعت الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فكفر النصارى واليهود وقست قلوبهم كثير منهم فاسقون أى كافرون ومعناه لم يبق منهم على الايمان الا القليل وهم الذين آمنوا بمحمد ﷺ ويقال قسوة القلب انما تكون لانحرافه عن مراقبة الرب ويقال انما تحصل القسوة من متابعة دواعى الشهوة فان الشهوة والصفوة لا يجتمعان وأول ما يقع فى القلب غفلة فان ايقظه الله تعالى والا صارت خطرة فان ردها الله والا صارت فكرة فان صرفها الله والا صارت عزمة فان حماه الله والا وقعت المعصية فان انقذه الله بالتوبة والا وقعت قسوة فان نهاه الله والا صارت طبعا وربنا قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال ابراهيم بن أدهم قلب المؤمن نقى كالمرآة فلا يأتيه الشيطان بشىء الا ابصره فان أذنب ذنبا ألقى فى قلبه نكتة سوداء فان تاب محيت وان عاد الى المعصية ولم يتب تتابعت النكتة حتى يسود القلب فقل ما تنفع فيه الموعظة وقال الحسن الذنب على الذنب يظلم القلب حتى يسود القلب ويقال القلب كالكف لا يزال يقبض اصبع حتى يطبق وقال الترمذى حياة القلوب الايمان وموتها الكفر وصحتها الطاعة ومرضها الاصرار على المعصية ويقظتها الذكر ونومها الغفلة وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسو اقلوبكم والقلب القاسى بعيد من الله ولكن لا تعلمون وانظروا فى ذنوبكم كأنكم عبيد ولا تنظروا فى ذنوب الناس كأنكم ارباب فانما الناس معافى ومبتلى فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية عباد الله البدار البدار فالعمر طيار كما قيل (شعر)

انما هذه الحياة متاع ... فالجهول السفيه من يصطفيها
مامضى فات والمؤمل غيب ... ولك الساعة التى انت فيها

(ياهذا) قد قرب السفر فأحكم احمال الاعمال وانقطع علقك من البلد فاذا ضرب بوق الرحيل كنت أول سائر كم تعاهد ثم تغدر أأمنت غب زجرنا أو رضيت عاقبة هجرنا ألك

عن وصلنا مندوحة اما أبواب كرمنالك مفتوحة ياناسيا ميثاق ألست بربكم حسن العهد من الايمان ومن كرم المرء فرط الحنين الى اوطانه (قال الشاعر)

ياحبذا العرعر النجدى والبان ودار قوم باكناف الحما بانوا

وأطيب الارض ما للقلب فيه هوى سم الخياط من الاحباب ميدان

ياغافل القلب عنا ماهذا الكلام لك ليس على الخراب خراج قال رسول الله ﷺ ان الله لاينظر الى صوركم وأقوالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم ياهذا دع حديث السالكين فانه من لعبك لاتدع نسب المجتهدين انه ليس من اهلك لايعرف البحر الاسابح ولا البر الاسائح ولا الزناد الاقادح هيهات كيف يزاحم الابطال بطال أين انت من الاحباب اين القشر من اللباب قبيح عليك يامسكين ان تدخل الميدان بحمار اعرج (شعر)

هل مدلج عنده من مبكر خبر وكيف يعلم حال الرائح الغادى

فان رويت احاديث الذى مضوا فعن نسيم الصبا والبرق اسنادى

ما أحلى ذكر العباد ما اطيب أخبار الزهاد ما احسن مصاحبة اهل الوداد ما ألذ معاملة أهل الاجتهاد أكلهم أكل المرضى ونومهم نوم الغرقى وحنينهم حنين الثكلى فرغت منهم المنازل وجد القبور نازل اذا اويت الى المقابر فتأمل بقلبك قبور الصالحين كبشر ومعروف واحمد تراها عمرانا وبقية القبور خراب بلقع (وكان) بعض الصالحين من السلف يوقد المصباح ولا يزال يبكى الى الصباح كلما رأى النار (وكان) بعضهم يوقد النار ويقرب يده منها وكلما احس بالحرارة يقول ياويلك لم فعلت كذا وكذا . ياهذا انما خلقت فى الجنة وسجنت فى الارض فاذا سمعت روحك ذكر وطنها الاول حنت وانت وكلما جلا صقيل الرياضة مرآة سرها قوى الشوق (وكان) ابو الدرداء يقول انى احب الموت اشتياقا الى ربى (وكان) ابو عبيدة يقول واشوقاه لمن يرانى ولا أراه (وكان) فتح الموصلى يقول قد طاب شوقى اليك فعجل قدومى عليك كما قيل (شعر)

وبى شوق اليك أذاب قلبى ومالى غير وصلك من طبيب

اذا صحت المحبة فعلت ما يرضى ورضيت ما يفعل (شعر)

ان كان سكان الفضا رضوا بقتلى فرضا
والله لا كنت لما يرضى الحبيب مغضبا
من لمريض لايرى الا الطبيب الممرضا

(دخل) على عابد فى مرضه فقالوا له كيف أصبحت قال اصبحت وكل عرق يتألم على حدته ولا يحب الا الله وقيل لآخر فى مرضه كيف اصبحت قال أصبحت ومالى حاجة الا ان يتوفانى الله على الاسلام الهى ان عيوبنا لايسترها الا محاسن عطفك وذنوبنا لايغفرها الا مكارم لطفك يامن عليه المتكل يامن اليه المبتهل يامن اليه مشتكى الضر اذا الضر نزل يامن لوان الخلق اضعاف عليه لكفل وكيف لا يكفلهم وهو غنى لم يزل الهى ادعوك مع خوفى لانك رب الارباب وارجوك مع تقصيرى كرجاء الاحباب أدعوك بلسان املى لما كل لسان عملى فان قبلتنى فبفضلك وان رددتنى فبعدلك (شعر)

اتيتك سائلا فارحم عنائى فعندك يا كريم دواء دائى
فلا احد اسواك اليه اشكو فيرحم عبرتى ويرى بكائى
فيامولى الورى جد لى بعفو ومن بنظرة فيها شفائى
رأيت كثير ما اهدى قليلا لمثلك فاقتصرت على الثناء

الهى ادعوك اقرارا بذل العبودية وأنت تجيبنى اختيارا بكرم الربوبية يا اكرم من سمح بالنوال وارحم من جاد بالافضال ايقظنا من غفلتنا بلطفك واحسانك وتجاوز عن جرائمنا بعفوك وغفرانك والحقنا بالذين انعمت عليهم فى دار رضوانك وارزقنا مارزقتهم من نعيم قربك ولذة مناجاتك وصدق حبك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين آمين

## الفصل العشرون فى الفرار

(الحمد لله) منشىء الموجودات وباعث الاموات وسامع الاصوات ومجيب الدعوات وكاشف الكربات عالم الاسرار وغافر الاسرار ومنجى الابرار ومهلك الفجار ورافع الدرجات الذى علم وألهم وانعم واكرم وحكم واحكم وواجب ولزم وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات الاول

الذى ليس له ابتداء الآخر الذى ليس له انتهاء الصمد الذى ليس له وزراء الواحد الذى ليس له شركاء الحى القيوم الذى لا مشارك له فى الصفات العليم الخبير القوى القدير السميع البصير المنفرد بالتدبير قدر الاشياء على ما أراد من الحالات والاوقات تكلم بكلام قديم أزلى فى الازل وتفرد بالعز الذى لم يزل وتنزه عن النقائص والعلل وتقدس عن الفتور والخلل وتعالى عن الاوهام والشبهات ما عرفه من جحد صفات الكمال ولا اهتدى اليه من سلك طريق الاعتزال ولا نزه من شبه واتبع الوهم والخيال قصرت العقول وعجزت الالباب عن ادراك الجلال وكيف للحادث أن يدرك القديم هيهات سبحان من نور بمعرفته قلوب احبابه وطهر سرائرهم فتنعموا بخطابه وصد قوما بعدله فقطعهم عن بابه ورد قوما بحكمه فعذبهم بحجابه الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ياخيبة من لم يؤيده الحكيم العليم ياحسرة من لم يقبله الملك العظيم يامصيبة من فاته هذا الجود العميم يارزية من سمع هذا العتاب وهو على خطاياه مقيم يافضيحة من لم يستحى من مولاه فى الخلوات اتبارز بالقبيح من عاملك بالجميل اتجاهر بالعصيان من غمرك بفضله الجزيل اترضى بالبعاد بدلا عن الوداد فبئس البديل ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل مالكم لا تنهضوا الى الغنائم ولا تقعدون عن المخالفات اين البعيد من القريب أين الطريد من الحبيب أين المخطئ من المصيب أين المحروم ممن هو وافر النصيب وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الاحياء ولا الاموات فسبحان الذى قسم عطاءه بين عباده وأبرم قضاءه فلا معارض له فى مراده وسبقت عنايته وولايته لاهل وداده وخصهم برعايته وكفايته واسعاده وأمنهم يوم الفزع الاكبر من جميع المخالفات (أحمده) حمد معترف بالعجز عن ثنائه (وأشهد) أن لا اله الا الله وحده لا شريك له فى عزه وكبريائه (وأشهد) أن محمدا عبده ورسوله سيد اصفيائه وخاتم رسله وأنبيائه ﷺ وعلى آله وأصحابه الذين مثلهم فى سورة الفتح بالنبات وعلى أزواجه الطاهرات سر قوله تعالى الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات وسلم تسليما كثيرا (فى قول

الله عز وجل ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين) . ففروا الى الله تعالى من الشرك الى توحيد الله تعالى ومن المعصية الى الطاعة ومن الغفلة الى ذكر الله تعالى ومن رؤية نفوسكم الى منة الله تعالى ومن أبواب الخلق الى باب الله تعالى أإله مع الله قادر غنى غير الله (شعر)

قل للفقير اذا ما اثنى الى أين تذهب عن بابه
وهل أحد غيره يرتجى بل الكل من بعض طلابه
يلذ التذلل فى عزه وذاك النعيم لاحبابه
يغار المحب على سره وبلواه تعرب عما به

قف بالباب أيها الفقير الحقير وتضرع الى الله تضرع الاسير بقلب كثير وقل يا اله العالمين وأكرم الاكرمين أسير الظلمات واقف بباب كرمك ينتظر فوائد رحمتك وزوائد نعمتك الخير دأبك والحكم حكمك اجعل منتهى مطالبنا رضاك واقصى مقاصدنا رؤياك وعن الشهوات باعدنا الان نلقاك وأنت راض عنا فلعلك تحف من الله تعالى بحنى افضاله وتحظى منه بجميل اقباله فان من اعتز بجاه حماه ومن استضاء بهداه هداه ومن انقطع اليه كفاه ومن حط رحاله ببابه آواه ومن اعرض عنه ناداه ومن رجع اليه قبله وادناه ومن تمادى فى متابعة هواه ابعده واقصاه يا ناقضى العهود انظروا الى من عاهدتم ثم تلاقوا خرق الخطايا قبل ان يتسع اعرضتم عنى وما اعرض عنكم لطفى وقطعتم خدمتى وما قطعت عنكم نعمتى

(شعر)

فلا تحسبوا انى نسيت وداد كم وانى وان طال المدى لست انساكم
حفظنا وضيعتم وداد وحرمة فلا كان فى هجر لنا اليوم اغراكم

رسائلى اليكم لا تنقطع وحبى اليكم لا يتبدل وذكرى اليكم لا يتحول انى رددت ابليس لانه لم يسجد لابيكم فالعجب كيف صالحتموه وقاطعتمونى (شعر)

يا معرضا عنى وما لطفى عنه متفصل
يا قاطعى اليوم لمن نويت من بعدى تصل

«كان» لبعض الرجال اوقات مناجاة وطاعات فتغيرت ولم تتغير نعم الله تعالى

عليه فجلس يوما فى خلوة وقال يارب تغيرت خدمتى ولم تتغير نعمك فهتف به هاتف ان لك عندنا لا ياما حفظناها وضيعتها (شعر)

تعالوا بنا نصطلح فباب الرضا قد فتح
وداوا الفؤاد الذى بسيف الجفا قدجرح
ايا مدعى حبنا دع الروح ثم انطرح
تعلق باهل الهوى وقل للعذول استرح

يامنقطعا عن ركب السابقين فى بيداء الغفلة انما يأكل الذئب من الغنم القاصية شمر عن ساق الجد وشد عن مئزر الكد واحذر حسرة البعد فعسى أن تلحق بالقوم ويحك اما يؤلمك ألم الهجران اما يبكيك الحرمان قف على اطلال الديار وتلمح الآثار وقل يا ديار الاحباب أين السكان يامنازل الصالحين أين الخلان يا أطلال الشوق أين البنيان (شعر)

على اربع العامرية وقفة تمل على الشوق والدمع كاتب
ومن مذهبى حب الديار لاهلها وللناس فيما يعشقون مذاهب

مالبقاع الصالحين قدخلت منهم واقفرت مالوجوه العبادة التى تبرقعت بعد مااسفرت أين الجباه التى طال فى الدجى ماعفرت (شعر)

كفى حزنا بالوالة الصب أن يرى منازل من يهوى معطلة قفرا

من وقف على قبر بشر ومعروف تذكر ما كانا فيه من خير ومعروف اين نحن من القوم كم بين اليقظة والنوم اين العباد من الزهاد ذهبوا وبقى اهل الرقاد «قالت» ام سعيد النخعى كان بيننا وبين داود الطائى حائط قصير وكنت اسمع حسه طول الليل يهذى قيام الليل جهادولا يحضر المعترك جبان «كانت» منيرة العابدة اذا جن الليل تقول ما اشبه هذه الظلمة بظلمة القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم تقوم فتصلى الى الصباح : وقالت ام عمر بن المنكدر يا ابتى انى اشتهى ان اراك نائما بالليل فقال يا اماه ان الليل ليردعلى فيهولنى وينقضى عنى وما قضيت أربى وكان بشر الحافى لاينام الا ان يغلب ويقول انما انا رجل مطلوب : وكان بعض الصالحين يصلى بالليل ركعتين يختم فيهما القرآن ثم يتم الليل بالبكاء يا هذا لم يكن للقوم هم غير

ما خلقوا له فاما نفوسهم فلا اهتمام لهم بها : عرى اويس القرنى حتى ائتزر بخرقة وقدم بشر الحافى من عباداان وهو متزر بحصير « وكان » اويس يلتقط النوى فيشترى به مايفطر عليه فاذا اصاب حشفة ادخرها لافطاره ويلتقط الخرق من المزابل ويغسلها ويرقع بها ويفر من الناس فلا يجالس احدا . يامطروحا فى سجن البعد استعن بمن حبسك اذا رأيت قطار التائبين متصلا فتعلق بهم لعلك تحمل معهم تالله ماحدا الحادى الاوقد قرب الموسم اذا فتح لك باب فبادر قبل غلقه « شعر »

اذا ما ثغور الدهر يوما تبسمت  اليك بنشر فانتهز فرصة النشر
رعى الله اياما جنينا ثمارها  بايدى المنى من بين اوراقها الخضر

ان ذكر منازل الصفاء يكدر العيش وان الفكر فى وقوع الجفاء يوجب الطيش ياهذا تسمع مايجرى ومالك دمع يجرى وتعرف قبح ماتأتى وتدعى التوبة وماتأتى اذا وقع طبيب على دائك فاكتب منه نسخة دوائك فالحكمة ضالة المؤمن استغث بالمقبولين وناد فى نادى المحبين ياواصلين اشفعوا فى منقطع يابعيدا عن العابدين ياوحيدا عن السالكين فتح الباب لارباب الالباب ورد فى وجهك مالك لسان تسأل نابه ولا وقت تناجينا فيه ولا قلب تجدنا عنده تالله ماالظن قساوة قلبك الامن آثار البعد والله ان الرمد لايخفى من العمى دم على القلق والاستغاثة فان حصل المقصود والا فلا وجه للسكون : قيل للخنساء لم تبكين قالت على فقد الاحباب قيل لها انهم صاروا الى النار قالت ذلك اشد لحزنى ياهذا مالك سوى نفس واحدة فان ذهبت حسرة فلا وجه للتدارك ارضيت لنفسك مع ذكائك وفطنتك ان تعيش عيش البهائم نهارك لهو وليلك نوم وبين يديك الحساب قوت المريد الذكر وراحة المحزون الدمع ولذة العارف الخلوة كل ذرة من العارف تنطق بمحبة الله وصاحب الوجد لاتخفى سرائره ياغافل القلب عنا اما هذا الحديث معك من يوم الست بربكم اف لزللك الذى اوحش بيننا وبينك الى متى انت من وراء الباب اصعب الاشياء على المحب لقاء من يشغله عن حبيبه لان خلوة انا جليس من ذكرنى لاتحتمل شركة : قال ذوالنون رايت شيبان فى جبل لبنان فقلت ادع الله لى فقال آنسك الله بقربه ثم شهق شهقة فما افاق الا بعد ثلاثة ايام كيف لاتشتغل القلوب بساكنها ويسعنى قلب عبدى المؤمن « شعر »

بنتم عن العين القريحة فيكم وسكنتم طى الفؤاد الواله

(قال) رجل لداود الطائى أوصنى قال داود قروح بطنك بالجوع واقطع مفاوز الدنيا بالاحزان وآثر حب الله تعالى على هواك فاتبالى متى تلقاه. قام القوم فما يقعدك قربوا من الجنات فما يبعدك فتحت لهم الابواب فاحيرتك هذه الاطلال فأين السؤال هذه الخيام فأين الخدام هذه الربوع فأين الدموع هذه القصور فما هذا القصور هذه القبور فما هذا الفتور هل لك رغبة فى مرافقة الصالحين أو رضيت ان تكون مع الخالفين يامن قلبه أقسى من حجر حد نفسك بيد الفكرة واخرج الى المقابر وقل لهم ماذا تتمنون فانهم لو نطقوا لقالوا انتمنى ساعة من عمرك ومثل نفسك فى عرصات القيامة بين المفرطين ترى الوادى قد امتلأ بدموع الاسف ومثل بسمعك أصوات المسجونين فى النار اذ يقولون ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا هذا الذى أقلق العباد وأحرق الاكباد (اجتمع) احمد الخزاعى وحبيب ابن محمد اول النهار فما زالوا يبكون الى المغرب فما قنعت المحبة من القوم بالبكاء والسهر حتى طلبت منهم الارواح. سمع بعضهم قارئا يقرأ وامتازوا اليوم أيها المجرمون فاضطرب ومات وسمع آخر قارئا يقرأ وأما الذين سعدوا ففى الجنة فصاح ومات. وسمع آخر قارئا يقرأ وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا فصاح ومات . وسمع آخر قارئا يقرأ وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون فصاح ومات . «بيت» مفرد من الشعر

قضى الله فى القتلى قصاص دمائهم ولكن دماء العاشقين جبار

لو حضر قلبك لما شرحنا لاسترحنا يامن قد ضاع قلبه انشده فى مجالس الذكر فان لم تجده فبين القبور فان لم تجده ففى البرية. اخرج عن ديار ادبارك ساعة الى فلوات الخلوات ولا تصحب غير الذكر (شعر)

تعرض لاحقاف اللوى غير ساعة لعلك أن يلقاك قلبى فيهتدى

وسلم على ما به برد علتى فظل أراك كان الوصل موعدى

وعندكم ياقاتلون بقية على مهجة ان لم تمت فكأن قدى

ويا أهل نجد كيف بالغور عندكم بقاء تهامى يهيم بنجد

(قال) مالك بن دينار ماعوقب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب (وكان) على بن بكار يفرش له الفراش فيمسه ويقول والله انك لطيب ولكن والله لا علوتك الليلة (وكان) فتى من بنى تميم يحيي الليل كله فقالت له امه يابنى لو نمت من الليل شيأ فقال ياأماه انما أطلب الراحة فى الآخرة قالت يابنى خالف السهر أيام الحياة . ياقاعدين عنا ياراضين بالغير بدلا منا لو وفيتم بعهودنا مارميتم بصدودنا ولو كابتمونا بدموع الاسف لغفرنا لكم ماسلف (شعر)

ولو أنهم عند كشف القناع ... وحل العقود ونقض العهود
وخلعهم لعذار الهوى ... ولبسهم لبرود الصدود
أتونا وقالوا مضى مامضى ... وبلوا بفيض الدموع الخدود
لقلنا لهم مامضى لايعاد ... كذا شرطنا والتدانى يعود

ياهذا اعرف قدر ماضاع منك وابك بكاء من يدرى مقدار الغائب وقف على باب الافتقار ونادى الاسحار « شعر » « ٣ »

ان كانت عهود وصلكم قد درست ... فالروح من سواكم ماأنست
اغصان ودكم بقلبي غرست ... منوا بوصلكم والا يبست

ياسكران الهوى لو استنشقت ريح الاسحار لافاق سكرك حدث نفسك بأرض نجد يهن عليك عبور العقبة يامحصورا عن الوصول نادى النادى بصوت الذل « شعر »

أيها الداخلون فى ارض نجد ... وركاب النوى بهم تترامى
ان أتيتم أرض الحبيب فأهدوا ... لحبيبى تحية وسلاما
واطلبوا الى قلبي المشوق المعنى ... تجدوا فيه من هواهم سهاما

اجلس فى ظلام الليل بين يدى مالكك واستعمل فعل الاطفال اذا منعوا بكوا . تروح الى حديث المناجاة وابعث رسائل الاحزان واستغث بمولاك فانه قادر على كشف بلواك كريم من توسل اليه بطاعته تفضل عليه بنعمته ان أطاع قبله وان أضاع أمهله فان أقر شكره وان أصر وغاب ستره عزيز ما اليه خطوة ولا بدونه سلوة « شعر »

أفر اليك منك وان قلبي ... لحيران عليك بما لديكا

---

(٣) قوله ان كانت الخ دخله الخزم فى اوله وهو هنا زيادة سبب خفيف

واهرب من صدودك انت ركنى وابكى منك بل ابكى اليكا

ملك شهدت بجلاله جميع افعاله ونطق بجماله جميل افضاله ودلت على اثباته آياته وأخبرت عن صفاته مصنوعاته كريم من توكل عليه كفاه ومن التجأ اليه آواه ومن سأله اعطاه ومن قصده اداناه بدأ المؤمنين بالاحسان وكتب فى قلوبهم الايمان وخصصهم بنعمة العرفان ( شعر )

وكم باسطين الى وصلنا اكفهم لم ينالوا المنى
قطعناهم ووصلنا كم فكانوا بعيدا وكنتم لنا

كم نعترف اليك وانت تتجاهل وندعوك وانت تتصامم وكم من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون أفلا تعقلون أفلا تبصرون عبدى كل يريدك له وانا أريدك لك وانت تفر منى فما انصفتنى عبدى انا وحقى لك محب فبحقى عليك كن لى محبا كن لنا وبنا واذا كنت لنا فلا تحتفل بغيرنا اذكر من منحك الايمان واعطاك وجردك عن الشرك وعراك فمن اين كان لك الاسلام والايمان والطاعة والاحسان لولا ما اعطاك من التصديق وخلق فى قلبك من التحقيق شعر

سقيا لعهدك بالذى لو لم يكن ما كان قلبى للصبابة معهدا
قسما بحبك لا نسيت عهوده كلا ولا يممت دونك مقصدا
كتمت حتى ضاع صبرى فى الهوى انت الحبيب انعم على رغم العدا
فاحكم بما ترضى فانك مالكى فبحق جودك لا تكن لى مبعدا

الهى لو اردت اهانتنا لم تهدنا ولو اردت فضيحتنا لم تسترنا فتمم اللهم ما به بدأتنا ولا تسلبنا ما به اكرمتنا (شعر)

ايا من كسا قلبى من الحب خلعة وآمننى فى لبسة الدهر ان تبلى
وياعوضى من كل سفر وحاضر وياخلفى من كل من صرم الحبلا

الهى عرفتنا بربوبيتك ونعمتنا بذكرك وإنسك وغرقتنا فى بحار فضلك ورحمتك ودعوتنا الى دار قدسك الهى أن ظلمة ظلمنا لانفسنا قد عمت وبحار الغفلة على قلوبنا قد طمت فالعجز شامل والحصر حاصل والتسليم اسلم وانت بالحال اعلم الهى ما عصيناك جهلا بعقابك ولا تعرضا لعذابك ولا استخفافا بقدرك ولكن

سولت لنا نفوسنا واعانتها شقوتنا فغرتنا سترك علينا فالآن من عذابك من ينقذنا وبحبل من نعتصم ان قطعت حبلك عنا واخجلتنا من الوقوف غدا بين يديك اذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا الهي ان كنا قد عصيناك بجهل فها نحن قد دعوناك بعقل حيث علمنا ان لنا ربا يغفر الذنوب ولا يبالي الهي تحرق بالنار وجها كان مصليا أو لسانا كان ذلك ذاكرا وداعيا لا بالذي دلنا عليك ورغبنا فيما أمرنا بالخضوع بين يديك وهو محمد خاتم انبيائك وسيد اصفيائك فان حقه علينا اعظم الحقوق بعد حقك كما ان منزلته لديك أشرف منازل خلقك صل يارب على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وارحم عبادا غرهم طول امهالك واطمعتهم كثرة افضالك وذلوا العزك وجمالك وجلالك ومدوا اكفهم لطلب نوالك ولولا هدايتك لم يصلوا الى ذلك اغفر اللهم لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

## الفصل الحادي والعشرون في الاصطبار

الحمد لله الذي شهدت بوجوده آياته الباهرة ودلت على كرم جوده نعمة الباطنة والظاهرة وسبحت بحمده الافلاك الدائرة والرياح السائرة والسحب الماطرة والرياض الناضرة هو الاول فله الخلق والامر والآخر فاليه الرجوع يوم الحشر والظاهر فله الحكم والقهر الباطن يعلم السر والجهر والالسن عن وصف كبريائه قاصرة تحيرت دون صمديته الالباب وانقطعت عند جبروته الانساب وخضعت لعزته الرقاب وذلت لربوبيته الارباب فالعقول في تعظيمه وجلاله حائرة القدوس الواحد الاحد الحي القيوم الصمد الغني الذي لا يضره جحود من جحد العزيز الذي نضر وجه من تذلل بين يديه ووجوه الجاحدين والمشبهين باسره قرب أولياء من بساط افضاله ولقاهم السرور بيمن اقباله واحيا قلوبهم بشهود جماله وعاملهم بجزيل نواله فهم جنة عاجلة عاطرة الناس في مهاد الغفلة رقودهم بين قيام وركوع وسجود واشواق واملاق ووجود يسألون المولى فيعطف وبجود فاعينهم في الليل ساهرة حجب قلوب الغافلين بحب العاجلة فهي عن النظر في آلائه غافلة وصرف اسرارهم فهي عن جبلية العرفان عاطلة وحرمهم من أنس المناجاة ولذة المعاملة واغشى بصائرهم

فهى غير ناظرة ما حيلة من طرد عن الباب ما يصنع من قطع عن الاحباب ما وسيلة من حق عليه حكم الكتاب فما يزعجه التعنيف والعتاب ياخيبة من لم يكن مولاه ناصره السباق سبق السابقون واللاحاق اللاحاق قد أفلح المتقون والجد الجد فما يغنى السكون والحذر الحذر فما أنتم مهملون فالمبادرة عباد الله المبادرة تعب العالمون قليلا وجهدوا نم وصلوا ونالوا ما قصدوا فحطوا واستراحوا وحمدوا فما أقل تعبهم فى جنب ما وجدوا الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فسبحان من أعطى ومنع وخفض ورفع وفرق وجمع ووصل وقطع وبحكمه ربحت الطائفة الرابحة وخسرت الطائفة الخاسرة أضحك وابكى وأمات واحيا واغنى واقنى واوجد وافنى واباد بسطوته الامم الغابرة (احمده) على ما اولى من النعم واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له اله تفرد بالبقاء والقدم واشهد ان محمداً عبده ورسوله وحبيبه وخليله المبعوث الى كافة الامم من العرب والعجم صلى الله عليه وعلى آله واصحابه كواكب الهدى الزاهرة صلاة دائمة باقية الى يوم الوقوف بالساهرة « فى قول الله تعالى رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا » مالك السموات والارض وما فيهما وما بينهما من الاعيان والآثار فمن ذا الذى يعبد غيره او يقصد فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا اى شبيها هل تعلم احدا غير الله يسمى الله فلا يجمل التذلل الا الله ولا ترفع الحوائج الا الى الله والاصطبار غاية الصبر وهو الصبر على الاحكام والاوامر وعن المنهيات فى الباطن والظاهر ومن صبر ظفر ومن لازم الباب وصل (شعر)

وقل من جد فى شىء يحاوله فاستعمل الصبر الافاز بالظفر

ولما كان المعبود سبحانه وتعالى لا سمى له ولا نظير له حق للعابدين ان لا يذروا مقدورا فى طاعته الا بذلوه ولا يغادروا ميسورا فى طلبه الا تحملوه ولا يحق بذل المهج الا فى طلب الاعز يحق للدموع ان تتقطر على فوات قربته كما يحق للقلوب ان تتفطر من خوف فرقته ( شعر )

سهر العيون لغير حبك باطل وبكاؤهن لغير هجرك ضائع

أنت الحبيب فان مننت بنظرة  اضحت كان لم تذر هن مدامع

أيها الفقير لازم باب مولاك وانقطع اليه واعتمد فى جميع احوالك عليه لمن تدخر مجهودك اذا لم تطلب معبودك هل تعلم له سميا فى صفات جلاله أو شريكا فى أفعاله أو شبيها فى افضاله ان دعوته اجابك وان اطعته اثابك وان عصيته امهلك وان رجعت اليه قبلك اصطفاك فى القدم وعصمك من السجود للصنم وجعلك محلا للجود والكرم واختياره لك مكتوب بخط واضح غير ان استخراجك ضعيف متى رمت طلبه فاطلبه عندك ويسعنى قلب عبدى المؤمن يا من عاملنا مدة ثم قطع وواصلنا زمانا ثم رجع يا ليتك بعتنا بشىء ( شعر )

لقد ضيعت حظك من وصالى  وبعت بابخس الاثمان كنزا
فكيف رضيت ياهذا بدونى  وقربك من جنابى كان عزا
ستعرفنى اذا جربت غيرى  وتعلم اننى لك كنت حرزا

ابن سيرين يقول اشتهى سردابا اخلو فيه بربى ياهذا أنا احدثك عن سيدك بالنهار فاستمع انت منه بالليل يا متشبها بالزهاد فى ثيابهم وسيمتهم لا فى نياتهم ووقتهم ماعندك من الرهبانية الا بناء الصومعة تأوى فيها الصوص التصنع ياهذا الرضا بالمزبلة من اليله لو سرت عن هواك لحظة لاحت لك الاعلام هذا مرتع الاحباب فارتع وهذا موقف العتاب فاسمع ( شعر )

انهض فهذى عذبات رامة  وماؤها العذب الزلال البارد
وانشد هناك لى فؤادا ضائعا  لولا الهوى ماضل ثم ناشد

( أين ) العباد أين الزهاد أين العارفون أين المحبون لا اله الا الله وقع القحط فى الرجال ( كان ) سلفنا الاخيار فلولاهم لافتضح المتأخرون ( كانت ) رابعة العدوية تحيى الليل كله فقال لها أحمد بن أبى الحوارى انما ادركت الرجال ينامون أول الليل فقالت انما أدعى فاجيب وقال سليمان لولا الليل ما أحببت البقاء فى الدنيا وصام داود بن أبى هند اربعين سنة لم يعلم الناس ولا أهل بيته كان يأخذ الخبز ويخرج فيتصدق به فيظن الناس أنه يأكل فى البيت ويظن أهل بيته انه يأكل مع الناس ( شعر )

ومستخبر عن سر ليلى رددته  فاصبح من ليلى بغير يقين
يقولون اخبرنا فانت امينها  وما أنا ان اخبرتهم بأمين

واشوقاه الى تلك الاشباح ملام على تلك الارواح رحل اولئك السادة وبقى قرناء الوسادة كم حول معروف من مدفون ذهب اسمه لما ذهب جسمه ومعروف معروف لابقاء للاعمال الا بالاخلاص وعمل المرائى كالبصلة كلها قشور اصحاب القلوب ارباب اشارات «وقف» بعضهم على الشط ببغداد فسمع رجلا يقول يا ملاح احملنى الى دار الملك فقال الملاح معى قوم للقطيعة فصاح الفقير لا بالله أنا منذ اربعين سنة افر منها «قيل» لذى النون المصرى أين انت من يوم ألست بربكم فقال كانها الساعة فى أذنى يا منقطعين عن القوم سيروا فى بلاد الرجال وانزلوا وادى الذل لاتملوا الوقوف بالباب ولو طردتم ولا تقطعوا الاعتذار ولو رددتم فاذا فتح الباب للواصلين فابسطوا أكف الافتقار وقولوا وتصدق علينا فلعل منادى القبول يقول لا تثريب عليكم اليوم احزان المحبين دائمة وآماقهم بالدموع دامية لاراحة للمحب الا بلقاء حبيبه • ضحك بعض الصالحين يوما ثم فكر فقال ضحكت وما جزت العقبة والله لاضحكت حتى اعلم بماذا تقع الواقعة «شعر»

يانسيم الشمال بالله بلغ  مايقول المتيم المستهام
قل لاحبابنا تركتم محبا  ليس يسلو ومقلة لاتنام
كل انس ولذة وسرور  قبل لقياكم علىّ حرام

وكان عطاء السلمى يبكى حتى لايقدر ان يبكى اذا هبت رياح الخوف اقلقت قلوب العارفين فلم تترك ثمرة دمع فى غصن جفن اذا نزل آب فى القلب سكن اداره فى العين وكان فتح الموصلى يبكى حتى يبكى الدم فقيل له لم بكيت الدم قال خوفا على الدموع ان تكون ماصحت لى «شعر»

يامنفذا ماء الجفو  ن وكنت انفقه عليه
ان لم تكن عينى فانت  اعز من نظرت اليه

اذا خيم سلطان المعرفة بقاع القلب صارت بقاعه السباخ رياضا «شعر»

ساكن فى القلب يعمره  لست انساه فاذكره

حاضر عندى يساومنى وسويدا القلب تبصره
قلت للعذال اذ امروا بسلو عز ايسره
مالكى فى القلب مسكنه فسلوى كيف اضمره

اذا نزل الحبيب ديار السرواء اخرج منها الذلاء « شعر »

حبيب لايعادله حبيب ولالسواه فى قلبى نصيب
حبيب غاب عن عينى وشخصى وعن قلبى حبيبى لايغيب

حينئذ يمتلئ القلب بالمحبة فلا يسع غيرها ويسير الذكر سمير القلب شعر

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى وابحت جسمى من اراد جلوسى
فالجسم منى للجليس مؤانس وحبيب قلبى فى الفؤاد انيسى

يامن ابعدته الذنوب عن ديار الانس ابك على وطن الوطر عساك ترد (شعر)

يابعيد الدار عن وطنه مفردا يبكى على شجنه
كلما جد النحيب به زادت الاسقام فى بدنه

لما اذنب داود بكى حتى انبت العشب من دموعه ( شعر )

سيان أن لاموا وان عذلوا مالى عن الاحباب مصطبر
لابد لى منهم وان تركوا قلبى بنار الشوق يستعر

هجر جميع لذاته فلم يلتفت الى روحه ولم يعرج على شهوة ولم يزايل البكاء والضراعة حتى استحال حلو العيش مرا (شعر)

واذا سحابة هجركم قد ابرقت تركت حلاوة كل قلب علقما

(كان) داود مسرورا بسلامته مبتهجا بعصمته فكان يقول اللهم لاتغفر للخاطئين فلما رمته أسهم المقادير صار يقول اللهم اغفر للمذنبين عسى أن يغفر لداود معهم فكان يؤتى بالاناء ناقصا فيتمه بالدموع (وكان) داود اذا أراد النياحة ينادى مناديه فى أندية المذنبين فيجتمعون فى مأتم الندم فيزداد الحزن بالتعاون (وكان) يقول الهى خرجت اسأل اطباء عبادك يداووننى فكلهم دلونى عليك الهى امدد عينى بالدموع وضعفى بالقوة حتى ابلغ رضاك عنى ( شعر)

يامن تجنب صبرى من تجنبه هب لى من الدمع ما ابكى عليك به
حتى متى زفراتى فى تصعدها الى الممات فدمعى فى تصوبه
ولى فؤاد اذا لج الغرام به هام اشتياقا الى لقيا معذبه

مازال يغسل العين بدمع العين وكلما رفع قصة غصته جا الجواب بزيادة الجوى يستغيث وينادى حتى أقلق الحاضر والبادى شعر

ان شفيعى اليك منى دموع عينى وحسن ظنى
فبالذى قادنى ذليلا اليك الا عفوت عنى

يامعشر المذنبين تعرضون عنا ونقبل عليكم وتبارزونا ونستر عليكم وتنفقون نعمنا على مخالفتنا ونحدكم وتبعدون عن بابنا ونستدنيكم وتتأونعنا ونتعرض لكم هل من تائب هل من مستغفر هل من سائل

أيامن أعرضوا عنا بلا جرم ولا معنى
وان عادوا لنا عدنا وان خانوا فما خنا
وان كانوا قد استغنوا فأنا عنهم أغنى
أساؤا ظنهم جهلا فهلا احسنوا الظنا

ياحاضرا كغائب اذا رأيت التائبين قد تأهبوا للرحيل عن ديار الهوى فابك على نخلفك ويحك فاض النهر فاعبر قبل الغرق اتدرى ماالذى ازعج هذا التائب واى كتاب اقدم هذا الغائب واى عتاب اجرى دمعه الساكب تذكر عهد الست بربكم فحن وتفكر فى بعده عن الحبيب فأن (شعر)

سرى نسيم الصبا من حاجر فصبا وبات يشكوا الى انفاسه الوصبا
ذو صبوة لم يشم برق الشآم ولا دعا ابن ورقاء الاصاح واحربا
مايبرح البارق النجدى يذكره نجدا ويطربه وجدا اذا التهبا
يود لو ان ايام الحمى رجعت وكيف يرجع عيش بعد ماذهبا

اللهم اجمع شتات قلوبنا بحسن عنايتك واحى اموات اسرارنا بغيث ولايتك ولاتطردنا بعيوبنا عن ولائم كرامتك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين

## الفصل الثانى والعشرون فى الاسف وذكر آدم

الحمد لله العليم الحليم الرحمن الرحيم الحكيم الحميد الولى القوى الغنى الحفى

العلى المجيد الاول فلا بداية لكبريائه الآخر فلا نهاية لبقائه الظاهر بما أظهر من آياته وآلائه الباطن فلا يحيط العقل بحقيقة ثنائه الفكر عن حمى قدسه بعيد الواحد الاحد القدوس الصمد الحي العليم القدير السميع البصير الفعال لما يريد المتكلم بكلام قديم أزلي جل عن التكييف والتحديد صفاته ثابتة بالادلة فمن عطل فهو عن الحق بعيد وتنزيهه عن صفات الحدوث معلوم فمن شبه فقد شابه أباجهل والوليد تبارك ذو العز والجلال وتنزه عن مشابهة العبيد قسم عطاءه بين خلقه فقوى وضعيف ودني وشريف وغني وفقير وغوي ورشيد وغافل وشاكر وذاهل وعاقل وناس وذاكر ومعذب ومقرب وشقي وسعيد نور قلوب المؤمنين بالايمان وخلع عليهم خلع الرضوان ووعدهم دار الامان لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد وحجب الغافلين عن خدمته وابعدهم عن نعيم حضرته فشتان بين قريب وطريد يا حسرة من حرم جميل الوداد ورمي بالطرد والبعاد وحق عليه الوعيد فهو يتردد في اودية الحرمان ويتعثر في اذيال الخذلان ويشتعل بما لا يفيد الا ان هجر الحبيب لاليم شديد وان بحر الصدود لطويل مديد تغرق عند تلاطم امواجه مراكب الصبر ويكل كل بصر حديد فسبحان من ايد الفائزين برياح السلامة فاقلعوا في سفن الكرامة ويسر لهم المسلك السعيد فوصلوا الى روضة الوصال وعاشوا بنسيم الاقبال ففي كل وقت لهم يوم عيد وآخر وزاعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا تابوا وسمعوا منادي الكرم فاجابوا وعلموا ان المولى اقرب من حبل الوريد فهبت على قلوبهم رياح العناية وسقت رياض اسرارهم سحاب العناية فاورق فيها كل غصن نضيد وكمل سرورهم لما علموا ان من احيا ارضا ميتة فهي له وانه هو يبدئ ويعيد (احمده) على جميل نواله وجميع افضاله ففي كل نفس علينا منه مزيد وفضل جديد واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة صادرة عن اخلاص وتوحيد واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارغم بعز سلطانه كل جبار عنيد واخمد بنور برهانه نار كل شيطان مريد وايده بالمعجزات الظاهرة وامده بالنصر والتأييد صلى الله عليه وعلى آله واصحابه صلاة دائمة التأكيد كما يسر لهم طريق السعادة ومهدها احسن تمهيد (في قوله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما) خلق الله تعالى آدم من طين من

أنواع الارض فبقى جسده ملقى على باب الجنة أربعين سنة وكانت الملائكة تمر فتعجب منه لانهم لم يروا مثل صورته قط فمر به ابليس فقال لامر ماخلقت ثم ضربه بيده فاذا هو خلق مجوف فقال لمن معه من الملائكة هذا خلق مجوف لايثبت ولايتماسك أرأيتم ان فضل هذا عليكم قالوا نطيع امر ربنا فقال ابليس فى نفسه والله اطيعه ولئن فضل هذا على لاهلكنه فذلك قوله تعالى واعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون اى ماأسر ابليس فى نفسه والله لااطيعه وذلك من الكبر والعداوة ثم نفخت الروح فى جسده فدخلت فى دماغه ثم نزلت الى عينه فنظر الى بدء خلقه وأصله حتى لايعجب بنفسه اذا أكرمه الله تعالى ثم نزلت الروح الى خياشيمه فعطس ونزلت الى فيه فالهمه الله تعالى فقال الحمد لله رب العالمين وهو أول ماجرى على لسانه فقال له الله عز وجل يرحمك ربك يا آدم للرحمة خلقت فهو قوله عز وجل رحمتى سبقت غضبى وقوله ولذلك خلقهم اى للرحمة خلقهم ثم انتشرت الروح فى سائر جسده فصار لحما ودما فكساه الله تعالى لباسا من الظفر يزداد كل يوم حسنا ثم ألبسه الله تعالى من لباس الجنة وكساه الله نورا كنور الشمس وكان نور محمد ﷺ يلمع من جبينه فغلب على سائر نوره ثم رفعه على سرير وحمله على اكتاف الملائكة وامرهم فطافوا به فى السموات ليرى عجائب الملكوت ثم علمه اسماء جميع المخلوقات ثم امر الملائكة بالسجود له فسجدوا الا ابليس فطرد الله ابليس وابعده واسكن آدم الجنة ثم خلق له حواء زوجته من ضلع من اضلاعه اليسرى وهو نائم فاستيقظ فرآها فسكن اليها ومد يده فقالت الملائكة مه يا آدم فقال لم وقد خلقها الله تعالى لى فقالوا حتى تؤدى مهرها قال ومامهرها قالوا تصلى على محمد ثلاث مرات ثم ان الله تعالى اباح لهم نعيم الجنة ونهاهما عن شجرة الحنطة فحسدهما ابليس فهو اول من تكبر واول من حسد فأتى الى باب الجنة فوجد الطاوس فوقف معه وبكى فقال وما يبكيك قال أبكى على الخلائق فانهم كلهم يموتون الا من أكل من شجرة الخلد فهو أيضا اول من كذب فقال له الطاوس اين هذه الشجرة قال ان ادخلتنى الجنة أريتك الشجرة قال لا أقدر على ذلك ولكنى اقول للحية فانها تدخل وتخرج فى خدمة خليفة الله

آدم فكانت الحية يومئذ من احسن الدواب فأتى الى الحية فأخبرها فخرجت الحية وتحول ابليس ريحا فدخل بين انيابها حتى اتى آدم وحواء فوقف وناح نياحة احزنتهما فهو ايضا اول من ناح فقالا له ما يبكيك قال عليكما تموتان وتفارقان النعيم الأدلكما على شجرة الخلد فكلا منها وحلف لهما فانه لناصح لهما فهو أيضا اول من حلف كاذبا وغش فاكلت حواء ثم زينت لآدم حتى اكل وظنا ان احدا لا يتجاسر ويحلف بالله كاذبا فعوقبا بعشرة اشياء (الاول) عتاب الله تعالى لهما بقوله لهما ألم انهكما عن تلكما الشجرة (الثانى) سقوط لباس الجنة عنهما حتى بدت لهما سوآتهما (الثالث) سلب النور عنهما (الرابع) اخراجهما من الجنة فقال الله تعالى اخرجوا آدم وحواء من جواري فانه لا يجاورني من عصاني فاهبط آدم بسرنديب من الهند وحواء بجدة وابليس بالايلة وهى البصرة وقيل ببيسان والحية باصبهان والطاوس ببابل (الخامس) الفرقة بينه وبين حواء مائة سنة حتى اجتمعا بالمزدلفة فلذلك سميت جمعا وتعارفا بنعمان ولذلك سميت عرفة (السادس) العداوة بين آدم وابليس والحية (السابع) النداء عليهما بالمعصية فى كتاب الله تعالى (وروى) ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام تذكر ليلة فى امر آدم فقال يارب خلقت آدم بيدك ونفخت فيه من روحك واسجدت له ملائكتك واسكنته جنتك بلا عمل ثم بزلة واحدة ناديت عليه بالمعصية واخرجته من الجنة فأوحى الله تعالى اليه يا ابراهيم اما علمت ان مخالفة الحبيب للحبيب امر شديد (الثامن) تسليط ابليس على اولاده بالاغواء (التاسع) جعل الله تعالى الدنيا سجنا للمؤمن منهم (العاشر) تعبهم فى طلب القوت الا أن آدم عليه الصلاة والسلام كان عند الله تعالى حبيبا فاجتباه وتاب عليه وهداه وعوقب ابليس بعشرة اشياء (الاول) عزله من الولاية فكان مقدما على ملائكة سماء الدنيا وملائكة الارض وخازنا من خزان الجنة فعزله الله تعالى (الثانى) منعه من الجنة فلا يعود اليها أبدا (الثالث) مسخه فصار شيطانا (الرابع) غير اسمه فكان اسمه عزازيل فسماه ابليس والابلاس الاياس من الرحمة (الخامس) جعله امام الاشقياء فلا يتبعه الا شقى (السادس) لعنه الى يوم القيامة (السابع) سلبه المعرفة فلم يبق عنده من العلم شيء ولا ذرة (الثامن) اغلق عنه باب التوبة (التاسع) جعله مريدا اى خاليا من كل خير (العاشر) جعله خطيب اهل النار

ويقال (شق ابليس) بخمسة اشياء اعترف بذنبه ورأى ان التوبة واجبة عليه وتاب الى الله تعالى وتواضع لله ولم يقنط من رحمة الله قال وهب بن منبه لما اهبط آدم الى الارض مكث سبعة ايام لا ترقاله دمعة وهو منكس الرأس فأوحى الله تعالى اليه ما هذا الذى اراه بك من الجهد بفتح الجيم الشدة ويضمها الطاقة والقوة قال آدم يارب عظمت مصيبتى واحاطت بى خطيئتى واخرجت من ملكوت ربى فصرت فى دار الهوان بعد الكرامة وفى دار الشقاء بعد السعادة وفى دار النصب بعد الراحة وفى دار البلاء بعد العافية فكيف لا ابكى على خطيئتى فأوحى الله تعالى اليه يا آدم الم أكن اصطفيتك لنفسى واحللتك دارى وخصصتك بكرامتى وحذرتك سخطى الم اخلقك بيدى ونفخت فيك من روحى واسجدت لك ملائكتى فعصيت امرى ونسيت عهدى وتعرضت لسخطى فوعزتى وجلالى لو ملأت الارض رجالا كلهم مثلك يعبدوننى ويسبحوننى ثم عصونى لانزلتهم منازل العاصين فبكى آدم على ذلك ثلثمائة سنة اجلس ادم على سرير المملكة فمديده الى لقمة نهى عنها فاخرج من الجنة فيا بنيه احذروا بلية المعاصى فهى التى نزلت به فنزلت به حطته عن مرتبة اسجد والآدم الى اهبط منها جاء من سجدله بالامس يجر ناصيته للاخراج ولسان حاله يستغيث ببيت مفرد (شعر)

حداة العيس رفقا بالاسير ليغنم نظرة قبل المسير

اقام فى الارض يبكى على فقد موطن الفرح وكلما رأى جبرائيل عليه الصلاة والسلام قال لسان شوقه .الا ياصبا نجد متى هجت من نجد . كان كلما رأى الملائكة تصعد وجناحه مقصوص زاد قلقه واعظم البلاء على المشتاق ترداد الركب الى بلاد الحبيب وهو محبوس كان يستنشق من القادمين ريح الوصال ويسأل سؤال متحسر على الديار ( شعر )

حدثانى عن العقيق حديثا انما بالعقيق أقرب عهدا

كان آدم عليه الصلاة والسلام يقول لولده يا بنى طال والله حزنى على دار أخرجت منها فلو رأيتها زهقت روحك كان اولاده يتعجبون من طول

بكائه ومن لم ير يوسف لم يعذر يعقوب (شعر)

أرضينا بثنيات اللهوى عن ورود يا لها صفقة غبن

ما اندفع عن آدم بلاء وعصى آدم بكمال وعلم ولا ردعنه عزا سجدوا لآدم وانما خلصه ذل قوله ربنا ظلمنا أنفسنا لم يزل منذ نزل يرفع قصص الغصص تحملها رسائل الاسف (شعر)

ألا يا نسيم الريح ان كنت محسنا تحمل الى أرض الحجاز سلامي

واني لارضى ان اكون بارضهم على أنني منها استعد سقامي

الدنيا دار فرقة كم لمن جرع لذاتها من سرقة كم عاش فيها آدم باكيا وقام فيها نوح نائحا وصار داود نادبا ويات يعقوب للحبيب مفارقا كان عيش يعقوب بيوسف سليما فمذ فارقه صار سقيما بقي ثمانين سنة لم يلتذ بنوم ولا سنة لما فقد المنظور ذهب الناظر لما دخلوا عليه فاقبل عليهم مسائلا واقبل الدمع سائلا وتقلقل الواجد ليسمع اخبار الوالد فلما جاؤا وبلغوه السلام عن يعقوب انتقض طائر الوجد لذكر المحبوب فرد السلام قلبه قبل لسانه لما كشف يعقوب ستر الوجد بكف اني لاجد ريح يوسف احدقت به عوازل تفتؤ تذكر يوسف فخاربهم بسلاح وأعلم من الله ما لا تعلمون تالله لو وجدوا ما وجد لما أنكروا ما عرف من تعرض للمحبة فليغرس شجر الصبر فانها اذا انتهت اثمرت رطبا يا هذا جز بنادي المحبة وزد القوم تراهم كالفرش تحت النيران أرواح ازعجها الحب فاقلقها الخوف سبحان من يمسكها بلطفه (كان) أويس القرني يهرب من الناس مشتغلا بحبيبه حتى قالوا مجنون (شعر)

ولقيت في حبيبك ما لم يلقه في حب ليلى قيسها المجنون

لكنني لم اتبع وحش الفلا كفعال قيس والجنون فنون

(وكان) يرى الناس ينسبونه الى الجنون والمحبة تنهاه ان يفسر ما استعجم (شعر)

اتهم وجدي وهم بي اعلم وارجو شفائي منهم وهم هم

وكم عذلوني فيهم غير مرة فقلت لهم والله بالسر اعلم

اذا كان قلبي موثقا بخيالهم وروحي لديهم كيف افهم عنكم
فان شئتم وان تعدلوا فتواصلوا الى ان يعود القلب لا يتكلم

وصف رسول الله ﷺ لاصحابه حلية اويس القرني فقوى شوق عمر وعلي رضي الله تعالى عنهما الى لقائه فكانا في كل عام يسألان عنه اهل اليمن فلما كان آخر حجة حجها عمر وعلي رضي الله عنهما وجداه بعرفة فتعارفوا فقال له عمر مكانك حتى آتيك بنفقة فقال لا اراك بعدها (شعر)

ان كانت العين مذ فارقتكم نظرت الى سوى حسنكم قد خنت في نظري
سلها هل اكتحلت من منظر حسن سوى جمالك يا سمعي ويا بصري
فارددها كحلها الشافي فناظرها سهران يقنع بعد العين بالأثر

يا هائما في بيداء الهوى ليس الطريق ان تنفق عمرك في التفريط انفاق البرامكة وتشح بدنياك شح الحاجب ويحك من قبل فم اللذة عضته أسنان الندامة. يا عجمي الذهن وافق عرب الفطنة الى متى انت من المتلونين الى متى تضاف مع النظاف انت مع تقصيرك تأمن وكانوا مع الاجتهاد يخافون وأنت مع ذنوبك تضحك وهم مع الطاعة يبكون دموع الخائفين محبوسة بالنهار فاذا جن الليل عربد الوجد في ابدانهم فاستلب اللحم وارسل الدمع ثم اشتعل بالعين فصارت شرارة فوقع الحزن في البواطن. قيل لزيد بن هرون كم حزبك من الليل فقال اوانام منه شيئا الا نامت عيناي ابدا (شعر)

سلوا عين طرفي ان سألتم عن الكرى فالجفون العاشقين منام

قلوب القوم مملوأة بحبه فان نطقوا فبذكره وان تحركوا فبأمره وان فرحوا فلقربه وان حزنوا فلعتبه لا يصبرون عن مناجاته لحظة ولا يتكلمون في غير رضاه بلفظة ولما تمكنت نار المحبة في قلب موسى عليه الصلاة والسلام صوب نار الطور فاسرع اليها ليقتبس فاحتبس فلما نودي في النادي اشتاق الى المنادي. كان عليه الصلاة والسلام يطوف في بني اسرائيل ويقول من يحمل لي رسالة الى ربي ومراده ان تطول المناجاة مع الحبيب فلما مر عليه نبينا محمد ﷺ ليلة المعراج رددوه في امر الصلاة ليسعد بكثرة رؤية حبيب الحبيب. الشوق ينحل بالابدان ويقلقل القلوب (وكان) فتح الموصلي يبكي ويقول قد طال شوقي اليك فعجل قدومي عليك الجأهم الشوق الى الاستقامة

(قال) بعض الصالحين لقيت غلاما فى طريق مكة فقلت له يافتى اما تستوحش وحدك قال الانس بالله قطع عنى كل وحشة قلت اين القاك قال فى الآخرة قلت اين اطلبك قال فى زمرة الناظرين الى الله تعالى انى غضضت طرفى عن كل محرم فسألته ان يرزقنى ان النظر اليه وصاح صيحة فغاب عن عينى: ياهذا ما خلقت للدنيا فلا تألف منزلا لا تصلح به الاقامة رفيقك قيمى وانت يمانى. من لاح له جمال الآخرة هان عليه فراق الدنيا اذا لاح للباشق صيد نسى ما ألوف الكف: باقدام الصبر احملنى فما بقى الا القليل. تذكر حلاوة الراحة يهن عليك مر السرى ضجت الملائكة حين القى ابراهيم الخليل فى النار وقالوا يارب ائذن لنا ان ندفع عنه فقال الله ان استغاث بكم فاغيثوه فلما رآه جبرائيل وقد ودع بلد ان العادة ظن ضعف أقدام التوا كل فعرض عليه ألك حاجة فرده بانفة اما اليك فلا قال فاسأل مولاك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى (شعر)

تملكوا واحتكموا ... وصار قلبى لهم
تصرفوا فى عبدهم ... فلا يقال ظلموا
ان وصلوا محبهم ... او هجروا فهم هم
قد اودعوا سر فؤا ... دى حبهم واستمكنوا
ياأرض سلى عن جيرتى ... وحدثينى عنهم
ياليت شعرى اذ غدوا ... وانجدوا لم اتهموا
ماضرهم حين سروا ... لو وقفوا وسلموا

أبدان المحبين بينكم وقلوبهم فى السفر (شعر)

ان قومى يوم باتوا ... فرقوا بينى وبينى
أخذوا قلبى وروحى ... ولهم سمعى وعينى
فاذا كنت انا الرا ... هن من يقبض دينى

لما عرف الصالحون قدر قيمة الحياة أماتوا الهوى فعاشوا كان أحدهم اذا قهر نفسه بترك شهوة اهتز اهتزاز الرامى انتهبوا با كف الجد من الزمن ما نتهز زمن البطالة هان عليهم طول الطريق لعلمهم أين المقصد فيا بشراهم هذا يومكم الذى كنتم توعدون (شعر)

لم تبق فيهم حرارات الهوى وجوى الـ أحزان غير خيالات واشباح
تكاد تنكرهم عين الخبير بهم لولا تردد انفاس وارواح
كانوا كلما دخلوا سكة من سكك السكون شرع بهم الخوف فى شارع القلق

(شعر)

حبكم يبلبلنى والغرام يباينى كلما يئست أتى لطفكم يمنينى
ان طردت يا املى من سواك يدنينى قد اتيت بابكم فى شعار مسكين
والفؤاد يطلبكم طائعا ويعصينى ان ابح بحبكم فهو باح بى دونى

ياهذا لو اشرفت على وادى الدجال رأيت خيم القوم على شاطئ انهار البكا خلوا والله بالحبيب وطال الحديث يامتخلفا فى أعقاب القوم اربط على قطارهم عسى تصل معهم كانت لك ليالى مناجاة ثم قطعت المعاملة (شعر)

عودوا الى الوصل عودوا فالهجر صعب شديد

مكابدة البادية تهون عند ذكرى أكبر معين على طول الطريق نسيم دار الحبيب (شعر)

تولعى يانسمات نجد بالشيح من ذاك الحمى والرند
لعل رياك اذا ما نفحت تبدل حر لوعتى ببرد

(كان) الشبلى يبكى ويقول ليت شعرى ما اسمى عندك غدا ياعلام الغيوب وما انت صانع بى ياغفار الذنوب وبم يختم عملى يامقلب القلوب (شعر)

هجرانك قاتلى سريعا والهجر من الحبيب قاتل
ان كنت هجرتنى فعندى شغل بك ياحبيب شاغل
ياغاية منيتى وسؤالى ما انت بمن تحب فاعل

ياسحائب الدموع امطرى على ربع القلوب يامن فقد قلبه تحيل فى طلبه أبواب الملوك لاتطرق بالايدى بل بنفس المحتاج (قال) بعض الصالحين رأيت شابا فى سفح جبل وعليه آثار القلق فقلت له من اين انت قال انا عبد آبق هربت من مولاى قلت تعود الى مولاك وتعتذر قال لا وجه لى ولا حجة قلت تتعلق بمن

يستشفع لك قال بمن اتشفع والكل يخافون منه قلت من هذا قال المولى مولى ربانى صغيرا فلما كبرت عصيته كبيرا فواحيائى من حسن صنعه وقبح فعلى ثم صاح صيحة خرجت روحه فخرجت الينا عجوز فقالت من أعان على قتل البائس الحيران فقلت لها اقيم عندك اعينك على تجهيزه ودفنه فقالت لا خليه بين يدى قاتله عساه يراه بغير معين فيرحمه

## الفصل الثالث والعشرون فى المراقبة والانابة

الحمد لله الغنى الخفى القوى الولى الوفى العلى عن مداناة الاوهام العظيم الحليم الحكيم العليم الرحيم العلام الاول بوصف القدم الآخر فلا يجوز عليه العدم الظاهر فلا تخفى معرفته الا على من جحد وظلم الباطن فلا يحيط به الوصف ولا يناله الذهن ولا تدركه الافهام المنفرد باوصاف الكمال المتوحد بنعوت الجلال الصمد الذى لم يزل ولا يزال موصوف بالحياء والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام نور قلوب العارفين بضياء الالهام وايقظ اسرار القاصدين والاح لهم الاعلام وأشغل اسماعهم بلذة خطابه عن سماع الملام واستنهض عزائمهم فساروا فى حنادس الظلام حاديهم الوجد ودليلهم القصد وسائقهم الغرام شمروا حتى وصلوا وطلبوا حتى حصلوا ووقفوا حتى قبلوا وأهل الغفلة نيام ليس المقبول كالمطرود ولا المحبوب كالمردود ولا الوصال كالصدود ولا الخلى كالمستهام ليس من رضى بالغدر والجفاء كمن قام على حق الوفاء ورعى الذمام بينك وبين مولاك عهد الست بربكم وحفظ العهد من شيم الكرام وقد اوضح لك المحجة واكد عليك الحجة واسبغ عليك الانعام أفلا تستحى ممن أوجدك وحباك وعرفك وهداك وايدك ووالاك وخطبك وناداك ووعدك بشرف المقام وقال سبحانه وتعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام (احمده) على ما ألهم وانعم واكرم وابرم من الاحكام واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له اله جرت أفعاله على الاتقان والاحكام وأشهد ان محمدا عبده ورسوله الذى أقام به أركان الاسلام وابطل به الازلال والاصنام صلى الله عليه وعلى آله واصحابه

هداة الانام صلاة دائمة باقية على ممر الليالى والايام : (فى قول الله عزوجل واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور وقوله تعالى واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم) : المراقبة اصل عظيم من أصول التقوى وهو العلم بان الله يسمع ويعلم ويرى فاذا حصل هذا العلم فى القلب وتوالى فلم يعقبه غفلة وقوى حتى اثمر الحياء والهيبة والتعظيم للمولى فالعبد حينئذ مراقب ومنه قوله تعالى الم تعلم بان الله يرى ومنه قوله ﷺ الحياء من الايمان ومن ثمراته تخفيف الم البلوى والاكتفاء بعلم الله تعالى عن الشكوى وقوله فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا ومنه قول الخليل عليه الصلاة والسلام لجبريل عليه الصلاة والسلام حسبى من سؤالى علمه بحالى ومن ثمراته الاكتفاء بنصرة الله تعالى وحفظه وتدبيره فى دفع مكروه أو تحصيل مطلوب قال الله تعالى لموسى وهرون عليهما الصلاة والسلام انى معكما اسمع وأرى ومن ثمراته تسهيل المجاهدات على العابدين وقوله تعالى الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين وقد نبه الله تعالى على المراقبة بقوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه افضل الذكر ذكر الله عند ما حرم الله وفى بعض كتب الله المنزلة فقول الله سبحانه وتعالى ما انصفنى ابن آدم يدعونى فاستحى أن اردده ويعصينى ولا يستحى منى وفيها يقول الله تعالى عبدى انك ما استحييت منى انسيت الناس عيوبك وانسيت بقاع الارض ذنوبك ومحوت من أم الكتاب زلاتك ولم اناقشك للحساب يوم القيامة وفيها يقول الله تعالى ان كنتم تعلمون أنى لا انظر اليكم فالخلل فى ايمانكم وان كنتم تعلمون أنى انظر اليكم فلم جعلتمونى أهون الناظرين اليكم (شعر)

كن حبيبا اذا خلوت بذنب ... ليس يخفى على الرقيب الشهيد
أتهاونت بالاله ثديا ... وتواريت عن عيون العبيد
أقرأت القرآن ام لست تدرى ... ان مولاك دون حبل الوريد

(كان) الفضيل رحمه الله تعالى يقول يا مسكين تغلق بابك وترخى سترك

وتستحيي من الناس ولا تستحيي من الملكين اللذين معك ولا تستحيي من القرآن الذي في صدرك ولا تستحيي من الجليل وهو لا يخفى عليه خافية (وروى) ان رجلا حبشيا أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله كنت افعل الفواحش فهل لي من توبة قال نعم قال فهل كان الله يراني قال نعم فصاح الحبشي صيحة خر ميتا (وروى) ان الله تعالى يقول للشيخ يوم القيامة اذا وقف للحساب يا شيخ ما انصفتني غذيتك بالنعم صغيرا فلما كبرت عصيتني اما اني لا اكون لك كما كنت لنفسك اذهب فقد غفرت لك وانه ليؤتى بالشاب العاصي فاذا وقف تضعضعت اركانه واصطكت ركبتاه فيقول الله عز وجل اما استحييت مني اما راقبتني اما خشيت نقمتي اما علمت اني مطلع عليك خذوه الى امه الهاوية : ومر منصور بن عمار فوجد شابا يحدث امرأة فانصرف الشاب وتقدم منصور الى المرأة وكلمها ان تذهب معه الى بيته فمشت خلفه الى أن دخل منزله فقعدت ووقف منصور يصلي فطول عليها فلما سلم قالت له يا هذا طولت علي قال لها ما تقولين في رجل عليه حق باربعة شهود والحاكم يعلم به هل يقدر ان يمتنع عنه بجحود قالت لا والله قال فان معي ملكين ومعك ملكين والحاكم يعلم فاضطربت المرأة ووقعت ميتة . وكان طاوس اليماني بمكة فراودته امرأة عن نفسه فلم يزل حتى أتى بها الى المسجد الحرام والناس مجتمعون فقال لها اقضي ما تريدين قالت في هذا الموضع والناس ينظرون قال فالحياء من نظر الله احق فتابت المرأة وحسنت توبتها (شعر)

اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل ... خلوت ولكن قل علي رقيب

فلا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا ان ما تخفيه عنه يغيب

قال بعضهم مررت بجماعة يترامون وواحد جالس منفرد عنهم فتقدمت اليه فاردت ان اكلمه فقال ذكر الله اشهى قلت انك وحدك قال معي ربي وملكان قلت من سبق من هؤلاء قال من غفر الله له ثم قام ومشى وهو يقول اكثر خلقك متشاغل عنك وقال محمد بن خفيف خرجت من مصر الى الرملة لزيارة ابي علي الروذباري فقيل لي ان في الصور شابا وكهلا قد اجتمعا على المراقبة فاتيت الى الصور وانا جائع عطشان وفي وسطي خرقة فدخلت المسجد فوجدت شخصين قد استقبلا القبلة ورأساهما

على ركبتيهما فسلمت عليهما فرفع احدهما راسه الى وقال يا ابن خفيف الدنيا قليل وما بقى من القليل الا القليل فخذ من القليل للكثير فاقت عندهما ثلاثة ايام لم نأكل ولم نشرب ولم ننم ثم خطر لى ان اسألهما ان يعطانى فرفع احدهما رأسه وقال يا ابن خفيف نحن اصحاب مصيبة ليس لنا لسان للموعظة يا ابن خفيف عليك بصحبة من يذكرك الله رؤيته وتقع هيبته على قلبك ليعظك بلسان فعله لا بلسان قوله والسلام قم عنا وقال فرقد السبخى ان المنافق لينظر فاذا لم ير احدا دخل مدخل السوء واذا لم ير احدا بطش وانما يراقب الناس ولا يراقب الله عزوجل وان المؤمن يعلم أن الله معه ويعلم سره وعلانيته وانه يراه ويعلم نجواه فانما قلبه بين يدى الله عزوجل فسبحان من تفضل على قوم فقربهم ورفعهم واختصهم لخدمته واصفاهم وتكبر على قوم فاذلهم بحجابه ووضعهم وطردهم عن بابه ومنعهم وحسم باب الوصل وقطعهم ولقد جاءهم الانذار فما نفعهم ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم (وروى) فى الحديث ان من المؤمنين من يعطى كتابا مختوما بعدما يجوز الصراط فيه فعلت كذا وكذا وفعلت كذا وكذا وقد استحييت ان اظهره عليك اذهب فقد غفرت لك فسبحان من يعصيه العبد فيستحيى هو منه هل هذا الا محض الكرم (وقال) ذو النون علامة المراقبة ايثار ما آثر الله تعالى وتعظيم ما عظم الله وتصغير ما صغر الله وقال ابن عطاء افضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الاوقات وقال مالك بن دينار لقد استحييت من الله تعالى من كثرة ما اتردد الى الخلاء فوددت لو ان الله تعالى جعل رزقى فى حصاة امضغها حتى القى الله وكان بعضهم يصلى خارج المسجد فقيل له لم لا تدخل المسجد قال استحيى من الله ادخل بيته وقد عصيته (وحكى) ان بعض المشايخ كان يفضل واحدا من اصحابه ويخصه باقباله فينظر اصحابه الى ذلك فوقع فى نفوسهم شئ فأراد الشيخ ان يبين لهم رتبته فأعطى كل واحد منهم طائرا وامره ان يذبحه فى مكان لا يراه فيه احد فمضى كل واحد منهم وذبح طائره واتى ذلك الفقير بطائره غير مذبوح وقال يا سيدى امرتنى ان اذبحه فى مكان لا يرانى فيه احد واينما ذهبت فالله يرانى فعلموا ان الفقير الغالب عليه مراقبة الله تعالى «وكان» سهل بن عبد الله يقوم الليل مع خاله محمد بن سوار فاوصاه ان يقول الله معى الله ناظر الى الله شاهدى وامره ان يلازم هذا الذكر بقلبه فاذا له اثرا عظيما فى

المراقبة وحضور القلب وقال الفضيل خمسة من علامات الشقاوة القسوة فى القلب وجمود العين وقلة الحياء والرغبة فى الدنيا وطول الامل ثم ان الله تعالى جعل على العباد حفظة من الملائكة يكتبون الاعمال والاقوال فمن لم يصل عقله الى مراقبة الله تعالى فينبغى أن يستحى من الملائكة قال الله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقال تعالى اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد (وفى الصحيح) يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار (وروى) ان الذى على اليمين يكتب الحسنات وهو امين والذى على الشمال يكتب السيئات فاذا عمل العبد حسنة كتبها صاحب اليمين واذا عمل سيئة يقول صاحب اليمين امهله ست ساعات لعله يتوب او يستغفر فان تاب لم يكتب عليه شئ والا لم يتب قال له اكتب ارحنا الله منه ما أقل مراقبته لله واقل حياءه وأقرب الآفات آفات اللسان ولذلك ورد الزجر عنها فى آيات كثيرة من القرآن قال تعالى أم يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون وقال تعالى واسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور وقال رسول الله ﷺ من وقاه الله شر اثنين ولج الجنة ما بين لحييه وبين رجليه كررها ثلاثة وقال عمر رضى الله عنه من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثر غلطه ومن كثر غلطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه وقال ذو النون المصرى كن بالخير موصوفا ولا تكن للخير واصفا فان الكافر قد ينطق بالحكمة (اجتمع) اربعة من حكماء الفرس فقال احدهم انا على ردما لم اقل اقدر منى على ردما قلت وقال الآخر اما انا فما ندمت على ما لم اقل وطالما ندمت على ما قلت وقال الآخر اذا تكلمت بالكلمة ركبتنى فان لم اتكلم بها كنت راكبها وقال الآخر عجبت لمن تتكلم بالكلمة ان نقلت عنه ضرته وان لم تنقل عنه لم تنفعه وقال ابن شمعون كل نطق بغير ذكر الله فهو لغو وكل صمت بغير تفكر فهو سهو وكل نظر بغير اعتبار فهو لهو فرحم الله امرأ تكلم بمقدار والتفت الى الجدار فان هذا زمن السكوت ولزوم البيوت والرضا بالقوت الى أن يموت ومن ثمرات المراقبة الانابة ومعناها الرجوع عن معصية الله تعالى الى الطاعة حياء من نظر الله عز وجل قال تعالى وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون وقال تعالى هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب وقال تعالى

ومايتذكروا الى أولوا الالباب فالنفس تجمح فى ميدان المخالفة باتباع الهوى فاذا تذكر القلب باطلاع الرب أناب ورجعت النفس مقهورة بلجام الجبار (وروى) مسلم عن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى ﷺ فيما يروى عن الله عز وجل انه قال ياعبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ياعبادى كلكم ضال الا من هديته فاستهدونى أهدكم ياعبادى كلكم جائع الا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم ياعبادى كلكم عار الا من كسوته فاستكسونى أكسكم ياعبادى انكم تخطئون بالليل والنهار وأنا اغفر الذنوب جميعا فاستغفرونى أغفر لكم ياعبادى انكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئاً ياعبادى لو أن اولكم وآخركم وأنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئاً ياعبادى لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك مما عندى الا كما ينقص المخيط اذا دخل البحر ياعبادى انما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله تعالى ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه قال سعيد وكان ابو ادريس الخولانى اذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه. وقال الفضيل يقول الله عز وجل بشر المذنبين ان تابوا قبلت منهم وحذر الصديقين ان وضعت عدلى عليهم عذبتهم. وقال طاق بن حبيب ان حقوق الله تعالى أعظم من ان يقوم بها العبد وان نعمه اكثر من ان تحصى ولكن اصبحوا تائبين وامسوا تائبين (وقال) عبد الله بن عمر رضى الله عنهما من ذكر خطيئة الم بها فوجل منها قلبه محيت عنه فى ام الكتاب. وقال الفضيل لا يرد الجور بالسيوف انما يرد بالتوبة. وقال ابو الجوزاء ان الرجل ليحدث الذنب فلا يزال نادما حتى يدخل الجنة فيقول ابليس ياليتنى لم اوقعه فيه. وقال عبد الله بن سلام الا لا أحدثكم الا عن نبى مرسل او كتاب منزل ان العبد اذا عمل ذنبا ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه اسرع من طرفة عين. وقال عبد الرحمن بلغنى ان توبة المسلم كاسلام بعد اسلام. وقال عمر ابن الخطاب اجلسوا الى التوابين فانهم ارق افئدة وقال قتادة القرآن يدلكم على

دائكم ودوائكم فداؤكم الذنوب ودواؤكم التوبة (وفى الحديث) من اذنب ذنبا فعلم ان الله قد اطلع عليه غفر له. وروى. ان الله تعالى يقول ياعبادى كل مذنب الا من عافيته فاستغفرونى اغفر لكم ومن علم انى ذو قدرة على انى اغفر له غفرت له ولا ابالى وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه العجب ممايهلك ومعه النجاة قال الاستغفار وكان يقول ما الهم الله العبد الاستغفار وهو يريد ان يعذبه. وتعلق رجل بأستار الكعبة فقال اللهم ان استغفارى مع اصرارى للؤم وان تركى الاستغفار مع علمى بسعة عفوك لعجز فكم تتحبب الى بالنعم مع غناك عنى واتبغض اليك بالمعصية مع فقرى اليك يامن اذا وعد وفا وان توعد عفا اغفر عظيم جرمى بعظيم عفوك ياارحم الراحمين. وجلس بعض الصالحين فى خلوة فقال الهى انت قضيت انت حكمت انت قدرت واردت فهتف به هاتف هذا التوحيد فاين ادب العبودية فقال انا عصيت وانا جنيت وانا اخطأت وانا اسأت فسمع قائلا يقول ان ربك يقول انا غفرت وانا رحمت وانا تجاوزت وانا سترت وانا اهل التقوى واهل المغفرة وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لايغرنك الناس من نفسك فان الامر خالص اليك دونهم ولا تقطع النهار بقيل وقال فانه محصى عليك عملك واذا اسأت فأحسن فلا شىء اشد ادرا كا من حسنة حديثة لذنب قديم. وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه لبعض اولاده يابنى خف الله خوفا قويا لو ترى انك اتيت بجميع حسنات اهل الارض لم يقبلها منك وارج الله رجاء ترى لو انك اتيت بجميع ذنوب اهل الارض لغفرها لك. وقال يحيى بن معاذ لايرفع المؤمن قط سيئة الا وهى بين حسنتين رجاء العفو قبلها وخوف العقاب بعدها. وقال ابراهيم الخواص بينما انا فى طريق مكة امشى اذ وقع فى خاطرى العزلة فانفردت عن الناس ومشيت ثلاثة ايام ماخطر فى قلبى طعام ولا شراب فوصلت الى روضة خضراء فيها رياحين كثيرة ونهر من ماء فوقفت متعجبا منها فاذا بنفر قد اقبلوا عليها مرقعات حسان فسلموا على وحفوا بى فقلت من انتم قالوا نحن نفر من الجن المؤمنين سمعنا القرآن من محمد ﷺ فسلبتنا حلاوة كلامه جميع اللذات فانقطعنا الى الله فى هذا المكان فقيض الله لنا هذه الروضة كما ترى ولقد اختلفنا فى مسألة وسألنا الله ان يقيض لنا من يبينها لنا فقلت كم بينى

وبين الموضع الذى فارقت أصحابى فيه قالوا ثلاثة أشهر وان هذا الموضع لم يصل اليه آدمى قبلك الا شاب أتانا يوما ونحن جلوس نتذاكر المحبة فسلم علينا فرددنا عليه السلام وقلنا له من أين أقبلت قال من مدينة نيسابور خرجت منها منذ سبعة أيام قلنا وما أخرجك منها قال آية سمعتها قال الله تعالى وانيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب الآية فقلنا له ما الانابة قال ان يردك الله تعالى عنك اليه قلنا فما العذاب قال عذاب الفراق ثم صاح صيحة ووقع ميتا فواريناه التراب وهذا قبره قال ابراهيم فنظرت واذا قبره فى وسط الروضة حوله رياحين كثيرة وعلى القبر مكتوب هذا حبيب الله قتيل الغيرة واذا طاقة نرجس كأنها رحا عظيمة وعلى ورقة منها مكتوب صفة الانابة فقرأتها وفسرتها لهم فقالوا كفيتنا جواب مسئلتنا ووقع فيهم الطرب ووقع على النوم فانتبهت فاذا انا عند مسجد عائشة ويقال من كرم الله تعالى أنه يقبل الانابة من القلب وان لم توافقه النفس قال الله تعالى وجاء بقلب منيب ولم يقل بنفس منيبة وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قول الله تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج قال هو أن الله تعالى جعل التوبة مقبولة بكرمه ومنه فنعم المولى ونعم النصير وبئس العبد عبد غذاه ببره ورباه تحت ستره ولا يخاف عند مخالفة أمره بئس العبد عبد عصا وتعدى وجنى وتوانى نهاره لهو وليله سهو بئس العبد عبد أصر على الجهالة وضيع أيامه فى البطالة بئس العبد عبد يعلم أن مولاه يراه وهو يبارزه ولا يخشاه ونعم المولى مولى ستر بستره ولا طفك ببره وأطلعك على سره مولى يقبل الحسنات ويغفر السيآت مولى ان اطعته شكر وان عصيته ستر وان تبت اليه قبل وغفر ان دعوته لبالك وان قصدته أدنالك وان أعرضت عنه ناداك مولى توجك بهدايته وطوقك بعبادته وسربلك بخدمته وأركبك على مطية محبته مولى يغفر ذنوب العمر بتوبة ساعة ثم يبدل مكان كل سيئة طاعة مولى أقام لك الشفعاء قبل العصيان ويشفعك فيمن تحب بعد الغفران فنعم المولى ونعم النصير

## الفصل الرابع والعشرون فى الحذر

الحمد لله الذى خلق الانسان من سلالة وركب بلطف حكمته مفاصله واوصاله

وربّاه في مهاد لطفه ثلاثين شهرا حمله وفصاله ورقاه في أطوار خلقه حتى بلغ أشده وكماله وزينه بالعقل والعلم فأزال عنه ظلماء الجهالة وأجرى عليه ما سبق به القضاء فلله الاختيار لاله بمشيئته الضر والنفع والعطاء والمنع والهدى والضلالة أسعد أولياءه بقربه فجعل حظهم انسه واقباله وأعزهم بخدمته وطهر اسرارهم لحضرته فهي في الملكوت جولة القواهم بهم بابه وتلذذوا بمناجاته وخطابه وتنعموا بسماع كتابه فأكمل لهم بذلك افضاله لا يبرحون من بين يديه ولا يعوون الا عليه ولا يشتاقون الا اليه وكيف يصبرون وقد شاهدوا أسرارهم جماله امتلأت قلوبهم بهيبته وغرقت أفكارهم في بحر معرفته فازدادت عطشا ودهشا حين شاهدت جلاله فسبحان من اختارهم لنفسه ونعمهم بأنسه واجزل لهم نواله وحجب قوما عن هذه العوارف وقطعهم بعدله عن رياض المعارف وقيدهم بقيود القواطع والعوايق والصوارف وكيف يسرح في رياض العرفان من أوثق الحرمان أغلاله فاسماعهم لا تلتذ بخطابه وقلوبهم لا تنزعج لعتابه وارواحهم لا ترتاح الى مسارح أحبابه شتان بين حالة وحالة كم بين من يسر له مولاه سبيل السعادة وحقق آماله وأجزل نصيبه من التوفيق وقبل اعماله وبين من قطعه عن خدمته وابعده عن حضرته فاطال حجابه ونكاله الامر أمره والحكم حكمه والملك ملكه فلا ترى في الملكوت الا افعاله تعرض لنفحات جوده أيها السالك السائل او استنشق غيث ولائه فسيل الجود سائل فكم قاصد اعطاه قبل الطلب فكفاه سؤاله (احمده) على ما اجزل من برفأناله وأسبل من ستر على العاصي فأطال امهاله (واشهد) ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة صادرة عن حق يقين وصدق مقالة واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بأوضح الدلالة وختم به النبوة والرسالة صلى الله عليه وعلى آله واصحابه صلاة دائمة ما حسنت في ذوات الياء الامالة وصح في حروف البيان قبل الهمز المد والاطالة (في قول الله عز وجل واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم) هذا تخويف عظيم وتعريف بامر ذي خطر جسيم بان الله يعلم ما اضمرت في نفسك وان خفي على الخلائق فاحذر من سطوته واقامة عدله في المطالبة باقامة الحقائق ان بطش ربك لشديد بطشه بطش جبار واخذه اخذ قهار ثم اتبع هذا التخويف بذكر الجود العميم فقال تعالى واعلموا ان

الله غفور حليم رحمته رحمة غنى كريم وحلمه حلم رؤوف رحيم اذا بطش أدهش حتى لا طاقة واذا رحم أنعش حتى لا إفاقة فالعارفون أبدا بين الجلال والجمال فهم فى دهش عظيم وأنس ووصال. والعابدون بين خوف ورجاء وخشية وحياء (قال بعض العارفين) ان لله عباد أسكتتهم خشية الله من غير عى ولا بكم وانهم لهم البلغاء الفصحاء العارفون بالله ورسوله العالمون بالله وآياته ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله تعالى تقطعت قلوبهم وطاشت عقولهم وكلت ألسنتهم فرقا من الله عز وجل وهيبة لجلاله (قيل) للحسن البصرى كيف تصنع بمجالسة أقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا أن تطير فقال والله لان تجالس من يخوفك حتى يدركك الامن خير من ان تجالس من يؤمنك حتى يدركك الخوف (أوحى الله تعالى) الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود ان أحوج ما يكون العبد الى اذا استغنى عنى وأنا أرحم ما أكون بعبدى اذا ادبر عنى وأن أجل ما يكون عبدى اذا رجع الى يا داود قل لشباب بنى اسرائيل لم شغلوا أنفسهم بغيرى وأنا المشتاق اليهم ماهذا يا داود لو يعلم المدبرون عنى كيف انتظارى لهم ورفقى بهم وشوقى الى ترك معاصيهم لطاروا شوقا الى ولتقطعت أوصالهم من محبتى هذه ارادتى فى المدبرين عنى فكيف ارادتى فى المقبلين على. يا من غره الامهال وجر أذياله فى الغفلة والاهمال ونسى ما بين يديه من العظائم وما أعد للمحسنين من الكرائم أرضيت ببيع حظك من الله بزيوف شهواتك أم قنعت من غنائم المجاهدين فى سبيل الله بكناسة منازل غفلاتك خسرت والله صفقة من باع لحظة من نعيم الآخرة بنعيم الدنيا فكيف ببيع النعيم الباقى بشهوة لحظة لكن قد قال العليم الخبير هل يستوى الاعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور الكافر أعمى القلب عن الحق والمؤمن بصير أبصر بعين قلبه لما كشف الغطاء عن بصيرته فانتفع بما سمع ورأى فان أسدل حجاب الغفلة على قلبه وقف على ما ظهر له من حجبه فلم يظهر لايمانه ثمرة أم هل تستوى الظلمات والنور الاشتغال بذكر الله تعالى وخدمته نور والاشتغال بغير الله ظلمة الاعمى يتعلق بمن لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع فهو يسعى فى ظلمة والبصير يتعلق برب الارباب وفاتح الابواب الذى يعلم خفى أنين المذنبين وتضرع الخائفين ويبصر

جريان الدمع فى آماق المحزونين وتصعد أنفاس المنقطعين اذا نظروا الى أحوال السا قين وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين يبصر ويستر ويمنح ويمدح وينعم ويعطى والعبد يجرم ويخطى مولى تعصيه خمسين سنة ثم ترجع اليه مقدار سنة فيبدل مكان كل سيئة حسنة يغفر الكبير ويقبل اليسير ويقبل عثرة النادم على التقصير ويمن باطلاق الاسير فنعم المولى ونعم النصير والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير هل يستوى الاعمى والبصير هل يستوى من عمى قلبه عن طريق الرجوع الى مولاه فهو متماد فى عصيانه وموافقة هواه ومن كحل بكحل التوفيق فأبصر طريق التحقيق أجاب داعى الله اذا دعاه واستغاث بمن يعلم سره ونجواه ووقف فى جنح الظلام وناداه (شعر)

بخضوع ودموع ورجوع وافتقار
ونحول وذبول وخمول وانكسار
وأنين وحنين ويقين واصطبار
يا الهى جد بعفو فلقد طال انتظار
ضاع قلبى فى التمنى وله حق الجوار

هل يستوى الجاهل والعالم هل يستوى الهالك والسالم هل يستوى الغائب والحاضر هل يستوى الغافل والذاكر هل يستوى البعيد والقريب هل يستوى العدو والحبيب هل يستوى من هو مع نفسه ومن هو مع ربه ينعم بأنسه هل يستوى من هو فى منزله الفراق يقاسى وباله ومن هو فى حلة الوصال يجر أذياله هل يستوى من ربط بقيد الخذلان ووسم بوسم الهجران وحبس فى سجن الحرمان ومن هو فى نعيم الرضوان قد ظهرت عليه أنوار الايمان لا يستويان ولا يجتمعان هل يستوى من أبعدناه وحجبناه ومن اخذنا بيده وقربناه هل يستوى من أعرض عنا ولم يطلب الاقالة منا ومن اقبل بكليته علينا ووجدنعيم قلبه لدينا كما قيل (شعر)

فياويح قلب رمى بالجفا فبات على مثل جمر الغضى
وأصبح يندب رسما عفا ويبكى على فقد عيش مضى
وليل الصدود أتى مقبلا وولى نهار الرضا معرضا

فسيل الدموع وشق الجيوب حقيق على فوت وقت الرضا

ما أصعب آثار سخطك الملك ما اعظم مصيبة من اعرض عنه الحبيب ما أوحش بعد الانس ما اشد الكدر بعد الصفاء (شعر)

ليس البلايا بلية الاجساد ومصيبة الاموال والاولاد
هجر الحبيب هو البلاء بعينه والصد بعد تواصل ووداد
فالربع من بعد الانيس معطل فقر تبدل قربه ببعاد
من لم يتب والبين يقرع قلبه لم يدر كيف تفتت الاكباد

هل يستوى الهجران والوصال هل يستوى الاعراض والاقبال هل يستوى من أقامه مولاه وحرمه ومن أدناه ورحمه هل يستوى من بالطرد وسمه وسد عنه باب الوصل وحسمه ومن حماه عن المخالفات وعصمه وأيقظه لذكره والهمه واجزل حظه من التوفيق حين قسمه هل يستوى من يبارز الله تعالى بمعصيته وهو آمن من عقوبته ومن أنفق عمره فى خدمته وهو خائف من سطوته هذه قسمة المولى واحد فى اسر الدنيا وآخر فى طلب العقبى وآخر معرض عن الاولى وآخر مقبل على المولى وكل يسعى فيما سبق به القضا ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون الهى كيف الخلاص من ظلماتنا الا بنور عنايتك وهل السلامة من آفاتنا الا بحفظك ورعايتك وبمن تتعلق آمالنا الا بكرم جودك العميم والى من نلتجىء الا الى ركنك العظيم (شعر)

اليك والا لا تشد الركائب ومنك والا لا تنال الرغائب
وفيك والا فالرجاء مخيب وعنك وإلا فالمحدث كاذب
لديك والا لا قرار يطيب لى عليك والا لا تسيل السواكب
رضاك والا فالغرام مضيع سناك والا فالبدور غياهب

الهى انت الغنى الكريم تدعونا اليك وترغبنا فيما لديك وتقابل اساءتنا باحسانك وتستر خطايانا بغفرانك وتذهب ظلمة ظلمنا لأنفسنا بنور رضوانك وتقهر عدونا عنا بعز سلطانك فما تعودنا منك الا الجميل وما لنا قلب عن بابك يميل (شعر)

بجمال جودك ما حييت توسلى وبه يصح رجاء كل مؤمل

من كنت انت رجاءه وملاذه فلقد تعلق بالجناب الاكمل
يامنتهى قصدى وغاية مطلبى يامن عليه وان فنيت توكلى
اسكنت حبك فى فؤادى منزلا وهوى سواك يحوم حول المنزل
عقد الوداد لغير حبك باطل ما الحب الا لحبيب الاول

الهى عبدك المسكين على الباب ينتظر عفوك عن العبيد اورضاك عن الاحباب قد كتب قصة افلاسه ووضع يد ندمه على رأسه وانت اعلم بالحال وأولى بالجود والافضال (شعر)

شكا اليك ماوجد من خانه فيك الجلد
حيران لو شئت اهتدى ظمآن لو شئت ورد

اللهم اجعلنا من المتقين الابرار واسلك بنا سبيل عبادك الاخيار وألهمنا رشدنا وأجزل لنا من رضوانك حظنا ولاتحرمنا بذنوبنا ولاتطردنا بعيوبنا واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين والمسلمات وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

## الفصل الخامس والعشرون فى الدعوه

الحمد لله الذى اجرى الماء بلطيف حكمته فى خلال الشجر فألانه وكساعاطل الروض من حلى النبات ما كاله وزانه بعث لواقح الرياح الى الافنان فحرك كل فن عيدانه تتمايل الحزين وتبلبل المسكين لما رأى بلبل الاشواق وقد طيب الحانه كل يشهد بكمال صانعه وان أخرس العجز لسانه الذى اطلع شموس معرفته فى قلوب اهل محبته فاكمل لديهم احسانه وارسل غيث ولائه الى اسرار اوليائه وحفظ عطاءه وصانه ووفق من ارتضاه من عباده وجعله من آل وداده فوفى بالامانة وسكن حرق الخائفين عند لقائه ورزقهم امانه وضمن المزيد للمحسنين وهو الذى لايخلف ضمانه الذى تفرد بالبقاء والقدم والعز والكبرياء والمجد والثناء فما اعز سلطانه الحى العليم القدير المدبر السميع البصير القيوم الملك الكبير فسبحانه من جبار ما اعظم شأنه المتكلم بكلام قديم ازلى لايشبه كلام خلقه فمن شبه فقد بخس ميزانه والقرآن كلام الله نزل به الروح الامين على قلب محمد سيد المرسلين وقال فيه ليؤمنه نسيانه

لاتحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه جل العلى العظيم عن الاشباه فمن شبه فقد اتبع خيالاته ووافق شيطانه له الجلال والكمال فمن جحد الصفات فقد أوهن ايمانه غرقت الافهام في بحر تعظيمه وجبروته وتحيرت الالباب في دوام ملكوته فرجعت خاسئة خاسرة لتسأل الاعانة قسم عطاءه بين خلقه فلا مذل لمن اعزه ولا مكرم لمن اهانه فالسعيد من اهله لخدمته وعامله برحمته فجعل ذكره راحته وريحانه فالقرآن انيسه والمولى جليسه وكيف لا يزيل بمجالسة الحبيب احزانه والطريد من حجبه عن معرفته وخذله فصرفه عن خدمته وجعله تابعا لهواه سبحانه الامر أمره والحكم حكمه والملك ملكه فمن اعرض فقد ضيع في الهذيان زمانه الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ سبحانه (أحمده) على ماشاد من فضل فقوى اركانه وصرف من سوء فاطفأ نيرانه واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له اله بين ادلة وحدانيته واوضح برهانه. واشهد ان محمدا عبده ورسوله الذي اظهر بالتحقيق سره واعلانه وانار به سبيل الهدى فازال به الباطل وبهتانه صلى الله عليه وعلى آله واصحابه ماهب نسيم السحر على الشجر فهز أغصانه وحرك ساكن حنين المشتاق فتذكر اوطانه في قول الله تعالى والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم خطاب الله تعالى في كتبه المنزلة على لسان رسله دعوة عامة لجميع المخاطبين امر الكل بالايمان والطاعة ونهاهم عن الكفر والمخالفة فيجب علينا امتثال الاوامر واجتناب النواهي لحق الربوبية وتنكيس رأس الاعتراض بوصف العبودية وهداية الله تعالى بمشيئته وارادته وحكمه وقضائه خاصة للمؤمنين فقد دعا الكل وهدى البعض وامر الكل ووفق البعض ونهى الكل وعصم البعض يفعل في ملكه مايشاء ويحكم مايريد لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون دعا الانام من دار الآلام الى دار السلام فمن لبى فله تنشر الاعلام ومن ابى فبشقاوته جرت الاقلام دعاهم من دار العبادة الى دار الزيادة دعاهم من دار الشقاء الى دار البقاء دعاهم من دار اولها بكاء واوسطها عناء وآخرها فناء الى دار اولها عطاء واوسطها لقاء وآخرها بقاء دعاهم من دار دنية الى عيشة رضية دعاهم من دار التكليف الى دار التشريف دعاهم من دار

اصلها مدر وعيشها كدر ونقعها ضرر وروحها شرر ووعدها غدر الى دار اصلها درر وعيشها لقاء ونظر وطرازها جنات ونهر فالدعوة عامة التزاما للحجة والهداية خاصة بيانا للمحجة ودار السلام الجنة والسلام من اسماء الله تعالى فمعناه دار الله تعالى دعاهم الى داره فنعم الدار دارهم ونعم المزار مزارهم ونعم الجار جارهم نعم السكن الفردوس الاعلى ونعم الجار السيد المولى ونعم الرفيق السيد محمد المصطفى ويقال سميت الجنة دار السلام اى دار السلامة من الآفات والعاهات والنكبات يسلمون فيها من الضرر والفقر والفتن والهجر يسلمون فيها من الاوجاع والامراض والصدود والاعراض يسلمون فيها من طلب القوت وضيق البيوت وسكرة الموت وحسرة الفوت ويقال سميت الجنة دار السلام لانهم دخلوها بسلام ادخلوها بسلام آمنين ولهم فيها سلام بعضهم على بعض قال الله تعالى الا قيلا سلاما سلاما ولهم فيها سلام الملائكة عليهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ولهم سلام الله عز وجل عليهم بلا واسطة تحيتهم يوم يلقونه سلام سلام قولا من رب رحيم فمن دعاه مولاه الى داره وشرح صدره بأنواره وحشا قلبه بمكنون اسراره فاز بقربه وجواره ومن دعاه الى داره وأشقاه بسوء اختياره صرفه عن جواره وخلده فى ناره وآخر دعاه وهداه ووقاه وقواه وآواه ورعاه وكلاه وادناه كيف لا يجيبه وآخر دعاه واهماه واشقاه واقماه واخزاه وقلاه كيف يجيبه وفى الصحيح ان الله خلق خلقا للجنة وبأعمال الجنة يعملون وخلق للنار خلقا وبأعمال اهل النار يعملون فاولياء الله فى الدنيا متنعمون بذكره متزينون بطاعته وشكره راحة قلوبهم فى التذلل بين يديه واسرارهم فى الاقبال عليه فلهم نعيم معجل فى دنياهم ولهم الجنة فى عقباهم والغافلون فى سجن الهوى والعصيان وقيد الشقاء والحرمان مبعدون عن بابه محجوبون بحجابه فلهم عذاب معجل بما حرموا من خدمته ولهم عذاب شديد فى جهنم مع ما حرموا من جنته (شعر)

بل هجره اصعب من ناره ... ووصله احسن من جنته
فالويل كل الويل فى بعده ... والنيل كل النيل فى قربته
يا من يريد العز يحظى به ... العز كل العز فى خدمته
اقطع تصل اقبل ترى بره ... واستسق غيث الجود من رحمته

لله عبد شغله ذكره اسعده بالقرب من حضرته
فشغله تصعيد انفاسه يتبعها التقطير من عبرته
ان قال يارب يقل ربه لبيك عبدى سل دلالاوته

والمكلفون على اربعة أقسام القسم الاول قوم خلقهم الله تعالى لخدمته وجنته وهم الانبياء والاولياء والصالحون والمؤمنون عاشوا فى الدنيا بين اثاره وانواره اطمأنت بذكر الله تعالى قلوبهم وطابت بطاعة الله تعالى حياتهم وعلت بمحبة الله تعالى انوارهم ورفعت الى الملكوت اذكارهم قال الله تعالى من عمل صالحا من ذكر او أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة والحياة الطيبة لذة الطاعة وعز القناعة فازوا بعز الدارين ونالوا شرف المنزلتين فطوبى لهم وحسن مآب القسم الثانى قوم خلقهم الله تعالى لجنته دون خدمته وهم الذين عاشوا كفارا ثم ختم لهم بالايمان او فرطوا مدة حياتهم وانهمكوا فى العصيان ثم تاب الله عليهم عند الخاتمة فماتوا على حالة التوبة والاحسان كسحرة فرعون وكانوا ثلاثين الفا على ما يقال آمنوا بالله وقتلوا من يومهم ذلك فدخلوا الجنة كانوا أول النهار يحلفون وعزة فرعون انا لنحن الغالبون ثم بعد ساعة حلفوا والذى فطرنا كانوا يطلبون الجزاء من فرعون ويقولون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين ثم بعد ساعة قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض الى قوله خير وابقى والعجب ان الله تعالى انطق فرعون بما كان فى باطنه البشرى وهو قوله نعم وانكم لمن المقربين كانوا مقربين عند رب العالمين قال الله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب كل من عمل سوء فما عمله الا بجهالة وغفلة وقلة تعظيم لامر الله تعالى وان كان عالما وكل من تاب قبل ان يحضره الموت ويعاين الملائكة ويغرغر فقد تاب من قريب فان التوبة البعيدة توبة من فرط حتى عاين ملك الموت فصار فى حيز الآخرة وهم الذين قال الله تعالى فيهم وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن وأبعد من ذلك الذين يتوبون فى الآخرة ويعترفون فى دركات لظى قال الله تعالى ولا الذين يموتون وهم كفار أى لا تقبل توبتهم فى الآخرة وقال تعالى وقالوا آمنا به وانى لهم

التناوش من مكان بعيد أى وكيف لهم سبيل الى التوبة وتناولها وقد بعد عليهم مكانها فانها انما تقبل فى الدنيا وقال تعالى فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير (القسم الثالث) قوم خلقهم الله تعالى لا لخدمته ولا لجنته وهم الكفار الذين يموتون على الكفر فى الدنيا حرموا فى الدنيا نعيم الايمان وفى الآخرة مخلدون فى العذاب والهوان (القسم الرابع) قوم خلقهم الله تعالى لخدمته دون جنته وهم الذين كانوا عاملين بطاعة الله تعالى ثم مكر بهم فطردوا عن بابه وماتوا على الكفر بالله نسأل الله تعالى العافية بمنه وكرمه فانه يخلق ما يشاء بغير كلفة ولا نصب ويختار ما يشاء بغير زلفة ولا سبب (قوم) أذلهم وأشقاهم وحجبهم واقماهم وأضلهم واخزاهم ولو ألبسهم لباس السعداء زمانا فلابد أن يسلبهم ويلبسهم ذلا وهوانا (وقوم) اختارهم واصطفاهم وانتخبهم واجتباهم وأعزهم وقواهم وخولهم وأعطاهم ووالاهم وأولاهم ولو البسهم لباس البعد والحجاب فلابد أن يردهم الى الباب ويلبسهم لباس الاحباب وهو الكريم الوهاب اللهم اجعلنا من عبيدك المفلحين وأوليائك المتقين الذين أهلتهم لخدمتك ونعمتهم بانسك وحضرتك وسقيتهم لذيذ شرابك وخلعت عليهم خلع أحبابك ها نحن عبيدك قد ألقينا نفوسنا بين يديك وطمعنا بحسن وعدك وجميل رفدك فيا لديك اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين والمسلمات وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين آمين

## الفصل السادس والعشرون فى الفقر

الحمد لله الذى لا يخيب لديه أمل من أمله ولا يغيب عن بساط قربه من رضيه وقبله الاول من غير بداية والآخر من غير نهاية الغنى الذى لا شريك له فيما ثبت له القدوس الصمد الواحد الاحد الذى لا شريك له فيما فعله استوى على العرش من غير تكييف ولا تشبيه وقد ضل من شبهه ومثله العرش لا يمسكه والعقل لا يدركه والوهم لا يصوره والفكر لا يقدره وقد خاب من كان ظنه من الايمان جدله القريب بعلمه وقدرته وكرمه ورأفته فى كل ليلة يدعو العباد اليه فيغفر لمن استغفره ويتوب على من تاب اليه ويعطى من سأله الحى العليم القدير المريد السميع البصير ووصف كماله لا حد له المتكلم بكلام قديم ازلى لا يشبه كلام خلقه والقرآن كلام الله الذى ازله صفاته قديمة

ثابتة بالادلة وقد ضلت المعتزلة من نفى عنه صفات الكمال فانما يتعلق بزخرف الجدال وخاف فى ظلمات المعطلة ليس كمثله شئ ومن شبه فقد جهل فيما انتحله سبح بحمده كل ناطق وصامت فى كل مصنوع سره لمن تأمله فالاكوان كلها واقفة على قدم الافتقار ناطقه بلسان الاضطرار متضرعة مبتهلة فلعزه يجب الخضوع والخوف لهجره تسيل الدموع وفى جلاله تحق الحيرة والوله قسم عطاءه بين خلقه فالقريب من قربه والبعيد من حجبه وكل يسعى فيما له اهله والشقى من قطعه ومنعه وخذله وصرعه والسعيد من والاه وتولاه وارتضاه ووصله ما أسعد من أيقظه مولاه لذكره فلم يقطعه عنه قاطع ولا شغله ما أبعد من ضيع عمره فى الغفلات فلم ينتفع بما حصله ما أطول حسرته يوم العرض على الجبار ما اشد خيبته اذا عاين منازل الابرار فتبا للنائم عن الغنائم ما اغفله تذلل بين يدى مولاك أيها المسكين فهو الذى لا يضيع لديه المسئلة الذى علم واحصى وقرب واقصى واليه الرجوع فيوفى كل عامل عمله (احمده) على ما أسدى من خير وأجزله وابدى من برفأكمله واشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له اله علم الاشياء مجملة ومفصله وأشهد ان محمدا عبده ورسوله الذى ارسله وحبيبه الذى أنزل عليه الكتاب فجمع فيه علوم الكتب المنزلة وكشف ببرهانه كل معضلة واوضح ببيانه كل مشكلة صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه كما جعله بالخير اجود من الريح المرسلة (فى قول الله عز وجل واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه الآيات) هذه الآيات فى تفضيل الفقراء وسبب نزولها ان النبى ﷺ اول من آمن به الفقراء وكذلك كل رسول ارسل اول من يتبعه الفقراء فكان رسول الله ﷺ يجلس مع الفقراء اصحابه مثل سلمان وبلال وصهيب وعمار بن ياسر وعامر بن فهيرة ونحوهم من الفقراء فأراد المشركون أن يحتالوا عليه فى طرد الفقراء لما سمعوا ان علامات الرسل ان يكون اول من يتبعهم الفقراء فجاء بعض رؤساء المشركين وقالوا يا محمد اطرد الفقراء عنك فان نفوسنا تأنف ان تجالسهم فلو طردتهم لآمن بك اشراف الناس ورؤساؤهم فأنزل الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم اى لا تتعداهم ولا تجاوز عنهم بنظرك رغبة عنهم وطلبك لصحبة ابناء الدنيا وقل

الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ثم ضرب لهم مثل الغنى والفقير بقوله واضرب لهم مثلا رجلين الآيات واضرب لهم مثل الحياة الدنيا الآيات فكان ﷺ يعظمهم ويكرمهم ولما هاجر الى المدينة هاجروا معه فكانوا فى صفة المسجد مقيمين متبتلين فسموا أصحاب الصفة فكان ينتهى اليهم من يهاجر من الفقراء حتى كثروا رضى الله عنهم شاهدوا ما أعد الله تعالى لاوليائه من الاحسان وعاينوه بنور الايمان فلم يكلموا قلوبهم بشئ من الاكوان بل قالوا اياك نعبد ولك نخضع ونسجد وبك نهتدى ونسترشد وعليك نتوكل ونعتمد وبذكرك نتنعم ونفرح وفى ميدان ودك نرتع ولك نعمل ونكدح وعن بابك أبدا لا نبرح فحينئذ اعمر بهم سبيله وخاطب فيهم رسوله فقال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى أى لا تطرد قوما ان امسوا فعلى ذكر ربهم ينقلبون وان اصبحوا فالى بابه ينقلبون ولا تطرد قوما المساجد مأواهم والله مطلوبهم ومولاهم لا تطرد قوما ائتزروا بالذل والمسكنة خضوعا وارتدوا بالهيبة والوقار خشوعا الجوع طعامهم والسهر اذا نام الناس ادامهم والفقر والفاقة شعارهم والصمت والحياء دثارهم والتجريد مع الله فى القلوب ولأعهم وذكر الله فى الخلوات تمائمهم فطموا انفوسهم عن الشهوات وحرموا ابدانهم من اللذات ربطوا خيل عزمهم على باب مولاهم وبسطوا وجوههم فى محاريب نجواهم (شعر)

لو يعلم الناس عمن اشتغلوا ... لما تهنو بما به شغلوا
من ذاق وصل الحبيب هام ولم ... يحل له منزل ولا طلل
لله قوم بروحهم سمحوا ... واستصغروا قدرها وما جهلوا
عاشوا وفازوا هم الملوك وان ... ذلوا وان املقوا وان خملوا

الفقر فخر الانبياء وشعار الاتقياء ولباس المتقين ومطية الصادقين (شعر)

من عرف الله ولم تغنه ... معرفة الله فذاك الشقى
ماضر ذا الفاقة ما ناله ... فى طاعة الله وماذا لقى
ما يفعل العبد بعز الغنى ... والعز كل العز للمتقى

(وفى الحديث) ان رسول الله ﷺ كان يقول اللهم أحينى مسكينا وامتنى مسكينا

واحشرنى فى زمرة المساكين فقال انس بن مالك يارسول الله انك لتدعو بهذا الدعاء كثيرا فقال يا أنس ان الرحمة لا تفارقهم طرفة عين يقول الله عز وجل ماضركم ما فاتكم من الدنيا بعد ان كنت لكم حظا . وقال أبو سليمان الدارانى بلغنى ان تنفس الفقير دون شهوة تعدل عبادة الغنى الفى عام . وقال بعض السلف العبادة مع طلب الدنيا كروضة على مزبلة والعبادة للفقير كعقد جوهر فى جيد حسناء ( شعر )

من كان ذا امال كثير ولم يقنع فذاك الموسر المعسر
وكل من كان قنوعا وان كان مقلا فهو المكثر
الفقر فى النفس وفيها الغنى وفى غنى النفس الغنى الاكبر

هل سمعتم ان فقيرا ادعى الربوبية أم هل بلغكم ان فقيرا نازع الالوهية وكم من جبار تفرعن وطغى ومترف تجبر وبغى ( شعر )

من شرف الفقر ومن فضله على الغنى ياصاح لو تعتبر
أنك تعصى كى تنال الغنى ولست تعصى الله كى تفتقر

والفقر عام وخاص فالعام الحاجة الى الله تعالى وهذا وصف كل مخلوق مؤمن وكافر وهو معنى قوله تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد والخاص وصف أولياء الله تعالى واحبابه وهو خلو اليد من الدنيا وخلو القلب من التعلق بها اشتغالا بالله تعالى وشوقا الى الله تعالى وانسا بالفراغ والخلوة مع الله تعالى (أوحى) الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود ابلغ اهل الارض أنى حبيب لمن أحبنى وجليس لمن جالسنى ومؤنس لمن أنس بذكرى وصاحب لمن صاحبنى ومختار لمن اختارنى ومطيع لمن أطاعنى ما احبنى عبد اعلم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسى من طلبنى بالحق وجدنى ومن طلب غيرى لم يجدنى فارفضوا يا اهل الارض ما انتم عليه من غروركم وهلموا الى كرامتى ومصاحبتى ومجالستى وانسوا بى أونسكم واسارع الى محبتكم (واوحى الله) الى بعض الانبياء ان لى عبادا من عبادى يحبونى واحبهم ويشتاقون الى واشتاق اليهم ويذكرونى واذكرهم وينظرون الى وانظر اليهم قال يارب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى اوكارها عند الغروب واذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الاسرة

وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الاقدام وافترشوا الى وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا الى بانعامي فبين صارخ وباك ومتأوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد بعيني مايتحملون من اجلي وبسمعي مايشتكون من حبي أول ماأعطيهم ثلاث اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني والثانية لوكانت السموات والارض ومافيهما في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة اقبل بوجهي عليهم أفترى من اقبلت بوجهي عليه يعلم أحد ماأريد ان أعطيه (وروى) ان داود عليه الصلاة والسلام قال يارب ارني أهل محبتك فأوحى الله تعالى اليه يادا ود ائت جبل لبنان فان فيه أربعة عشر نفسا فيهم شباب وكهول وفيهم شيوخ فاذا أتيتهم فأقرئهم مني السلام وقل لهم ان ربكم يقرئكم السلام ويقول لكم ألا تسألوني حاجة فانكم احبابي واصفيائي وأوليائي فأتاهم داود عليه الصلاة والسلام فوجدهم عند عين من العيون مجتمعين مطرقين مشتغلين بتعظيم الله تعالى فلما نظروا الى داود عليه الصلاة والسلام نهضوا لينفرقوا عنه فقال لهم اني رسول الله اليكم جئتكم لا بلغكم رسالة ربكم فاقبلوا نحوه والقوا أسماعهم نحو قوله واطرقوا الى الارض فقال داود عليه الصلاة والسلام اني رسول الله اليكم ربكم يقرئكم السلام ويقول لكم الا تسئلوني حاجة ألا تناجوني أسمع صوتكم وكلامكم فانكم احبابي وأصفيائي وأوليائي قال فجرت الدموع على خدودهم فقال شيخهم سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ماقطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من عمرنا وقال آخر سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامنن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك وقال آخر اللهم أدم لنا لزوم النظر اليك وقال آخر نحن مقصرون في طلب رضاك فارض عنا بجودك وقال آخر اللهم اغفر لنا تقصيرنا في شكرك وقال آخر اللهم انك تعلم أنه لا حاجة لنا الا النظر الى وجهك وقال آخر اللهم هب لنا نورا نهتدي به اليك وقال آخر نسئلك أن تقبل علينا وتديم لنا ذلك وقال آخر نسئلك تمام نعمتك فيما وهبته لنا وقال آخر اللهم اني اسئلك أن تعمي عيني عن الدنيا وأهلها وقلبي عن الاشتغال بغيرك وقال آخر قد علمنا انك تحب اولياءك فامنن علينا باشتغال القلب عن كل شيء دونك وقال آخر كلت ألسنتنا عن دعائك لعظم شأنك وقربك من اوليائك وكثرة منتك على أهل محبتك فأوحى الله تعالى

الى داود عليه الصلاة والسلام قل لهم قد سمعت كلامكم واجبتكم الى ما اجبتم فليفارق كل واحد منكم صاحبه وليتخذ لنفسه مربا فانى كاشف الحجاب بينى وبينكم فقال داود عليه الصلاة والسلام يارب بم نالوا منك هذه الكرامة قال بحسن الظن والزهد فى الدنيا وأهلها (ويروى) ان الله تعالى أوحى الى داود عليه الصلاة والسلام أيضا قل لعبادى المتوجهين الى محبتى ماضركم اذا احتجبتم من خلقى ورفعت الحجاب فيما بينى وبينكم حتى تنظروا الى بنور قلوبكم وماضركم ما زويت عنكم من الدنيا اذا انبسطت اليكم وماضركم مسخطة الخلق اذا التمستم رضاى يا داود تزعم انك تحبنى فاذا كنت تحبنى فأخرج حب الدنيا من قلبك فانى وحبها لا يجتمعان فى قلب يا داود خالص احبتى مخالصة وخالط اهل الدنيا مخالطة يا داود تحبب الى بمعاداة نفسك وامنعها الشهوات أنظر اليك وترى الحجب بينى وبينك مرفوعة . اللهم أذقنا حلاوة مناجاتك واسلك بنا طريق مرضاتك واقطع عنا كل ما يبعدنا عن حضرتك ويسر لنا ما يسرته لاهل محبتك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين والمسلمات آمين

## الفصل السابع والعشرون فى المحبة

الحمد لله الذى تفرد بالعز والكبرياء والقدم والبقاء والمجد الاسنى الواحد الاحد القيوم الصمد الذى أعطى وأثنى الحى القيوم القدير الذى اوجد وافنى المريد الذى قدر وقضى وحكم فأمضى وابعد وأدنى السميع البصير الذى سترنا بفضله وهو مطلع على ما اسرنا وما اعلنا الملك الذى أعطى ومنع ووصل وقطع وأغنى واقنى المتكلم بكلام قديم أزلى لا يبيد ولا يفنى سبح بحمده الرعد والمطر والنجم والشجر والجن والبشر والشمس والقمر ففى كل شىء له اية وفى كل ناطق معنى فتح اسرار العارفين لسماع تسبيح الموجودات فشاهدوا فى كل مصنوع حسنا ألهمنا معرفة وجوده وأطمعنا فى بره وجوده فطمعنا كيف لا تنفطر قلوب المحبين شوقا الى لقائه وتدهش الالباب خوفا من بعاده وحزنا أم كيف تستقر الارواح وقد دعاها الى المقام الاعلى والحظ الاوفى والشرف الاهنى لا راحة للقلوب الا بذكره وثنائه ولا نعيم الا على بساط رضوانه يوم لقائه هنالك يجد الشفاء من كان بحبه مضنى والمغبوز من رضى بالهجر

والبعاد والمحروم من حرم القرب والوداد والشقى من كان له الحرمان قيدا وخذلانا وسجنا ياخيبة المنقطعين فى بوادى الهوى اذا عاينوا ركب السابقين فتقطعت قلوبهم حسرة وغبنا يا ندامة من ضيع عمره فى البطالة وانفق أيامه فى ذكر سعدى وابنى ياخجلة من نظر اليه مولاه وهو على قبيح خطاياه قد اغمض عن المراقبة جفنا أيحسب الانسان ان يترك سدى ألم يك نطفة من منى يمنى فسبحان من وفق أولياءه لخدمته وعاملهم بجميل رحمته واقام لهم يوم الجزاء وزنا الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى احمده على آلائه التى ساقت الينا من عطائه مزنا ومنته علينا اذ هدانا للايمان وعرفنا فعرفنا واشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له اله عليه توكلنا واليه أنبنا وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فكان قاب قوسين أو أدنى ﷺ وعلى آله واصحابه ما بلبل ساكن الاشواق ذكر طلل ورسم ومغنى وهب نسيم الاسحار فهز الاشجار غصنا ( فى قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه الآية ) محبة الله تعالى للعبد ارادة تقريبه واكرامه وتوليه بعنايته فى جميع احواله فمن احبه الله تعالى عامله بلطفه وجاد عليه باحسانه وفتح عليه بما يبلغه أمله ولا يدركه كده وعمله ومحبة العبد لله تعالى تعلق القلب بذكره ودوام الشغف به والتنعم بمناجاته والتلذذ بخدمته وصدق الشوق اليه والاكتفاء به عن كل ماسواه . قال رسول الله ﷺ ثلاث من كن فيه فقد استكمل الايمان من كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره أن يعود فى الكفر بعد ان أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار . وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه من ذاق من خالص محبة الله عز وجل شغله ذلك عن طلب الدنيا واوحش عن جميع البشر . وقال الحسن من عرف ربه احبه ومن عرف الدنيا زهدها . وعن سرى السقطى قال تدعى الامم يوم القيامة بأنبيائها فيقال يا أمة محمد يا امة موسى يا امة عيسى ويدعى المحبون فيقال يا اولياء الله هلموا الى الله سبحانه فتكاد قلوبهم تنخلع فرحا . وقال هرم بن حيان المؤمن اذا عرف ربه احبه واذا احبه اقبل عليه واذا وجد حلاوة الاقبال عليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة . وقال يحيى بن معاذ منقال

خرد له من الحب احب الى من عبادة سبعين سنة بلاحب. وقالت رابعة العدوية يوما من يدلنا على حبيبنا فقالت جارية لها حبيبنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا عنه (وأوحى) الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام انى اذا أطلعت على سر عبدى فلم اجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبى وتوليته بحفظى. وقال سرى السقطى من احب الله تعالى عاش ومن مال الى الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح فى غير شىء. وقال ابو يزيد الحب دهش فى لذة وحيرة فى نعيم. وقال سهل ابن عبد الله المحبة عطف الله بقلب عبده الى مشاهدته بعد فهم المراد منه: واوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود ذكرى للذاكرين وجنتى للعابدين وزيارتى للمشتاقين وانا خاصة للمحبين. وأوحى الله تعالى الى آدم عليه الصلاة والسلام يا آدم من أحب حبيبا صدق قوله ومن أنس بحبيبه رضى فعله ومن اشتاق اليه جد فى سيره. وقال بعضهم رأيت فى جبل لكام رجلا اسمر نحيف البدن وهو يفر من حجر الى حجر ويقول

انما الشوق والهوى صيرانى كما ترى

وقال الجنيد رضى الله تعالى عنه بكى يونس عليه الصلاة والسلام حتى عمى وقام حتى انحنى وصلى حتى اقعد وكان يقول وعزتك وجلالك لو كان بينى وبينك بحار من نار لخضتها شوقا منى اليك. ويقال من علامات المحبة حب لقاء الحبيب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب لقاء الله احب الله لقاءه: وكان سفيان الثورى وبشر الحافى رضى الله عنهما يقولان لا يكره الموت الا مريب لان الحبيب على كل حال لا يكره لقاء الحبيب. وقال سهل ابن عبد الله علامات محبة الله تعالى ايثار الله على نفسك وليس كل من عمل الطاعات صار حبيبا وانما الحبيب من ترك المعاصى ومن علامات المحبة أن لا يخلو قلبك ولا لسانك من ذكر الله تعالى: قال بعض الصالحين حصلت عندى فترة عن تلاوة القرآن فسمعت قائلا يقول لى فى المنام ان كنت تزعم انك تحبنى فلم جفوت كتابى اما ترى ما فيه من لطيف عتابى قال فانتبهت وقد مازج قلبى حب القرآن (وقال) ابن مسعود رضى الله عنه لا ينبغى ان يسأل أحدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله ومن علامات المحبة الانس بالخلوة فى الفلوات والليالى المظلمات انقطاعا الى الله تعالى عن

الخلق فمن استأنس بالناس فهو من أهل الافلاس (وروى) أن عابدا كان فى غيطه فرأى طائرا حسنا قد عشش فى شجرة فانتقل قريبا منها ليأنس بالطائر ويستريح بحسن صوته فأوحى الله تعالى الى نبى ذلك الزمان قل لفلان العابد استأنست بمخلوق والله لاحطنك درجة لا نلتها بشىء من عملك أبدا: وقال يحيى بن معاذ من لم يكن فيه ثلاث خصال فليس بمحب يؤثر كلام الله تعالى على كلام الخلق ولقاء الله تعالى على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق ومنها الا يتأسف على مافاته من الحظوظ وانما يتأسف على لحظة تمر فى الغفلة عن الله تعالى . وقال ابراهيم بن ادهم بينما انا فى السياحة اذ سمعت قائلا يقول (شعر)

كل شىء لك مغفور سوى الاعراض عنا
قد وهبنا لك ما فا ت بقى ما فات منا

وقال بعضهم عبدت الله تعالى حتى ظننت ان لى عنده شيئا كثيرا فرأيت فى المنام صفا من الملائكة بعدد ما خلق الله تعالى من شىء فقلت من انتم قالوا نحن المحبون لله عز وجل نعبده ههنا منذ ثلاثمائة سنة ما خطر على قلوبنا سواه ولا ذكرنا غيره قط فاستيقظت وقد استحييت من الله تعالى اذ ذكر أعمالى واحوالى وحكى ان ابراهيم ابن أدهم رضى عنه لقيه رجل وهو نازل من جبل فقال من اين اقبلت قال من الانس بالله : وقيل لرابعة بم نلتى هذه المنزلة قالت بتركى مالا يعنينى وانسى بمن لم يزل وقال عبد الواحد بن زيد مررت بعابد فى صومعة فقلت له اعجبتك الوحدة فقال ياهذا لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت اليها من نفسك الوحدة رأس العبادة قلت متى يذوق العبد حلاوة الانس قال اذا صفا الود وخلصت المعاملة قلت متى يصفو الود قال اذا صارت الهموم هما واحدا وأوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام كن لى مستأنسا ومن سواى مستوحشا : وسئل الجنيد عن المحبة لله تعالى قال عبد ذهب عن نفسه واتصل بذكر ربه وقام بأداء حقوقه ونظر اليه بقلبه فان تكلم فبالله وان سكت فمع الله وقال أبو يزيد المحبة ايثار المحبوب عن كل مصحوب ويقال المحبة الميل الدائم بالقلب الهائم ويقال المحبة ان تكون للمحبوب كالمملوك حتى لا يكون لك منك شىء ويقال

المحبة محو ماسوى المحبوب من القلب. وقال سمنون ذهب المحبون بشرف الدنيا والآخرة لأن النبي ﷺ يقول المرء مع من أحب. ورؤى مجنون ليلى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لى وجعلنى حجة على المحبين. ويقال المحبة ان تكون مع محبوبك بنسيان حظوظك وخلع اوصافك ويقال الحب كامن فى الفؤاد كالنار اذ قدحته اورى وان تركته توارى فهو الطف من ان تدركه عبارة وادق من تتناوله اشارة يستدل عليه بآثاره ويعرف وجوده بأنواره (شعر)

مطله اطيب من وصله وجوره احلى من عدله
وصعبه اهنى من سهله ومنعه اشهى من بذله

(شعر)

اهتز عند تمنى وصله طربا ورب امنية احلى من الظفر
يجنى على واجنى من معاطفه فى الجنى والجنايات انقضى عمرى

(وقال) يحيى بن معاذ ليس بصادق من ادعى محبته ولم يحفظه وقال الجنيد المحبة افراط الميل بلا نيل وقال المحاسبى المحبة ميلك الى المحبوب بكليتك ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم عملك بتقصيرك فى حبه ودخل جماعة على الشبلى وهو فى المارستان فقال من انتم فقالوا احبابك فرماهم بحجر فهربوا فقال يا كذبة لو صدقتم فى ولائى ما فررتم من بلائى وذكرت المحبة عند ذى النون فقال اسكتوا لئلا تسمع النفوس فتدعى وانشد يقول

الخوف اولى بالمسى ماذا تأله والحزن
والحب يجمل بالنقى وبا لنقى من الدرن

وقال ابراهيم بن ادهم يوما اللهم ان كنت اعطيت احدا من المحبين ما يسكن به قلقه قبل لقائك فأعطنى ذلك فقد اضرنى القلق فرأى فى المنام قائلا يقول يا ابراهيم اما تستحى تسأل الله ان يعطيك ما يسكن به قلقك قبل لقائه وهل يسكن قلق المحب الا بلقاء حبيبه (شعر)

لو شئت داويت قلبا انت مسقمه فى يديك من البلوى سلامته
القلب فى وله والطرف منتظر من كان مثلى فقد قامت قيامته

وفى بعض كتب الله تعالى المنزلة لن يسأم المحبون لله عز وجل من طول اجتهادهم بل يحبونه ويحبون ذكره ويحببونه الى خلقه يمشون بين عباده بالنصائح ويخافون عليهم يوم تبدو الفضائح أولئك اولياء الله تعالى وأحباؤه وأهل صفوته أولئك لا راحة لهم دون لقائه (وقال) ذو النون ما ولع امرؤ بذكر الله تعالى الا استفاد محبة الله. وقال ابراهيم بن أدهم يوما لرجل يا أخى تحب أن تكون لله وليا ويكون لك محبا قال نعم قال دع الدنيا وأقبل على ربك بقلبك يقبل عليك بوجهه فانه بلغنى ان الله تعالى أوحى الى يحيي بن زكريا عليهما الصلاة والسلام يا يحيي انى قضيت على نفسى أنه لا يجيبنى أحد من خلقى اعلم ذلك من نيته الا كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به وفؤاده الذى يعقل به فاذا كنت كذلك بغضت اليه ان يشتغل بغيرى وأدمت فكره واسهرت ليله وأظمأت نهاره أنظر اليه فى كل يوم سبعين نظرة فارى قلبه مشغولا بى فازدادمن حبه واملأ قلبه نورا حتى ينظر بنورى فكيف يسكن يا يحيي قلبه وانا جليسه وغاية أمنيته وعزتى وجلالى لا بعثنه مبعثا يغبطه النبيون والمرسلون ثم آمر مناديا ينادى هذا حبيب الله تعالى وصفيه دعاه الى زيارته فاذا جاءنى رفعت الحجاب بينى وبينه فلما ذكر الحجاب صاح يحيي عليه السلام صيحة فلم يفق ثلاثة ايام فلما أفاق قال فمن لم يرض بك صاحبا فيمن يرضى وكيف أصاحب خلقك وقد دعوتنى الى مصاحبتك (وقال) ذو النون أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام يا موسى كن كالطير الوحدانى يأكل من رؤس الاشجار ويشرب من ماء القراح اذا جنه الليل أوى الى كهف من الكهوف استئناسا بى واستيحاشا ممن عصانى يا موسى انى آليت على نفسى ان لا أتم لمدبر عنى عملا ولا قطعن امل كل مؤمل غيرى ولاقصمن ظهر من استند الى سواى ولاطيلن وحشة من استأنس بغيرى ولاعرضن عمن احب حبيبا سواى يا موسى ان لى عبادا ان ناجونى اصغيت اليهم وان نادونى اقبلت عليهم وان اقبلوا على ادنيتهم وان دنوا منى قربتهم وان تقربوا منى اكتفيتهم وان والونى واليتهم وان صافونى صافيتهم وان عملوا لى جازيتهم انا مدبر امورهم وسائس قلوبهم واحوالهم لم اجعل لقلوبهم راحة الا فى ذكرى فهؤلاء سقامهم شفاء وعلى قلوبهم ضياء لا يستأنسون الا بى ولا

يحظوز رحال قلوبهم الاعندى ولا يستقربهم القرار الا الى اللهم عمر قلوبنا بشكرك ووفقنا للقيام بذكرك وآمنا من سطوة مكرك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين والمسلمات انك أهل التقوى وأهل المغفرة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم آمين

## الفصل الثامن والعشرون فى الاسلام

الحمد لله الذى أحيا ماحل الرياض بوابل الامطار وكساعارى الربا من نسج قدرته ثياب النبات والازهار وفتح الالتقاط درر منثور الغيث أكف النوار وأجرى الماء بلطيف حكمته فى خلال الاشجار وألان الغصون فاهتزت بنسيم الاسحار الذى مطر العناية الى موات القلوب والاسرار فاحياها بجميل نظره فتلألأت من ارجائها الانوار هو الاول والآخر والظاهر والباطن العالم بالجهر والاسرار الواحد الاحد الفرد الصمد الذى هام العقل فى تعظيمه وحار السميع البصير المريد القدير وكل شىء عنده بمقدار المتكلم بكلام قديم أزلى ومن شبه فى صفاته جار له الجلال والكمال فمن عطل فقد مال الى الجحود والانكار جل الواحد المهيمن عن ان تحيط به الاوهام والافكار لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار قسم عطاءه بين خلقه فلا يغير قسمته الاحتيال والحذار أفمن يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى انما يتذكر أولوا الالباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤن بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار أحبهم ووالاهم وقربهم وتولاهم وزينهم وحلاهم فلا سعداء الا اياهم فيا قرة أعينهم فى دار القرار اذا كشف عنهم الحجاب وأنزلوا منازل الاحباب وفازوا بالقرب والجوار فسبحان من أكمل عليهم النعم وأخرجهم بانوار هدايته من غياهب الظلم وربك يخلق ما يشاء ويختار خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى الا هو العزيز الغفار (أحمده) على نعمه المسبلة الغزار وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تبلغ قائلها منازل الابرار واشهد ان محمدا عبده ورسوله المجتبى المختار صلى الله

عليه وعلى آله واصحابه آناء الليل واطراف النهار (فى قول الله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) الاسلام الانقياد لطاعة الله تعالى فان كان الانقياد مع التصديق فى الباطن فهو اسلام صحيح صادر عن ايمان صحيح وقد ورد فى الصحيح عن رسول الله ﷺ انه قال بنى الاسلام على خمس على ان يوحد الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت (وعن) انس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال جاء رجل من اهل البادية فقال يا محمد أتانا رسولك فزعم لنا انك تزعم ان الله تعالى أرسلك قال صدق قال فمن خلق السماء قال الله قال فمن خلق الارض قال الله قال فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل قال الله قال فبالذى خلق السماء وخلق الارض ونصب هذه الجبال آلله ارسلك قال نعم قال وزعم رسولك ان علينا خمس صلوات فى يومنا وليلتنا قال صدق قال فبالذى ارسلك آلله امرك بهذا قال نعم قال وزعم رسولك ان علينا زكاة فى اموالنا قال صدق قال فبالذى ارسلك آلله امرك بهذا قال نعم قال وزعم رسولك ان علينا صيام شهر رمضان فى سنتنا قال صدق قال فبالذى ارسلك آلله امرك بهذا قال نعم وزعم رسولك ان علينا حج البيت من استطاع اليه سبيلا قال صدق قال ثم ولى وقال والذى ارسلك بالحق لا ازيد عليهن ولا انقص منهن فقال ﷺ لئن صدق ليدخلن الجنة وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ ان بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارة لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر وروى ان رسول الله ﷺ اخذ غصنا يابسا فهزه حتى تساقط ورقه فتبسم فقيل ما يضحكك يا رسول الله قال ان العبد المسلم اذا توضأ وضوءه للصلاة ثم صلى الصلوات الخمس تساقطت عنه ذنوبه كما يتساقط هذا الورق وفى الصحيح عن رسول الله ﷺ انه قال خمس صلوات فرضهن الله عز وجل من احسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن واتم ركوعهن وخشوعهن كان له عند الله عهد ان يغفر له ومن لم يفعل فليس له عند الله عهد ان شاء غفر له وان شاء عذبه وقال ﷺ انما مثل الصلاة كمثل نهر عذب غمر بباب احدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقى من درنه (وروى)

مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ صلاة الرجل فى جماعة تزيد على صلاته فى بيته وصلاته فى سوقه بضعا وعشرين درجة وذلك ان احدهم اذا توضأ فأحسن الوضوء ثم اتى المسجد لا ينهزه الا الصلاة لا يريد الا الصلاة فلم يخط خطوة الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد فاذا دخل المسجد كان فى صلاة ما كانت الصلاة تحبسه والملائكة يصلون على احدكم مادام فى مجلسه الذى صلى فيه فيقولون اللهم ارحمه اللهم اغفر له اللهم تب عليه مالم يؤذ فيه مالم يحدث فيه وعن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح فكأنما صلى الليل كله وفى الحديث من فاته ورده بالليل فصلاه قبل الظهر فكأنما صلاه فى وقته وروى عنه ﷺ انه قال من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت عبادة سنة ومن صلى عشر ركعات بنى له قصراً فى الجنة وروى عنه ﷺ انه قال ما تقرب العبد الى الله عز وجل بشىء افضل من سجود خفى ما من مسلم يسجد لله سجدة الا رفعه الله بها درجة وحط عنه خطيئة وفى الحديث اقرب ما يكون العبد من الله اذا كان ساجدا وقال سعيد بن المسيب من جلس فى المسجد فكأنما يجالس الله فما حقه ان يقول الا خيرا وكان بكر بن عبد الله يقول من مثلك يا ابن آدم كلما اردت الدخول على ربك توضأت ودخلت المسجد وخاطبت مولاك فأجابك ولباك ويقال اركان الدين اربعة صحة العقد وصدق القصد والوفاء بالعهد وحفظ الحد فصحة العقد الاعتقاد الصحيح السالم من التشبيه والتعطيل فى صفات الله عز وجل وصدق القصد اخلاص العمل لله تعالى والوفاء بالعهد اداء فرائض الله تعالى وحفظ الحد اجتناب محارم الله تعالى وفى الحديث ما من مسلم قرب وضوءه وتمضمض واستنشق وغسل وجهه كما امره الله تعالى وغسل يديه الى مرفقيه ومسح برأسه وغسل قدميه الى كعبيه ثم صلى فحمد الله تعالى وأثنى عليه ومجده بالذى هو له أهل وفرغ قلبه لله الا انصرف من خطيئته كيوم ولدته أمه وفى بعض كتب الله تعالى المنزلة على عبدى ما بال الرجل يجلس اليك فيحدثك فتصغى اليه فاذا كلمك متكلم أومأت اليه اعظاما لجليسك وتقف فى الصلاة بين

يدى وقلبك مع غيرى أمن الانصاف هذا ان ترضى لى مالا ترضى لغيرى عبدى لا تفعل ياعبدى أما تستحى منى يأتيك كتاب من بعض اخوانك وأنت فى الطريق تمشى فتعدل عن الطريق وتقعد لأجل قراءته وتقرؤه وتدبر حرفا حرفا حتى لا يفوتك شيء منه وهذا كتاب أنزلته اليك أنظركم اوصلت اليك فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه أفكنت اهون عليك من بعض اخوانك ياعبدى يقعد اليك بعض اخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغى الى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم اوشغلك شاغل عن حديثه أومأت اليه ان كف وها انا مقبل عليك ومخاطب لك وانت تعرض بقلبك عنى اجعلتنى اهون عندك من بعض اخوانك عبدى لا تفعل (وكان) ابو بكر رضى الله تعالى عنه اذا حضرت الصلاة يقول يا بنى آدم قوموا الى ناركم التى اوقدتموها فاطفؤها وروى ان داود عليه الصلاة والسلام قال الهى من يسكن بيتك وممن تقبل الصلاة فأوحى الله اليه ياداود انما يسكن بيتى واتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتى وقطع نهاره بذكرى وكف عن الشهوات من اجلى يطعم الجائع ويؤوى الغريب ويرحم المصاب فذلك الذى يضيء نوره فى السماء كالشمس ان دعانى لبيته وان سألنى اعطيته اجعل له فى الجهالة حلما وفى الغفلة ذكرا وفى الظلمة نورا انما مثله فى الناس كالفردوس فى الجنان لا تيبس انهارها ولا تتغير ثمارها وفى الصحيح يقول الله عز وجل ما تقرب الى عبدى بافضل من اداء ما افترضته عليه ولا يزال العبد يتحبب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به فبى يسمع وبى يبصر وفى الصحيح سبعة يظلهم الله يوم القيامة فى ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله عز وجل ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال انى اخاف الله رب العالمين ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما انفقت يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه وقد امر الله المؤمنين بحفظ اركان الاسلام فقال تعالى يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم أى يا ايها الذين آمنوا صدقوا بقلوبكم واعبدوا الله بجوارحكم وافعلوا الخير من جميع

ابواب البر وجاهدوا فى الله حق جهاده اى جاهدوا اعداءكم واهواءكم فى طاعة الله تعالى هو اجتباكم اى اختاركم واختصكم بالايمان والاسلام وما جعل عليكم فى الدين من حرج اى ما كلفكم شيأ فى مضيق تعجز عنه طاقتكم وقال ابن عباس ما جعل عليكم فى الدين من حرج هو ان الله سبحانه وتعالى جعل التوبة مقبولة فارتفع الحرج بذلك ملة ابيكم ابراهيم اى وسع عليكم فى ملتكم كما وسع ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين معناه ان الله تعالى سماكم المسلمين من قبل فى اللوح المحفوظ وفى كتب الله عز وجل المتقدمة وفى هذا اى وفى القرآن ليكون الرسول شهيدا عليكم شهيدا لمن آمن وعلى من انكر وتكونوا شهداء للرسل على الامم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله اى اعتمدوا على الله تعالى فى مهماتكم ومجاريكم لا على اعمالكم هو مولاكم اى ناصركم فنعم المولى اى متولى الامور بلطفه ونعم النصير وقد سمى الله تعالى الايمان رحمة فقال وآتانى رحمة من عنده اى الايمان وسمى الاسلام رحمة فقال يدخل من يشاء فى رحمته اى الاسلام وسمى القرآن رحمة فقال وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين وسمى التوفيق رحمة فقال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا اى التوفيق وسمى الرسول رحمة فقال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وسمى المطر رحمة فقال تعالى وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وقال فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى الارض بعد موتها فأثر المطر حياة النبات واثر الايمان الثبات على الخيرات واثر الاسلام اقامة الصلوات واداء الزكوات والقيام بالواجبات واثر القرآن حب المناجاة وايثار الخلوات وترك الشكايات من الضر والفاقات واثر التوفيق فعل الطاعات وترك السيآت واثر الرسول ايثار امره واتباع سنته فى جميع الحالات ارض حرمت المطر فنفعها قليل قلب حرم الايمان فموته طويل بدن لا تستعمل فى الاسلام عريان عليل لسان لا يقرأ القرآن فهو كليل عامل لا يجد التوفيق فالعمل منه مستحيل مذنب لا تلحقه شفاعة المصطفى فهو حقير ذليل فاذا رايت ارضا ميتة فاعلم ان الله تعالى لم يرسل اليها رحمته واذا رأيت قلبا غافلا عن النية والاحسان فاعلم انه لم يصل اليه آثار الايمان واذا رايت بدنا تهاون فى اداء المكتوبة فاعلم ان آثار الاسلام

عنه محجوبة واذا رأيت حامل القرآن مصرا على العصيان فاعلم انه من اهل الحرمان والخذلان يلعنه فى قلبه نور القرآن واذا رأيت انسانا مصرو فا عن التحقيق فاعلم انه لم يصل اليه اثر التوفيق واذا رأيت عبدا ملازما للجفا مفرطا فى الوفا فأين بركة اتباع المصطفى فنسأل الله تعالى ان يحيي قلوبنا بغيث رحمته ويرزقنا التوفيق للقيام بخدمته ويجعلنا من خيار امة المصطفى المتبعين لسنته ولا يخالف قلوبنا عن طريقته انه الرحيم التواب الكريم الوهاب

## الفصل التاسع والعشرون فى فضل امة محمد صلى الله عليه وسلم

الحمد لله الذى خلق كل شيء فقدره وعلم مورد كل مخلوق ومصدره واثبت فى أم الكتاب ما قضاه وسطره فلا مؤخر لما قدمه ولا مقدم لما أخره المنفرد بالقدم والبقاء والعز والكبرياء فالعقول عن ادراكه قاصرة والالسن عن احصاء ثنائه مقصرة القدوس الصمد الواحد الاحد فلا مشارك له فيما ابدعه وفطره الحي العليم القدير السميع البصير اللطيف الخبير فلا يخفى عنه ما اسره العبد واضمره المتكلم بكلام قديم ازلى انزله تذكرة فمن شاء ذكره فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدى سفرة كرام برره تبا لمن جحد صفات الكمال وعارض القرآن بالجدال فيا اكفره وسحقا لمن شبه ومثل لقد ابتدع بدعة منكرة وطوبى لمن وقف حيث اوقفه مولاه ولم يتعد ما بلغه الرسول واخبره فشمس الكتاب والسنة طالعة مشرقة ليس دونها سحاب ولا غبرة لكن بقيت قسمة المالك الذى أعمى من شاء وهدى من شاء وبصر خلق آدم من طين وصوره وبوأه دار كرامته حتى استزله الشيطان بأكل الشجرة فأخرجه من الجنة ثم اجتباه وتاب عليه وجبره ورفع ادريس مكانا عليا وكان كلما تنفس سبح الله وذكره وارسل نوحا بعد فتره واطال عمره واستجاب دعاءه فى اهلاك من كذبه وكفره واهلك عادا بالريح ونجى هودا ونصره ودمر ثمود بالصيحة وسلم صالحا لما بلغ ما امره واتخذ ابراهيم خليلا واهلك عدوه نمرود ودمره ونجى لوطا وخسف بقومه فديارهم بحيرة مشتهرة ورزق الخليل ابراهيم اسحق بعد الكبر ووعده بيعقوب وبشره وفدى اسماعيل من الذبح لما استسلم واجل مصطبره وردبصر يعقوب عند قميص حبيبه حين بشره وأخرج يوسف من السجن ثم ملكه وامره وكلم موسى تكليما ونصره

على فرعون واظهره وعافى أيوب بعد ان ابتلاه وصبره واعطى داود الرسالة والملك لما قتل جالوت اذ رمى حجره ومكن سليمان فى الارض فغلب كل جبار وقهره ورفع عيسى الى السماء ووعده بقتل الدجال وادخره وختم الانبياء والمرسلين بسيد الاولين والآخرين محمد خاتم النبيين فاجتباه واصطفاه وطهره وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة (احمده) على ما أولى من خير ويسره وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له اطلع على عمل المسىء وستره وقبل توبة العاصى فعفا عن ذنبه وغفره (واشهد) ان محمدا عبده ورسوله الذى اوضح به سبيل الهدى ونوره ﷺ وعلى آله وأصحابه صلاة دائمة تبلغهم بها شرف الدنيا والآخرة آمين (فى قول الله عزوجل وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) أمة محمد ﷺ خير الامم ونبيها خير الانبياء ووسط الشئ خياره وواسطة العقد جوهرته الكبرى وقد روى ان الرسل يسئلون عن البلاغ فيدعون البلاغ فينكر الكافرون من قومهم فيقولون ما بلغونا شيأ فتشهد عليهم أمة محمد ﷺ بما فى القرآن ويشهد بتصديقهم النبى ﷺ وقد سمى الله تعالى هذه الامة صالحين قال تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون وهى كل ارض فتحها المسلمون كالحجاز والعراق والشام ومصر وغيرها وقيل يعنى أرض الجنة وقال ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ووصفهم بالفلاح فقال تعالى قد أفلح المؤمنون ووصفهم بالخير فقال تعالى كنتم خير أمة اخرجت للناس أى كنتم فى علم الله تعالى وفى اللوح المحفوظ خير الامم وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال أنتم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عزوجل وقال أبو هريرة رضى الله عنه نحن خير الناس للناس نسوقهم بالسلاسل الى الاسلام ووصفهم بالعدالة فقال لتكونوا شهداء على الناس . قال وهب بن منبه لما قرأ موسى عليه الصلاة والسلام الالواح وجد فيها فضيلة أمة محمد ﷺ قال يارب من هذه الامة المرحومة التى اجدها فى الالواح قال هى أمة محمد يرضون منى باليسير أعطيهم اياه وأرضى منهم باليسير من العمل ادخلهم الجنة بشهادة أن لا اله الا الله قال فانى أجد فى الالواح امة يحشرون يوم القيامة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر

فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد أحشرهم يوم القيامة غرا محجلين قال يارب اني أجد في الالواح امة ازودتهم على ظهورهم وسيوفهم على عواتقهم أصحاب رؤوس الصوامع يطلبون الجهاد بكل افق حتى يقاتلوا الدجال فاجعلهم امتي قال هي امة احمد قال يارب اني اجد في الالواح امة يصلون في اليوم خمس صلوات في خمس ساعات من النهار والليل تفتح لهم ابواب السماء وتنزل عليهم الملائكة فاجعلهم امتي قال هي امة احمد قال يارب اني اجد في الالواح امة الارض لهم مسجد وطهور وتحل لهم الغنائم فاجعلهم امتي قال هم امة احمد قال يارب اني اجد في الالواح امة يصومون لك شهر رمضان فيغفر لهم ما كان قبل ذلك فاجعلهم امتي قال هم امة احمد قال يارب اني اجد في الالواح امة يحجون لك البيت الحرام لا يقضون منه وطرا يعجون اليك بالبكاء عجيجا ويضجون بالبكاء ضجيجا فاجعلهم امتي قال هم امة احمد قال يارب فاتعطيهم على ذلك قال ازيدهم المغفرة واشفعهم فيمن وراءهم قال يارب اني اجد في الالواح امة سفهاء قليلة احلامهم يعلفون البهائم ويستغفرون من الذنوب يرفع احدهم اللقمة الى فيه فلا تستقر في جوفه حتى يغفر له يفتتحها باسمك ويختتمها بحمدك فاجعلهم امتي قال هم امة احمد قال يارب اني اجد في الالواح امة هم السابقون يوم القيامة وهم الآخرون من الخلق اجعلهم امتي يارب قال هي امة احمد قال يارب اني اجد في الالواح امة اناجيلهم في الصدور يقرؤنها فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال يارب اني اجد في الالواح امة اذا هم احدهم بحسنة يعملها فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة وان عملها كتبت له عشرا مثالها الى سبعمائة ضعف رب فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال يارب اني اجد في الالواح امة اذا هم احدهم بالسيئة ثم لم يعملها لم تكتب عليه وان عملها كتبت عليه سيئة واحدة فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال يارب اني اجد في الالواح امة هم خير الناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال يارب اني اجد في الالواح امة يحشرون يوم القيامة على ثلاث ثلل ثلة يدخلون الجنة بغير حساب وثلة يحاسبون حسابا يسيرا وثلة يمحضون ثم يدخلون الجنة فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال يارب بسطت هذا الخير لاحمد وامته فاجعلني من امته قال الله تعالى يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين . وعن ابن عباس رضي

الله تعالى عنهما قال قال رسول الله ﷺ يوما لاصحابه ما تقولون فى هذه الآية وما كنت بجانب الطور اذ نادينا فقالوا الله ورسوله اعلم فقال لما كلم الله موسى عليه الصلاة والسلام قال يارب هل خلقت خلقا اكرم عليك منى اصطفيتنى على البشر وكلمتنى بطور سيناء فقال يا موسى اما علمت ان محمدا اكرم على من جميع خلقى وانى نظرت فى قلوب عبادى فلم اجد قلبا أشد تواضعا من قلبك فلذلك اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فمت على التوحيد وعلى حب محمد ﷺ قال موسى فهل فى الامم اكرم عليك من امتى ظللت عليهم الغمام وانزلت عليهم المن والسلوى فقال الله تعالى يا موسى اما علمت ان فضل امة محمد على سائر الامم كفضلى على جميع خلقى قال موسى أفأراهم قال ان تراهم لكن ان احببت ان تسمع كلامهم فعلت قال فانى احب ذلك قال الله تعالى يا امة محمد فاجابوا كلهم بصيحة واحدة يقولون لبيك اللهم لبيك وهم فى اصلاب آبائهم ثم قال تعالى صلاتى عليكم ورحمتى سبقت غضبى وعفوى سبق عذابى وانى غفرت لكم قبل ان تستغفرونى واستجبت لكم قبل ان تدعونى واعطيتكم قبل ان تسألونى فمن لقينى منكم يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله غفرت له ذنوبه فاراد الله ان يمن على بذلك فقال وما كنت بجانب الطور اذ نادينا امتك. وعن كعب الاحبار رضى الله عنه قال وجدت فى التوراة ان امة محمد ﷺ يصلون صلاة الفجر يسبحون ويهللون فلهم ثواب الانبياء ووجدتهم مع كل واحد منهم قضيب من نور وهو الاسلام ووجدتهم ينظرون يوم القيامة الى ربهم ووجدتهم يمشون على الارض يستغفر لهم ووجدتهم يصلون كل يوم خمس صلوات ولهم بكل ركوع وسجود مغفرة ووجدتهم ان الرجل يخر ساجدا فلا يرفع رأسه حتى يغفر له ووجدتهم ان الجنة تشتاق اليهم كل يوم خمس مرات عند مواقيت الصلاة ووجدتهم يصومون كل سنة شهرا وهو شهر رمضان فيعطون بكل يوم مباعدة مسيرة خمسمائة عام من النار ووجدتهم طوبى لهم وحسن مآب ووجدتهم ان الموت كفارة لذنوبهم وان الحمى وردهم من النار ووجدت ان من فعل تطوعا منهم فله اجر من أدى فريضة من سواهم ووجدتهم يحجون البيت حج آدم ويستنون بسنة ابراهيم فيعطون شفاعة آدم وخلة ابراهيم ووجدتهم يزكون فى كل سنة فلهم بالزكاة زيادة فى اعمارهم واموالهم

وقال وهب بن منبه قرأت فى بعض كتب الله المنزلة انى باعث رسولا من الاميين ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق ولا قوال بالهجر والخنى اسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم واجعل السكينة على لسانه والتقوى ضميره والحكمة منطقه والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والحق شريعته والعدل سيرته والاسلام ملته وارفع به من الوضيعة واغنى به من العيلة واهدى به من الضلالة وأؤلف به بين قلوب متفرقة واهواء مختلفة واجعل امته خير الامم ايمانا بى وتوحيدا لى واخلاصا بما جاء به رسولى الهمهم التسبيح والتحميد والتمجيد فى مساجدهم وصلواتهم ومتقلبهم ومثواهم يخرجون من ديارهم واموالهم ابتغاء مرضاتى يقاتلون فى سبيلى صفوفا ويصلون لى قياما وركوعا وسجودا قربانهم دماؤهم واناجيلهم فى صدورهم يكبرونى على كل شرف رهبان الليل اسد النهار ذلك فضلى اوتيه من اشاء وانا ذو الفضل العظيم. وفى بعض كتب الله المنزلة انا الله الذى لا اله الا انا وحدى لا شريك لى محمد المختار عبدى ورسولى امته الحامدون رعاة الشمس فيهم صلاة لو كانت فى قوم نوح ما هلكوا بالطوفان ولو كانت فى قوم عاد ما هلكوا بالريح ولو كانت فى قوم ثمود ما هلكوا بالصيحة واعلم ان الله اختار امة محمد على سائر الامم وخيار الامة علماؤها واعلم هذه الامة أصحاب رسول الله ﷺ لصحبة النبى ﷺ ومشاهدة الوحى والتنزيل ثم خيار كل قرن علماؤها قال الله تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا والحكمة العلم قال الله تعالى واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة قال الامام مالك رحمه الله الحكمة الفقه فى الدين ولين فى القلب من خشية الله تعالى وقال ايضا فى وصيته للامام الشافعى رحمه الله تعالى ان الله تعالى قذف فى قلبك نورا فلا تطفئه بظلم الذنوب وروى عن رسول الله ﷺ انه قال فضل العالم على العابد كفضلى على ادنى رجل منكم بين العالم والعابد سبعون درجة بين كل درجتين مسيرة مائة عام من غدا للعلم يتعلمه فتح الله له به طريقا الى الجنة وصلت عليه ملائكة السماء وحيتان البحر وللعالم من الفضل على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب والعلماء ورثة الانبياء مثل العلماء فى الارض كمثل النجوم فى السماء يهتدى بها ان لله تعالى عند كل بدعة كيدها الاسلام وأهله وليا يذب

عنه اذ كان يوم القيامة جمع الله تعالى العلماء على صعيد واحد وقال لهم انى لم استودعكم حكمتى وانا اريد ان اعذبكم ادخلوا الجنة برحمتى يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء ما من مؤمن يتعلم حرفا من العلم مما يحتاج اليه الا غفر له قبل ان يقوم من عند العالم وفى الحديث ايضا النظر فى وجه العالم عبادة من أضاف عالما كان فى ظل عرش الله يوم القيامة والعالم من علم كتاب الله تعالى وسنة رسوله فكان اماما يقتدى به فى معرفة الله ومعرفة احكام الله تعالى ولا يجوز الاقتداء بالعالم الا ان يكون مؤديا لفرائض الله تعالى مجتنبا لمحارم الله تعالى محافظا على دين الله قال عيسى عليه الصلاة والسلام من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما فى ملكوت السماء وفى الصحيح ان رسول الله ﷺ قال ان الله لا ينزع العلم بعد ان أعطاكموه انتزاعا ولكن ينزعه بقبض العلماء فتبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون وقال ﷺ قبل الساعة سنون خداعات يصدق فيهن الكاذب ويكذب فيهن الصادق ويخون فيهن الامين ويؤتمن فيهن الخائن وينطق فيهن الرويبضة يعنى الجاهل وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لكعب الاحبار رضى الله عنه ما أخوف ما يخاف على امة محمد ﷺ قال ائمة مضلون فقال صدقت بذلك اسر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الصحيح من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وروى عن رسول الله ﷺ انه قال من حفظ القرآن فكأنما أدرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه وقال الفضيل حامل القرآن حامل راية الاسلام فلا ينبغى ان يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو تعظيما لحق القرآن وروى عن رسول الله ﷺ انه قال ما عبد الله بشىء افضل من فقه فى الدين ولفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد وقال رجل لابى هريرة رضى الله عنه انى اريد ان أتعلم العلم واخاف ان اضيعه ولا اعمل به فقال كفى بتركك له تضييعا ويقال العاقل اذا أحبك بذل جهده فى المودة والنصرة واذا أبغضك رفع عن الظلم قدره واذا أحسنت اليه اعترف وشكر وان اسات اليه ستر واعتذر وغفر والاحمق اذا قربته تكبر واذا أبعدته تكدر وكلما رفعت من قدره درجة انحط من قدرك عنده درجة. ويروى عن سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام انه قال ما ارتدى العبد برداء افضل واجمل من رداء

العقل ان انكسر جبره وان صرع انعشه وان زل عمده وان ذل أعزه وان أعوج اقامه وان عثر رفعه وان افتقر اغناه وأن انكشف ستره وان أقام عند قوم اغتبطوا به وان غاب اشتاقوا اليه وان نطق قالوا بليغ وان سكت قالوا لبيب وان أنفق قالوا جواد وان امسك قالوا مقتصد وان وعظ احد قالوا ناصح وان سكت عنه قالوا شفيق وان افطر قالوا معذور وان صام قالوا مجتهد فالعقل رأس الايمان به يتفاضل لاهل الدنيا في دنياهم واهل الجنة في درجاتهم والعاقل اذا خطأ رجع واذا أساء احسن والعقل يرد صاحبه الى خير العواقب . وقال علي بن موسى رضي الله عنه اعظم الرزايا موت العلماء وكان ذو النون رحمه الله تعالى يقول آه آه ثم آه تعطلت الطرق وقل السالكون وهجرت الاعمال وقل الراغبون واندرس هذا الامر فلن تراه الا على لسان كل بطال ينطق بالعلم ويفارق العمل افترش الرخص ومهد التأويل واعجبا من كل عالم عليم وناطق حكيم كيف سكنت قلوبهم الى الدنيا وانقطعت عن ملكوت السماء وقال سفيان الثوري كانوا يتعوذون بالله تعالى من فتنة العالم الفاجر وفتنة العابد الجاهل فان فتنتهما فتنة لكل مفتون . قيل لابراهيم بن عيينة اي الناس اطول بدامة قال أما في الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره واما في الآخرة فعالم مفرط (شعر)

يا عالما انت الامير وليس من ... شأن الجبان سياسة الابطال
يا اعمشا تبري العيون بكحلة ... ياخيبة للاعمش الكحال

قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء يعني انما يخشى الله من كان عالما به عارفا بجلاله وسطوته يامعشر العلماء أين خشية الله يامعشر الفقراء اين الرأفة والرحمة ليس العالم من ضيع الايام بتزويق الكلام وجمع الحطام والتكالب على الحرام انما العالم من هجر الانام وترك الآثام وقام في جنح الظلام والتذ بأشرف الكلام فنسأل الله تعالى ان يلهمنا رشدنا ويحقق قصدنا ويوقظنا من غفلتنا ويلحقنا بعباده الصالحين ويحشرنا في زمرة المتقين انه ارحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## الفصل الثلاثون فى الدعاء

الحمد لله العظيم السلطان العميم الاحسان الحليم المنان الاول قبل كل مكان وزمان الآخر الباقى وكل من عليها فان القدوس فلا يوصف بعوارض الاجسام ولا يعتريه تغير الحدثان الواحد الاحد فمن ادعى معه الها آخر فقد ادعى ما ليس له عليه برهان الحى العليم السميع البصير فسواء عنده السر والاعلان المدبر القدير فبقدرته وارادته جميع الآثار والاعيان المتكلم بكلام قديم ازلى تكلم فى الازل بالقرآن صفاته قديمة ثابتة بالادلة فمن عطل فهو فى تيه وضلال حيران ليس كمثله شىء ومن شبه فقد مال الى عبادة الاصنام والاوثان جل العلى الاعلى عما يصوره الوهم فقد كبرت كلمة المشبهين فى الوزر وخفت فى الميزان قسم عطاءه بين خلقه فكتب فى قلوب السعداء الايمان ونور قلوب العارفين بطلوع شمس العرفان وعجل لهم من نسيم قربه روضة نضرة ذات روح وريحان وتلقاهم بالتحية والسلام يوم لقائه ففازوا بالايمان وقوم ربطهم عن رياض المعرفة بقيد الخذلان وسجن اسرارهم عن الجولان فى بستان النظر فى آلائه فهم فى سجن الحرمان فلا سبيل ولا وصول لهم الى هذا الميدان ولو ارادوا القرب وبذلوا فيه جهد الامكان لردتهم السابقة الازلية وناداهم منادى القسمة ارجعوا فالكم هنا مكان فبكاؤهم لا ينفع ونداؤهم لا يرفع فشتان ما بين الطائفتين فشتان مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان. احمده وهو اهل الحمد والامتنان واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له اله تفرد برافته الى قلوب عباده وهو المهيمن الرحمن واشهد ان محمدا عبده ورسوله الذى اجتباه من اشرف قبائل مضر بن نزار بن معد بن عدنان ﷺ وعلى آله واصحابه الذين اتبعوهم باحسان (فى قول الله عز وجل واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) وروى ان قوما لما نزل قوله تعالى ادعونى استجب لكم قال يا رسول الله فى اى وقت ندعو الله وقال قوم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فانزل الله تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان واذا سألك عبادى عن ذاتى فأنا الموجود من غير موجد لا يدركنى كيف ولا يحيط بى اين ولا ينقضى ما

ولا يلحقني متى وان سألوك عن صفاتي فالعلم والحياء والقدرة والسمع والبصر والارادة والكلام صفاتي قديمة لا يدركها الاوهام وان سألوك عن افعالي فكل يوم هو في شان اقرب وابعد واشقى واسعد واحيي واميت واغفر لمن شئت وأعطي وامنع واخفض وارفع واذا سألوك عن الدلالة على فالدلالة على عجيب تدبيري ومحكم آياتي وبديع تقديري في مخلوقاتي واذا سألوك عن قربي منهم فاني قريب بالقدرة والنصرة والرحمة والنعمة والعلم والحلم أجيب دعوة الداع اذا دعان ان دعاني لضر كشف وان دعاني لحاجة قضيت واسعفت وان دعاني لمرض شفيت وان دعاني لهم كفيت وان دعاني لرزق أطعمت وأرويت وان دعاني لدين اديت وان دعاني لعيب اصلحت وان دعاني لذنب غفرت وصفحت وان دعاني لتوبة تقبلت وان دعاني لنقص كملت ان اطاعوني احسنت اليهم وان عصوني سترت عليهم وان ادبروا عني ناديتهم وان اقبلوا أدنيتهم وان سألوا أعطيتهم وفي بعض كتب الله المنزلة ياعبدي اذا سألت فاسألني فاني غني واذا طلبت النصرة فاطلبها مني فاني قوي واذا افشيت سرك فأفشه الي فاني وفي واذا أقرضت فأقرضني فاني ملي ء وفي واذا دعوت فادعني فاني حي (شعر)

سبحان من لا يخيب من قصده ... من قصد الله صادقا وجده

قد شمل الخلق بفضل نعمته ... كل الى فضله يمديده

قال ابن عطاء الله للدعاء أركان وأجنحة وأوقات واسباب فاذا وافق اركانه قوي وان وافق اجنحته ارتفع وان وافق اوقاته فاز وان وافق اسبابه نجح فاركانه حضور القلب مع الله تعالى والخشوع لله والحياء من الله ورجاء كرم الله واجنحته الصدق وأكل الحلال وأوقاته اوقات الفراغ والخلوة كالاسحار واسبابه الصلاة على النبي ﷺ فان الدعاء لا يرد اذا كان قبله وبعده الصلاة على النبي ﷺ . روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وانا معه اذا دعاني وعنه قال قال رسول الله ﷺ يا أيها الناس ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا ايها الذين آمنوا كلوا من الطيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل

يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك وروى عن ابى هريرة أيضا عن النبى ﷺ انه قال لا يزال يستجاب للعبد مالم يدع بأثم او قطيعة رحم مالم يستعجل قيل يارسول الله ما الاستعجال قال تقول قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجاب لى فيستحضر عند ذلك ويدع الدعاء وروى جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال ان فى الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيرا من خيرى الدنيا والآخرة الا اعطاه اياه وذلك فى كل ليلة وروى ابو هريرة رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال ينزل ربنا تبارك وتعالى فى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعونى فاستجيب له من يسألنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفر له ويجب على المؤمن اذا سمع هذا الحديث ان يعلم ان المراد به ترغيب الذاكرين والمجتهدين وتعريف الطالبين بكرم الله تعالى وان الله تعالى منزه فى ذاته وصفاته عن مشابهة المخلوقين ينزل بغير تشبيه ولا تكييف ولا تقدير ليس كمثله شىء وهو السميع البصير . وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال دعوة المسلم لاخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك موكل كلما دعا لاخيه قال الملك الموكل به آمين ولك بمثل ذلك وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات ورب الارض ورب العرش الكريم : وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ ما من مسلم يدعوا بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا اعطاه الله احدى ثلاث اما ان يعجل له دعوته واما أن يدخرها له فى الآخرة واما ان يكف عنه من السوء بمثلها وروى سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال دعاء ذى النون اذا نزل بأحدكم هم او بلاء فدعا به فرج الله تعالى عنه لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين : وقال وهب بن منبه رحمه الله بلغنى أن موسى عليه الصلاة والسلام مر برجل قائم يدعو ويتضرع طويلا وهو ينظر اليه قال موسى يارب اما تستجيب لعبدك فاوحى الله تعالى اليه يا موسى لو انه بكى حتى تلفت نفسه ورفع يده حتى

تبلغ عنان السماء ما استجيب له فقال يارب لم ذلك قال لان فى بطنه الحرام وعلى ظهره الحرام وفى بيته الحرام . ومر ابراهيم بن ادهم رضى الله عنه بسوق البصرة فاجتمع اليه الناس فقالوا يا أبا اسحاق مالنا ندعو فلا يستجاب لنا قال لان قلوبكم ماتت بعشرة أشياء الاول عرفتم الله تعالى فلم تؤدوا حقه الثانى زعمتم انكم تحبون رسول الله ﷺ وتركتم سنته والثالث قرأتم القرآن ولم تعملوا به والرابع اكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكرها والخامس قلتم ان الشيطان عدوكم ووافقتموه والسادس قلتم ان الجنة حق ولم تعملوا لها والسابع قلتم ان النار حق ولم تهربوا منها والثامن قلتم ان الموت حق ولم تستعدوا له والتاسع اذا انتبهتم من النوم اشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم والعاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم . وكان يحيى بن معاذ يقول من أقر لله باساءته جاد الله عليه بمغفرته ومن لم يمن على الله بطاعته لوصلته الى جنته ومن اخلص لله دعوته من الله عليه باجابته . وكان ذو النون المصرى رحمه الله تعالى اذا قام الى الصلاة يقول الهى بأى رجل امشى اليك ام بأى عين انظر اليك أم بأى لسان اناجيك ام بأى يد ادعوك ولكن الثقة بكرمك حملتنى على الجراءة وان العبد اذا ضاقت عليه حيلته قل حياؤه . وقال محمد بن خزيمة لما مات الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى رايته فى المنام وهو يتبختر فقلت اى مشية هذه فقال مشية الخدام فى دار السلام قلت ما فعل الله بك قال غفر لى وتوجنى والبسنى نعلين من ذهب فقال يا احمد هذا بقراءتك القرآن كلامى ثم قال يا احمد ادعنى بتلك الدعوات التى بلغتك عن سفيان الثورى وكنت تدعو بها فى دار الدنيا فقلت يارب كل شىء بقدرتك اصاب على كل شىء اغفر لى كل شىء ولا تسألنى عن شىء وقال بن عباس رضى الله عنهما الناس جدب فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال كعب الاحبار يا امير المؤمنين ان بنى اسرائيل كان اذا اصابهم مثل هذا استسقوا بأقارب انبيائهم فقال عمر هذا العباس عم النبى ﷺ ومشى اليه وسأله ان يستسقى للناس فخرج الناس ووقف عمر والعباس رضى الله عنهما فقال عمر اللهم ان هؤلاء عبيدك وبنو عبيدك وملك يديك اتوك راغبين متوسلين بعم نبيك خير الانبياء فاسقنا سقيا نافعا يعم العباد والبلاد ولا تجعلنا من القانطين فقال العباس اللهم انه لا ينزل بلاء الا بذنب ولا

يكشف الابتوبة وهذه ايدينا مبسوطة اليك بالذنوب ونواصينا (٢) بالتوبة قد توجه القوم بى لمكانى من نبيك ﷺ فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين يا ارحم الراحمين قال فارتجت السماء بمطر عظيم حتى ساوت الحفر والآكام

﴿ فصول تضرع نختم بها هذا الكتاب ﴾

الهى تفضلت فعم افضالك وانعمت فتم نوالك وسترت فتواصل غفرانك وغفرت فتكامل احسانك جل جلالك فتعالى وانهل نوالك فتوالى تعاليت فى دنوك وتقربت فى علوك فلا يدركك وهم ولا يحيط بك فهم أنت الاول الآخر الباطن الظاهر تنزهت فى احديتك عن بداية وتعاظمت فى ابديتك عن نهاية أنت الواحد لا من عدد الباقى بعد الابد لك خضع من ركع وذل من سجد وبك اهتدى من طلب ووصل من جد (الهى) كيف يحيط بك عقل انت خلقته ام كيف يدركك بصر انت شققته أم كيف يدنو منك فكر انت وفقته أم كيف يحصى الثناء عليك لسان أنت أنطقته اذا تلمحت عظمتك أبصار البصائر عادت بنور سلطانك كليلة واذا تجمعت عظائم الجرائم كانت فى جنب عفوك قليلة سبقت السبق فانت الاول وخلقت الخلق فعليك المعول وعدت اذ جدت يا خير من تطول عجبا للقلوب كيف استأنست بسواك والارواح كيف استقرت والاسرار بنور البصائر تراك والالسن كيف شكرت من لا يقدر على شىء لولاك والاقدام كيف سعت الى غير رضاك (الهى) كيف يناجيك فى الصلوات من يعصيك فى الخلوات لولا حلمك أم كيف يدعوك فى الحاجات من ينساك عند الشهوات لولا فضلك ام كيف تنام العيون وفى كل ليلة تقول هل من تائب هل من مستغفر هل من سائل ام كيف كفت الاكف عن سؤالك وسيل الجود سائل أم كيف ينقطع عنك من لم تقطع عنه الرسائل ام كيف يباع الباقى بالفانى وانهى ايام قلائل اللهم ارزقنا حسن الاقبال عليك والاصغاء اليك والفهم عنك والبصيرة فى أمرك والنفاذ فى طاعتك والمواظبة على ارادتك والمبادرة الى خدمتك وحسن الادب فى معاملتك والتسليم اليك والرضا بقضائك

(٢) قوله ونواصينا بالتوبة هكذا بالاصل ولعله نواصينا خاضعة بالتوبة او نحو ذلك وليحرر

﴿ فصل ﴾ اللهم ياحبيب كل غريب ويا أنيس كل كئيب اى منقطع اليك لم تكفه بنعمتك ام أى طالب لم تلقه برحمتك ام أى هاجر هجر فيك الخلق فلم تصله ام أى محب خلا بذكرك فلم تؤنسه أم اى داع دعاك فلم تجبه ويروى عنك سبحانك أنت قلت وما غضبت على احد كغضبي على مذنب اذنب ذنبا فاستعظمه فى جنب عفوى اللهم يامن يغضب على من لا يسأله لا تمنع من قد سألك (الهى) كيف نتجاسر على السؤال مع الخطايا والزلات ام كيف نستغنى عن السؤال مع الفقر والفاقات ام كيف يجمل بعبد أبق عن باب مولاه ان يقف على الباب طالبا جزيل عطاياه انما ينبغى لطالب المغفرة والتعلق باذيال المعذرة لانك ملك كريم نالت بجودك عليك واطلقت الالسنة بالسؤال لديك واكرمت الوفود اذا ارتحلوا اليك (شعر)

اذا ارتحل الوفود اليك يوما ... ولجوا فى الضراعة والسؤال
فان رحالنا حطت رجاء ... لفضلك عن حلول وارتحال
أنخنا عند بابك يا الهى ... اليك مفوضين بلا اعتلال
فسنا كيف شئت ولا تكلنا ... الى تدبيرنا ياذا الجلال

ياحبيب القلوب أين احبابك يا أنيس المنفردين أين طلابك من ذا الذى عاملك فلم يربح من الذى التجأ اليك فلم يفرح او من وصل الى بساط قربك واشتهى ان يبرح واعجبا للقلوب مالت الى غيرك ما الذى ارادت ولنفوس طلبت الراحة هلا طلبت منك واستفادت ولعزائم سعت الى مرضاتك ما الذى ردها فعادت هل نقصت أموال استقرضتها لا وحقك بل زادت سبق اختيارك فبطلت الحيل وجرت اقدارك فلا يغيرها العمل وتقدمت محبتك لاقوام قبل خلقهم فى الازل وغضبت على قوم فلم ينتفع عاملهم بما فعل فلا قوة على طاعتك الا باعانتك ولا حول عن معصيتك الا بمشيئتك ولا ملجأ منك الا اليك ولا خير يرجى الا فى يديك يا من بيده اصلاح القلوب أصلح قلوبنا يا من تتصاغر فى عفوه الذنوب اغفر ذنوبنا اللهم انا قد اتيناك طالبين فلا ترددنا خائبين لم نزل الى باب جودك مائلين فأصلح كل قلب قاس فلا يلين واسلك بنا مناهج المتقين وألبسنا خلع الايمان واليقين بدروع الصدق فانهن يقين ولا تجعلنا ممن يعاهد على التوبة ويمين واجعلنا من فضلك من أهل اليمين برحمة منك يا ارحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وامام المرسلين

(فصل) الهى لولا انك بالفضل تجود ما كان عبدك الى الذنب يعود ولولا محبتك للغفران ما امهلت من يبارزك بالعصيان وأسبلت سترك على من اسبل ذيل النسيان وقابلت اساءتنا منك بالاحسان (شعر)

استغفر الله مما كان من زللى ومن ذنوبى وتفريطى واصرارى
يارب هب لى ذنوبى يا كريم فقد امسكت حبل الرجا ياخير غفار

(الهى) ما امرتنا بالاستغفار الا وانت تريد المغفرة ولولا كرمك ما الهمتنا المعذرة انت المبتدئ بالنوال قبل السؤال والمعطى من الافضال فوق الآمال انا لا نرجو الا غفرانك ولا نطلب الا احسانك ادعوك بلسان أملى لما كل لسان عملى ان أطعتك رجوت احسانك وان عصيتك رجعت اليك طالبا غفرانك (شعر)

أذنبت ذنبا عظيما وأنت اعظم منه
ضيعت حظى بجهلى فلم أصنه فصنه
ان لم اكن مستحقا للعفو منك فكنه

اللهم انا نسألك برحمتك التى ابتدأت بها الطائعين حتى قاموا بطاعتهم ان تمن بها على العاصين بعد معصيتهم فانك المحسن بادئا وعائدا يا كريم (شعر)

اجل ذنوبى عند عفوك سيدى حقير وان كانت ذنوبى عظائما
ومازلت غفارا ومازلت راحما وما زلت ستارا على الجرائما
لئن كنت قد تابعت جهلى فى الهوى وقضيت اوطار البطالة هائما
فها انا قد اقررت يارب بالذى جنيت وقد اصبحت حيران نادما

(الهى) انت المحسن وانا المسىء ومن شأن المحسن اتمام احسانه ومن شأن المسىء الاعتراف بعدوانه يامن امهل وما اهمل وستر حتى كانه قد غفر انت الغنى وانا الفقير وانت العزيز وانا الحقير اللهم انظر الينا نظر الرضاء ونجنا من ديوان اهل الجفاء واثبتنا فى ديوان اهل الصفاء وارزقنا على ما عهدنا حسن الوفاء واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم آمين

«فصل» الهى لك بهاء الجلال فى انفراد وحدانيتك ولك سلطان العز فى دوام ربوبيتك بعدت على قرب اوهام الباحثين عن بلوغ صفاتك وتحيرت الباب العارفين

فى جلالك وعظمتك (الهى من اطمعنا فى عفوك وجودك وكرمك والهمنا شكر نعمائك وأتى بنا الى بابك ورغبنا فيما عددته لاحبابك هل ذلك كله الا منك دللتنا عليك وجئت بنا اليك (شعر)

اليك جئنا وأنت جئت بنا ... وليس شئ سواك يغنينا
بابك رحب فناؤه كرم ... توؤى الى بابك المساكينا

(الهى) الصبر جميل الا عنك والاسف قبيح الا ما فات منك (شعر)

انى رفعت اليك قصة حائر ... ورجوت فضلك عند آخر قصتى
لافرج الله الصبابة والهوى ... عنى ولا زالت عليك محبتى

(الهى) عودتنى كريم نوالك عند سوء الك واطمعتنى فى كثرة افضالك بنيل اقبالك سألتك فاعطيتنى فوق منائى كم رجوتك فحققت رجائى (شعر)

وانى لادعو الله والامر ضيق ... على فما ينفك ان يتفرجا
ورب فتى سدت عليه وجوهه ... اضاءت لها فى دعوة الله مخرجا

(الهى) اسكرتنى الآمال حتى أنستنى هجوم الآجال (الهى) انت اعلم بى منى فبكمال جودك تجاوز عنى

مالك قلبى لابد منك وان ... اوحش بينى وبينك الزلل
عالم سرى انا الغريق نخذ ... كف غريق عليك يتكل

(الهى) من لم تجبر كسره ما اطول فقره من لم تنعشه من كربته مات بشقوته واخيبة من طردته عن بابك واحسرة من ابعدته عن طريق احبابك (الهى) ان كانت رحمتك للمحسنين فالى اين تذهب آمال المذنبين (شعر)

يامن يجيب دعا المضطر فى الظلم ... يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا ... وانت ياحى ياقيوم لم تنم
ان كان جودك لا يرجوه ذو زلل ... فمن يجود على العاصين بالكرم
هب لى بجودك فضل العفو عن زلل ... يامن اليه التجا الخلق فى الحرم

(اللهم) جللنا بسترك واعف عنا بكرمك وعاملنا بلطفك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ فصل ﴾ الهى ان كنا مقصرين فى حفظ جدك والوفاء بعهدك فأنت تعلم صدقنا فى رجاء رفدك وخالص ودك يامن ظهرت معرفته للقلوب فلا يخفى وجوده وعم الخلائق كرمه وجوده ياأول فلا بداية لازليته ياآخر فلا نهاية لابديته ياظاهر بما ابدع من افعاله يا باطن فالعقول عاجزة عن وصف كماله ياقدوس فلا شبيه له ياواحد لاشريك له خلقتنا مسلمين فسلمنا من عذابك وجعلتنا مؤمنين فآمنا من عقابك اعطيتنا الايمان قبل السؤال وهو افضل ما تعطيه من النوال والكريم لايرجع فى هبته والغنى لايعود فى عطيته اللهم اجعل الايمان هادما للسيآت كما جعلت الكفر هادما للحسنات اللهم ان عصيناك فنحن نحبك وان اطعنا ابليس فنحن نبغضه فاغفر لنا معصيتنا لك بحبنا فيك وتجاوز عن طاعتنا له ببغضنا فيه ( الهى ) ببابك انخنا ولمعروفك تعرضنا وبكرمك تعلقنا وبتقصيرنا اعترفنا وأنت أكرم مسؤل وأعظم مأمول (شعر)

ببابك ربى قد انخت ركائبى ... ومالى من ارجوه ياخير واهب
فان جدت بالفضل الذى انت اهله ... فيانجح آمالى بنيل رغائبى
وان ابعدتنى عن حماك خطيئتى ... فياخيبة المسعى وضيعة جانبى
حرام على قلبى وان شقه الضنا ... يميل الى خل سواك وصاحب
اذا لم امت شوقا اليك وحسرة ... عليك فما بلغت منك مآربى

اللهم ارحم عبادا غرهم طول امهالك واطمعهم دوام افضالك ومدوا ايديهم الى كرم نوالك وتيقنوا ان لاغنى لهم عن سؤالك

فصل اللهم ياحبيب التائبين ويا سرور العابدين ويا قرة اعين العارفين ويا انيس المنفردين ويا حرز اللاجين ويا ظهر المنقطعين ويا من حنت اليه قلوب الصديقين اجعلنا من اوليائك المتقين وحزبك المفلحين اللهم وان كانت ذنوبنا فظيعة فانا لم نرد بها القطيعة اللهم انا لانبرح عن بابك فلا تعذبنا بأليم حجابك نحن ان لم نكن كما امرتنا فأنت ذو عز وغنى ونحن المساكين ان لم تكن لنا الى من نلتجىء ان صرفتنا الى اين تذهب ان طردتنا بمن نتوسل ان حجبتنا من يقبل علينا ان اعرضت عنا شعر

تعطف بفضل منك يافاطر الورى ... فأنت ملاذى سيدى ومعينى

لئن ابعدتنى عن حماك خطيئتى فأن رجائى شافعى ويقينى
فظنى جميل اننى بك واثق وان جميل العفو منك يقينى
ذكرت زمان الوصل فى روضة الرضا فطال حنينى نحوه وانينى
وروقت دمع العين حتى كانها دموع دموعى لا دموع جفونى

اللهم انا نعبدك طوعا ونعصيك كرها ونخافك لانك عظيم ونرجوك لانك اله ونخافك لاناعبيد فلك حببنا ولناخوفنا فارحمنا لكرم الربوبية ولضعف العبودية (الهى) كيف نردنا الذنوب ونحن الفقراء الى نوالك هانحن قد انخنا ببابك فتعطف علينا مع احبابك كفانا عزا ان نكون لك عبيدا وكفانا شرفا ان تكون لنا ربا (الهى) انت لنا كما نحب فاجعلنا لك كما تحب (الهى) كل فرح بغيرك زائل وكل شغل بسواك باطل السرور بك هو السرور والسرور بغيرك هو الغرور

(شعر)

فهنا بذكرك والظلماء عاكفة فكان ياسيدى احلى من السمر
يامن اذا قلت يامن لا نظير له فى عزه قيل لى ياأصدق البشر
عودتنى الطول والاحسان ياأملى فامنن بجودك ياسمعى ويابصرى
اصبحت فى حيرة لا ارتجى سببا من ارتجيه وقلبى من سواك برى

(الهى) حجتى حاجتى ووسيلتى فاقتى (شعر)

كفانى سبق علمك بى كفانى وحسبى من سوائك ان ترانى
ولى فى كل وقت منك سر يبشر بالامان وبالامانى

اللهم انك قبلت الوفاء من السحرة حين ذكروك مرة وسجدوا لك سجدة وانا لم نزل مقرين بربوبتك معترفين بوحدانيتك ماسجدنا قط الا بين يديك ولا رفعنا حوائجنا الا اليك (الهى) جد علينا بفضلك وتغمدنا برحمتك وداركنا بلطفك وعاملنا برافتك ووفقنا لخدمتك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين أنك ارحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿فصل﴾ الهى اين يذهب عنك من لا يجد بدا منك وكيف لا يعتمد عليك من كل اموره فى يديك (الهى) ذنوبنا لها غاية وكرمك لا غاية له (الهى) ان كنا لا نقدر على

التوبة فأنت تقدر على المغفرة ( الهى ) قد أطعناك فى اكبر الطاعات الايمان بك والافتقار اليك وتركنا اكبر السيآت الشرك بك والافتراء عليك فاغفر لنا ما بينهما ولا تخجلنا بين يديك (الهى) ان ذنوبنا صغيرة فى جنب عفوك وان كانت كبيرة فى جنب نهيك (الهى) لو اردت اهانتنا لم تهدنا ولو اردت فضيحتنا لم تسترنا فتمم اللهم ما به بدأتنا ولا تسلبنا ما به اكرمتنا شعر

يا من كسا قلبى من الحب خلعة وآمنى فى لبسها الدهران تبلى
ايا عوضى فى كل سفر وحاضر وياخلفى من كل من صرم الحبلا

(الهى) أتحرق وجها بالنار كان لك ساجدا ولسانا كان لك ذاكرا وقلبا كان بك عارفا (شعر)

اخف بعد أن توجتنى بهداية وأوليتنى الاحسان والطول شاملا
تجرد قلبى من لباس عناية وتسلبنيه من ما أظنك فاعلا

(الهى) كيف ينقطع الى خدمتك من وجد كمال سروره فى نعيم حضرتك (شعر)

بشرى قلوب أنت غاية شغلها يا كل مطلوب لها وحامل كلها
واذا الرقاب تواضعت وتذللت منا اليك فعزها فى ذلها

العجب ممن يتذلل للعبيد وهو يجد من مولاه ما يريد والمغبون من خضع للخلق فى طلب حاجته ولو رجع الى مولاه لكفاه مهماته (شعر)

خضوعى لشىء غير عزك باطل وحبى لشىء غير وجهك ضائع
وانى لارجو الفضل حتى كانى ارى بجميل الظن ما انت صانع

(الهى) أنت ملاذنا ان ضاقت الحيل وملجأنا اذا انقطع الامل بذكرك نتنعم ونفتخر والى جودك نلتجىء ونفتقر فبك نخرنا واليك فقرنا (نظم)

بذكرك يا مولى الورى نتنعم وقد خاب قوم عن سبيلك قد عموا
شهدنا يقينا ان علمك واسع وانت ترى ما فى القلوب وتعلم
الهى تحملنا ذنوبا عظيمة اسأنا وقصرنا وجودك اعظم
سترنا معاصينا عن الخلق غفلة وانت ترانا ثم تعفو وترحم
وحقك ما فينا مسىء يسره صدودك عنه بل يذل وينـدم

سكتنا عن الشكوى حياء وهيبة وحاجتنا بالمقتضى تتكلم
اذا كان ذن العبد بالحال ناطقا فهل يستطيع الصبر عنه ويكتم
الهى فجد واصفح واصلح قلوبنا فانت الذى تولى الجميل وتكرم
ألست الذى قربت قوما فوافقوا ووفقتهم حتى انابوا واسلموا
وقلت استقيموا منة وتكرما وانت الذى قومتهم فتقوموا
لهم فى الدجا أنس بذكرك دائما فهم فى الليالى ساجدون وقوم
نظرت اليهم نظرة بتعطف فعاشوا بها والخلق سكرى ونوم

لك الحمد عاملنا بما أنت أهله . وسامح وسلمنا فأنت المسلم اللهم دلنا بك عليك وارحم ذلنا بين يديك واجعل رغبتنا فيما لديك ولا تحرمنا بذنوبنا ولا تطردنا بعيوبنا واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(فصل) الهى أنت الملك الحق المبين النور الهادى القوى المتين عرفتنا بربوبيتك وغرفتنا فى بحار نعمتك ونعمتنا بذكرك وانسك ودعوتنا الى دار قدسك (الهى) كيف يصبر عن قربك من وجد طعم حبك (نظم)

ما سرنى أن لسانى ولا قلبى من ذكرك يوما خلا
لو أن لى ملك بنى هاشم يجبى الى الاول فالاولا
انى وان قصرت فى خدمتى باق على العهد وذاك الولا
العيش كل العيش ان جدت لى بالقرب ياسؤلى والا فلا

(الهى) ان نظرنا الى فضلك فالعجب ممن هلك كيف هلك وان نظرنا الى عدلك فالعجب ممن نجا كيف نجا (الهى) ان حاسبتنا بفضلك نلنا رضوانك وان حاسبتنا بعدلك لم ننل غفرانك (الهى) كيف أرجوك وأنا انا وكيف لا أرجوك وأنت أنت (نظم)

مازلت أغرق فى الاساءة دائما ويكون منك العفو والغفران
لم تنتقصنى اذ أسأت وزدتنى حسنى كأن اساءتى احسان
تولى الجميل على القبيح تكرما فاغفر فأنت المنعم المنان

(الهى) ان كنا لا نقدر على ترك ذنب كتبته علينا فانت تقدر على مغفرته لنا

(الهى) ان كنا قد عصيناك بجهل فقد دعوناك بعقل حيث علمنا ان لنا ربا يغفر الذنوب ولا يبالى (الهى) أنت تعلم بالحال من قبل الشكوى وأنت قادر على تحقيق الآمال وكشف البلوى (نظم)

اجلك ان أشكو اليك الذى ألقى ... وأنت ترى حالى وتعلمه حقا
وان رمت أخفى ما ألاقى من الاسى ... فشاهد هذا الدمع يسبقنى سبقا
وتطمعنى الاشواق حتى اذا بدا ... جمالك لم أملك لسانا ولا نطقا
اذا ما تمنى الناس روحا وراحة ... تمنيت أن أفنى وسر الهوى يبقى
بجودك فاجبر قلب عبد قطعته ... اليك فلا غربا يروم ولا شرقا
تعطف ولا تقطعه عنك فانه ... مقيم على باب الرجا ابدا ملقى

اللهم يا من ستر الزلات وغفر السيآت وأبدلها حسنات أجرنا من مكرك وزينا بذكرك واستعملنا بأمرك ووفقنا لشكرك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يقول المتوسل بجاه الفاتح الخاتم الفقير الى الله تعالى محمد قاسم نحمدك يا من بطهارة القلوب استخلصت عبادك ومنحت باصناف نعمك احباءك وأولياءك وخلعت عليهم خلع الرضوان ونورت سرائرهم بعوارف العرفان ونصلى ونسلم على رسولك أفضل من أوتى الحكم الذى لولاه لم تخرج الدنيا من العدم سيدنا محمد المخصوص بأسنى المقامات المؤيد بأجلى المعجزات وأجل البينات وعلى آله المحرزين صفوة الخلائق وأصحابه الأئمة هداة الخلائق

(أما بعد) فقد تم طبعا وحسن رونقا ووضعا الكتاب المسمى بطهارة القلوب
الذى هو منحة من منح علام الغيوب فى علم التصوف المفيد للصفاء
المعرف بهدى ذوى الاخلاص والوفاء لامام أهل الحقيقة وهمام ذوى
السلوك والطريقة المتوج بالانور القدسيه المحلى بحلى الاسرار الربانيه
سيدى عبد العزيز المنسوب الى ديرين أسكنه الله تعالى من دار الكرامة
أعلى عليين ولعمرى انه لتقتطف ثمار الحكمة من روضه النضير
ويشفى صدى الغليل بسلسل عذبه النمير ويستضاء بكواكبه فى
أودية الجهالات ويستشفى بمواعظه من ادواء الضلالات
اشتمل على خطب فصيحه يعجب بهاذو والفصاحة
والقريحه أفصحت عن حكم جميله ومواعظ بليغة
جليله وآيات من الكتاب المنير يفسرها
بأجلى عبارة وأوضح تفسير وأحاديث
شريفة نبويه ووقائع حسان
للسادة الصوفيه فكان جديرا
بطبعه وتيسير سبيل نفعه
وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله
وصحبه
وسلم

# فهرست

## ﴿ كتاب طهارة القلوب ﴾

صحيفة


٤ الفصل الاول فى الايمان
١٠ الفصل الثانى فى الثناء
١٥ الفصل الثالث فى الذكر
١٩ الفصل الرابع فى التفكر
٢٥ الفصل الخامس فى ذكر النبى ﷺ
٣٢ الفصل السادس فى القيامة ومقدماتها
٤٧ الفصل السابع فى الوعيد
٥٢ الفصل الثامن فى الجنة
٥٨ الفصل التاسع فى الخوف
٦٩ الفصل العاشر فى الرجاء
٧٣ الفصل الحادى عشر فى التوبة
٧٩ (فى تفصيل الذنوب)
٨٦ الفصل الثانى عشر فى التقوى
٩٥ الفصل الثالث عشر فى التشمير وذكر شعبان
١٠٢ الفصل الرابع عشر فى التقديم وقدوم رمضان
١٠٩ الفصل الخامس عشر فى الاستعانة وذكر رمضان
١١٨ الفصل السادس عشر فى الاجتهاد وذكر ليلة القدر
١٢٥ الفصل السابع عشر فى الفرح ووداع رمضان والعيد
١٣٤ الفصل الثامن عشر فى العبودية وذكر العشر


obeikandl.com

صحيفة

١٤٠ (ذكر فضيلة العمل فى عشر ذى الحجة)
١٤٣ الفصل التاسع عشر فى القلوب
١٤٧ الفصل العشرون فى الفرار
١٥٥ الفصل الحادى والعشرون فى الاصطبار
١٦٠ الفصل الثانى والعشرون فى الاسف وذكر آدم
١٦٩ الفصل الثالث والعشرون فى المراقبة والانابة
١٧٦ الفصل الرابع والعشرون فى الحذر
١٨١ الفصل الخامس والعشرون فى الدعوة
١٨٥ الفصل السادس والعشرون فى الفقر
١٩٠ الفصل السابع والعشرون فى المحبة
١٩٦ الفصل الثامن والعشرون فى الاسلام
٢٠١ الفصل التاسع والعشرون فى فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم
٢٠٨ الفصل الثلاثون فى الدعاء
٢١٢ (فصول تضرع نختم بها هذا الكتاب)

obeikandl.com